

دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

(فحص البلوط - قلعة أيوب - طليطيرة - وبنة)

جميع الحقوق محفوظة

الكتاب: دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

(فحص البلوط - قلعة أيوب - طليبة - ويذة)

المؤلف: الأستاذ الدكتور جاسم ياسين الدرويش

الأستاذ الدكتور حسين جبار العليوي

الطبعة الأولى: ٢٠١٩

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠ - ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

دراسات في تاريخ المدن الأندلسية
(فحص البلوط – قلعة أيوب – طليبة – وبنة)

الأستاذ الدكتور **الأستاذ الدكتور**
حسين جبار العياوي **جاسم ياسين الدرويش**
جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ

المقدمة

بدأ فتح المسلمون الأندلس في سنة ٩٢هـ/٧١٠م واستمر نفوذهم هناك حوالي ثمانية قرون ، فاختلفوا مع سكان البلاد الأصليين واشتركوا معهم في إعمار الأرض وبناء المدن والقرى والحصون ، وأسهموا في البناء الحضاري للبلاد وعلى مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والفكرية.

وتعد المراكز التمدنية التي أقاموها واحدة من أهم إنجازاتهم الحضارية ، فلا تزال تلك المراكز شامخة شاهدة على ذلك إلى اليوم بما تركته من آثار ومسميات تحمل بصمات المسلمين ، وخصوصية تلك المراكز التمدنية في الأندلس أن مع كل واحدة منها قصة تبدأ بالفتح وتنتهي بالسقوط ، وربما لا نجد لهذا شبيه في بقية المدن الإسلامية ، ومن هنا جاء دراساتنا للمدن الأندلسية.

وهذا الكتاب هو السلسلة الخامسة من دراسات في تاريخ المدن الأندلسية ، تناولنا في الأولى منها مدن لاردة وبياسة وأستورقة ، فيما كانت السلسلة رقم (٢) بعنوان برشلونة بين النصرانية والاسلام ، وضمت السلسلة رقم (٣) المدن: تطيلة وسمورة وطركونة وقلعة رباح ولشبونة ولورقة ومدينة سالم ، وتناولنا في السلسلة رقم (٤) مدن

مدريد ووادي الحجاره وأقليش وطلمنكة ، أنا السلسله رقم (٥) وهي
التي بين أيدينا فتناولنا فيها دراسة مدن: فحص البلوط وقلعة أيوب
وطلبيرة وأبذة ، نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل بعيداً عن الرياء
خالصاً لوجهه الكريم وينفعنا به يوم الدين.

كورة فحص البلوط الأندلسية

Los Pedroches

(٩٢ - ٥٦٣٢هـ / ٧١٠ - ١٢٣٤م)

أولاً: الجغرافية التاريخية

فحص البلوط مدينة أندلسية ، اسمها مشتق من كلمتين هما: الفحص وتعني في اللغة شدة الطلب خلال كل شيء^(١) ، ويقال فَحَصَ الترابَ المطر إذا قلبه ونَحَى بعضه عن بعض ، وأيضاً: هو كل موضع يُسكن ، وهو في الأصل لما استوي من الأرض والجمع فحوص^(٢) ، وليس بعيداً عن هذا المعنى عند أهل الأندلس ، فقد أشار ياقوت إلى ذلك قائلاً: (سألت بعض أهل الأندلس: ما تعنون به؟ فقال: كل موضع يُسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع نُسَميه فحَصاً ثم صار علماً لعدة مواضع...)^(٣) ، وقياساً على هذا المعنى فقد عُرف في الأندلس مواضع عدة تدعى فحصاً^(٤) ، إلا أن

(١) الفراهيدي، العين، ١٣٢/٣؛ الزبيدي، تاج العروس، ٦٣/١٨ (مادة فحص).

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ٦٤/١٨ (مادة فحص).

(٣) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠١.

(٤) هناك عدة أماكن تدعى الفحص، منها: فحص الربيض في قرطبة، ابن حيان، المقتبس (للحقب ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٤٥٠؛ وفحص رعين في إقليم رية، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٤ وفيه ذي رعين؛ ابن حيان، (للحقب ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ١٤٨؛ وفحص سراقق شرق قرطبة، ابن حيان، (للحقب ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٢٨٧، والمقتبس (للحقب ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م) ص ٢١، ٤٣؛ وفحص اللج وهو بنواحي سرقسطة، ابن حيان، (للحقب ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٦٢؛ وفحص =

=الركبة في منطقة الثغر الأعلى، ابن حيان، (للحقبية ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م) ص ١٨٩؛ وفحص منية أبي الحكم موضع بقرطبة، ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م) ص ٢٢٨؛ وفحص الناعورة محلة بقرطبة، ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م) ص ١٩٦؛ وفحص الجلاب قرب مرسية، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢/٢٦٠؛ وفحص ارنوش قرب بريشتر في منطقة الثغر الأعلى، العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٧٠؛ وفحص الحمام في سرقسطة، العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٢١؛ وفحص شنقنيرة قرب لورقة من إقليم تدمير، العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٢؛ وفحص كركى على الطريق بين جيان وقلمة رياح، العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٢١؛ وفصح مطرف في قرطبة، نسبة إلى المطرف بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ويعرف أيضا بفحص ابن بسيل، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٩٨؛ وهو الذي صلب فيه مطرف بن موسى الثائر سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢ أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن، العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٦٣؛ وفحص القصر بإشبيلية، الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١؛ وفحص أرنسول جنوب غرناطة، ابن الخطيب، الإحاطة، ١/١١١؛ وفحص غرناطة وهو البسيط الأخضر الذي تشرف عليه غرناطة من الجنوب الشرقي، ابن الخطيب، الإحاطة، ١/٩٩؛ وفحص هلال يبدو أنه إلى الجنوب من قرطبة، ابن الخطيب، الإحاطة، ١/٥١٤، ٣/٤١٩؛ وفحص الفنت في غرناطة، ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/٢٨؛ وفحص سعيد نسبة إلى سعيد رجل من زناة ينتسب إليه بني عزون، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩؛ وقال ابن غالب إن من مدائن طليطلة مدينة طلبيرة وهي كانت حاجزاً بين المسلمين والمشركين ولها إقليم الفحص، فرحة الأنفس، ص ٢٠؛ وهذه المناطق من الأندلس جميعها بحاجة إلى دراسة لبيان إسهاماتها الحضارية في التاريخ الأندلسي.

أشهرها وربما أكبرها هو فحص البلوط.

أما البلوط فهو شجر دائم الخضرة امتاز به مناخ البحر المتوسط^(١)، وهو كبير الحجم يصل علوه إلى خمسة وعشرين متراً وعوده صلب ولحاءه صلب^(٢)، ويكثر شجر البلوط في هذه المنطقة، فجاء في العديد من المصادر ما يشير إلى ذلك، فذكر ابن غالب أن فيها (شجر البلوط الحلو اللذيذ الذي لا يبلغه بلوط في الأندلس)^(٣)، فيما أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: (ويحيط بجبالهم وسهولهم شجر البلوط الذي فاق طعمه طعم كل بلوط على وجه الأرض)^(٤)، وقال ياقوت: (وأكثر أرضهم شجر البلوط)^(٥).

ومن هنا جاءت تسمية المنطقة بفحص البلوط أي الأرض التي يكثر فيها هذا النوع من الشجر والتي نزلها الناس لأجل ذلك. ويمكن تحديد موقع منطقة فحص البلوط من خلال تتبع العديد من النصوص في ذلك، فالرشاطي (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) ذكر أنها (بالأندلس لجهة قرطبة ولجهة بطليوس)^(٦)، فيما قال الإدريسي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م): إنها من (سار من قرطبة في جهة الشمال إلى

(١) شرف، المقدمات في الجغرافية الطبيعية، ص ٣٥٦.

(٢) رويحة، التداوي بالأعشاب، ص ٨٠.

(٣) فرجة الأنفس، ص ٢٠.

(٤) نزهة المشتاق، ٢/ ٥٨٠.

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص ٨٩.

(٦) الأندلس من اقتباس الأنوار، ص ٣٧.

عقبة ارلش أحد عشر ميلاً^(١) ومنها إلى دار البقر ستة أميال ثم إلى بطروش أربعون ميلاً... ومن حصن بطروش إلى حصن غافق سبعة أميال... ومن قلعة غافق إلى جبل عافور مرحلة^(٢) ثم إلى دار البقر مرحلة ثم إلى قلعة رباح^(٣) ، وبطروش وغافق كما سنرى هي من أعمال فحص البلوط ، وأشار ياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٨٢م) إلى أنها (بين المغرب والقبلة من أوريط وجوف قرطبة)^(٤) ، وذهب ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م) إلى أنها من جوف قرطبة^(٥) ، وقال ابن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م): إنها بين المغرب والقبلة^(٦).

من النصوص أعلاه يمكن القول إن منطقة حصن البلوط تقع إلى الشمال من قرطبة مع انحراف إلى الغرب باتجاه قلعة رباح Calatrava وطليطلة Toledo ، ولعل وقوعها على الطريق الموصل إلى طليطلة جعل شيخ الربوة يعدها من أحواز طليطلة^(٧) ، فيما

-
- (١) الميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥.
 - (٢) المرحلة: قال شيخ الربوة إن مقدار مسير الإنسان في الأرض المستقيمة مرحلة وهي ستة فراسخ وثلاثا فرسخ، نخبة الدهر، ص ٢٢؛ وهي ما يعادل ٤٠ كم على اعتبار أن الفرسخ يساوي ٦ كم، ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٤؛ فيما ذهب كراتشوفسكي أن المرحلة تساوي ٣٧ كيلو متر ونصف، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ٩٧٣/٢.
 - (٣) نزهة المشتاق، ٥٨٠/٢.
 - (٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠١.
 - (٥) التكملة، ١٦٤/١.
 - (٦) مراصد الاطلاع، ٢٢٠/١.
 - (٧) نخبة الدهر، ص ٣٢٢.

جعلها ابن الأبار من عمل قرطبة^(١) ، ولكن الراجح أنها عمل قائم بذاته كما أشارت المصادر الجغرافية أعلاه.

أما المسافات بينها وبين أمهات المدن الأندلسية ، فالإصطخري والمقدسي قالا: من قرطبة إلى فحص البلوط يومان^(٢) ، فيما قدرها الزهري بثلاثين فرسخاً^(٣) ، أما الحميري فقال: إن بينها وبين قرطبة مرحلتان أو ثلاث^(٤) ، ولتوضيح ذلك ، فإن مسافة اليومان عند الإصطخري تساوي ٨٦ ميلاً ، لأن مسير اليوم بالمتوسط حوالي ٤٨ ميلاً^(٥) ، أما الثلاثين فرسخاً التي وردت عند الزهري فهي تساوي ٩٠ ميلاً ، لأن الفرسخ يساوي ثلاثة أميال^(٦) ، وما ذهب إليه الحميري أن المسافة بين قرطبة وفحص البلوط مرحلتان أو ثلاث ، والمرحلة تساوي ستة فراسخ وثلاث فرسخ^(٧) أي ما يعادل ٨٠ ميلاً إلى ١٢٠ ميلاً ، ولعل التباين أعلاه في قياس المسافة بينها وبين قرطبة الواردة في المصادر ليس كبيراً حسب قياسات ذلك الوقت.

أما من الناحية التمدنية فهل أن فحص البلوط هي مدينة أم

(١) التكملة، ١١٣/١.

(٢) المسالك والممالك، ص ٣٨؛ أحسن التقاسيم، ص ٢٤٧.

(٣) الجغرافيا، ص ٨٧.

(٤) الروض المعطار، ص ٤٣٦.

(٥) الماوردي، الحاوي الكبير، ٣٦٠/٢، ٤٤٥/٣.

(٦) هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٤.

(٧) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٢.

كورة ، لم يرد في المصادر المتوفرة لدينا أن فحص البلوط مدينة ، ولكن ورد بخصوصها تعابير تمدنية أخرى أشهرها أنها كورة ، وذلك في ثلاثة من المصادر ، أولها الإصطخري الذي قال: (وفحص البلوط كورة خصبة واسعة ومدينتها غافق)^(١) ، ثم ابن بسام الذي قال: (غافق: من كورة فحص البلوط)^(٢) ، وابن الأبار في ترجمته لإبراهيم بن شجرة البلوي قال: (من إقليم بلي من كورة فحص البلوط)^(٣) ، أما بقية التعابير ، فياقوت ذكر أنها ناحية بالأندلس^(٤) وذكر في أماكن متفرقة من كتابة - كما سيأتي - مناطق قال: إنها من أعمال فحص البلوط ، فيما وصفها الحميري بأنها مجموعة أحواز بقوله: (ويتصل بأحواز فحص البلوط أحواز فريش وتنتظم قراه بقراها)^(٥).

أما الكورة فقد عرفها ياقوت بقوله: (كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها)^(٦) ، ورأي المقدسي عن تكوير بلاد الأندلس جدير بالملاحظة ، فهو يقول: (لو كنت دخلت الأندلس لكورتها لكثرة

(١) المسالك والممالك، ص ٣٦.

(٢) الذخيرة، ٢/٩٤٥.

(٣) التكملة، ١/١١٣.

(٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ٨٨.

(٥) الروض المعطار، ص ٤٣٦.

(٦) معجم البلدان، ١/٣٦-٣٧.

المدن والإعمال والنواحي بها)^(١) ، ثم يضيف: (غير أنا نعجز عن تكوير الأندلس فتركناها على الجملة ووصفنا كورة قرطبة لما كثر المخبرون عنها وتّضح عندنا أمرها ، وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم فقال: على هذا القياس يجب أن تكون الأندلس ثمانى عشرة... وسألت آخر فقال: صدق...)^(٢) ، فالمقدسي هنا يقر بأن الأندلس فيها من الكور وذلك حسب المواصفات التي يراها عند تقسيم المشرق ، وإلى ذات المعنى ذهب ابن حوقل عند ذكره الأندلس ، بقوله: (وفيها مدن يزيد بعضها على بعض في المحلّ والجباية والارتفاع والولاية والقضاة والمخلفين على رفع الأخبار ويقال لأحدهم مخلف ، وليس بها مدينة غير معمورة ذات رستاق فسيح إلى كورة فيها ضياع عداد)^(٣) ، علماً أنه زار في سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م الأندلس واطلع على العديد من نواحيها^(٤).

أما الحوز من حيز ، والحوزة هي الناحية^(٥) ، ومن هنا يتبين أن فحص البلوط هي كورة في الأندلس تضم العديد من المدن والأعمال والنواحي وتجمعها قسبة واحدة وهي مدينة غافق ، ومن أهم تلك المدن والأعمال والنواحي التي تتبع فحص البلوط:

-
- (١) أحسن التقاسيم، ص ٦٥.
 - (٢) أحسن التقاسيم، ص ١٩٤.
 - (٣) صورة الأرض، ص ١١٦.
 - (٤) صورة الأرض، ص ١٠٨.
 - (٥) الجوهري، الصحاح، ٣/٨٧٦ (مادة حوز).

١- أسقفية ، ذكرها ياقوت بقوله: بالضم ثم السكون وضم القاف وفاء وزيادة الهاء ، رستاق نزه بشجر نضر بالأندلس ، وقصبتة غافق^(١) ، كما قال عنه ابن حوقل: إنه رستاق حسن ومدينته غافق^(٢) ، والرستاق اسم يطلق على كل موضع فيه مزارع وقرى^(٣) ، وعلى هذا فأسقفية موضع يحيط بمدينة غافق يشتهر بالزراعة.

٢- بطروش^(٤) وقيل بطروح^(٥) وقيل مطروح^(٦) وقيل بطروج^(٧) ، والراجح أن في كل ذلك تصحيف لُسمى واحد ، قال الإدريسي: (حصن بطروش حسن كثير العمارة شامخ الحصانة لأهله جلادة وحزم على مكافحة أعدائهم ويحيط بجبالهم وسهولهم شجر البلوط الذي فاق طعمه طعم كل بلوط على وجه الأرض وذلك أن أهل هذا الحصن لهم اهتمام بحفظه وخدمته لأنه لهم غلة وغيث في سني الشدة والمجاعة)^(٨) ، وقال ياقوت بطروح: (حصن من أعمال

-
- (١) الأندلس من معجم البلدان، ص٢٩؛ ينظر أيضا: ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ٧٥/١.
- (٢) صورة الأرض، ص١١٠.
- (٣) ياقوت، معجم البلدان، ٣٨/١.
- (٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٨٠/٢؛ الزهري، الجغرافية، ص٨٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٨٩.
- (٥) ياقوت، معجم البلدان، ص٧٧؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ٢٠٤/١.
- (٦) ابن خلدون، العبر، ٢٧٠/٤.
- (٧) المقري، نضح الطيب، ١٦٢/٣.
- (٨) نزهة المشتاق، ٥٨٠/٢.

فحص البلوط من بلاد الأندلس^(١)، وقيل بطروج قرية من عمل
 فحص البلوط ينتسب إليها أبو حفص عمر بن شعيب البلوطي^(٢).
 ٣- بلى، قال ياقوت: ناحية بالأندلس من فحص البلوط^(٣)،
 وقال ابن الأبار: إقليم بلى من كورة فحص البلوط^(٤)، وهي - كما
 سنرى - نسبة إلى قبيلة بلى بن عمرو بن الحافي بن القضاة،
 ومدلول الإقليم عند أهل الأندلس يختلف عنه في المشرق، فهو في
 المشرق يعني: كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى^(٥)، أما في
 الأندلس فهو كما قال ياقوت: (فإنهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة
 إقليمياً، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلا خواصهم،... فإذا قال

(١) الأندلس من معجم البلدان، ص ٧٧.

(٢) ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس، ص ٨؛ وأبو حفص عمر البلوطي من أهل
 أهل قرية بطروج من أعمال حصن البلوط سكن الريض من قرطبة، وعندما
 حدثت ثورة الريض سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م أيام الأمير الحكم بن هشام وقضى على
 الثورة أحلى أهلها فركب طائفة منهم البحر حتى نزلوا في الإسكندرية إلا
 أنهم اصطدموا بالعامل العباسي هناك فأرغمهم على الخروج فتوجهوا إلى
 جزيرة كرين (أقريطش) وكانوا بقيادة أبي حفص عمر بن شعيب البلوطي
 وأقاموا هناك دولة استمرت حتى سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م عندما استولى عليها
 البيزنطيون، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ -
 ٨٤٦م)، ص ١٤٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١؛ ابن خلدون، العبر، ٦٠/٤

(٣) الأندلس من معجم البلدان، ص ٨٩ - ٩٠؛ ينظر أيضاً: ابن عبد الحق،
 مرصد الاطلاع، ٣٢٢/١.

(٤) التكملة، ١١٣/١.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ٢٦/١.

الأندلسي: أنا من إقليم كذا ، فإنما يعني بلدة ، أو رستاقاً بعينه^(١) ،
وعليه فإن بلى عبارة عن بلدة أو رستاق اشتهر بالزراعة.

٤- جراوة ، قال ياقوت: ناحية من أعمال فحص البلوط^(٢) ،
وتبعه في ذلك ابن عبد الحق^(٣) ، وقد ميّز ياقوت بينها وبين جراوة
التي في بلاد المغرب^(٤) ، ولم نجد في المصادر الأندلسية المتوفرة لدينا
ما يشير إليها ، ولعل بعض من أهل جراوة المغرب هاجروا إلى
الأندلس وسكنوا هناك فنُسبت إليهم ، إذ أشار ابن خلدون إلى أن
بعضهم سكن قرطبة في أيام عبد الرحمن الناصر^(٥).

٥- صدفورة ، قال ياقوت: موضع بالأندلس من أعمال فحص
البلوط^(٦) ، فيما ذكر ابن الأبار أن صدفورة ناحية بقرطبة^(٧) ، ولعل
قرب قرطبة ونواحيها من نواحي فحص البلوط وسعة المنطقتين

(١) معجم البلدان، ٢٦/١ .

(٢) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٠٨ .

(٣) مراصد الاطلاع، ٣٢١/٢ .

(٤) وهي مدينة في بلاد المغرب بينها وبين البحر ستة أميال، أسسها أبو العيش
عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن
علي بن أبي طالب سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م، وحوّلها عدة من القبائل من البربر
مطرفة ويني يفرن وغيرهم، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٦٢- ١٦٣ .

(٥) العبير، ٢٣/٤ - ٢٤ .

(٦) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٨١؛ ينظر أيضاً: ابن عبد الحق، مراصد
الاطلاع، ٨٣٥/٢ .

(٧) التكملة، ٢١٤/٢ .

أدى إلى ذلك اللبس في تبعيتها ، ويبدو أن تسميتها من قبيلة صدفورة البربرية التي تنتسب إلى صدفورة بن تمزيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس^(١).

٦- غافق ، قال الإصطخري: إنها مدينة فحص البلوط^(٢) ، وعدها المقدسي من مدن الأندلس المشهورة^(٣) ، أما الإدريسي فوصفها بأنها حصن وقلعة وقال: (...وحصن غافق حصن حصين ومعقل جليل وفي أهله نجدة وعزم وجلادة وحزم وكثيراً ما تسرى إليهم سرايا الروم فيكتفون بهم في إخراجهم عن أرضهم وإنقاذ غنائمهم منهم والروم يعلمون بأسهم ويسالتهم فينافرون أرضهم ويتحامون عنهم ، ومن قلعة غافق....)^(٤) ، واكتفى ياقوت بالقول: إن غافق حصن بالأندلس من أعمال فحص البلوط^(٥) ، فيما نقل الحميري كلام الإدريسي نفسه^(٦) ، والراجح أنها مدينة وحصن ومركز الفحص كله وذلك لأنها كان ينزلها القضاة^(٧) ، كما أن اسمها جاء من اسم اسم قبيلة غافق التي نزلتها^(٨).

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٦.

(٢) المسالك والممالك، ص٣٦.

(٣) أحسن التقاسيم، ص٥٧.

(٤) نزهة المشتاق، ٢/٥٨٠.

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص١٩٨.

(٦) الروض المعطار، ص٤٢٦-٤٢٧.

(٧) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩٨؛ النباهي، المرقبة العليا، ص١٨٢.

(٨) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٢٨.

- ٧- كزنة ، قال ياقوت: (هو فيما أحسب موضع في جزيرة الأندلس في فحص البلوط ، ينسب إليه المنذر بن سعيد البلوطي القاضي)^(١) ، الراجح أن هذه ليست موضع وأن المنتسبين إليها الذين ذكرهم ياقوت هم من فخذ من البربر يقال لهم كزنة^(٢).
- ٨- لك Lugo ، أشارت بعض المصادر إلى أنها مدينة من أعمال فحص البلوط^(٣) ، وهي غير مدينة لك في جليقية والتي وصلها موسى بن نصير والتي وردت في المصادر الأخرى بلفظ لكه^(٤).
- ٩- مسطاطة ، وهو حصن من أعمال فحص البلوط وبه معدن الزئبق^(٥) ، ولعلها سميت بأحد قبائل البربر التي تدعى مسطاطة من من وزداجة^(٦) ، قال ابن حزم: منهم بنو دليم بالأندلس^(٧).

-
- (١) الأندلس من معجم البلدان، ص٢٤٠- ٢٤١؛ وسيأتي الحديث عن المنذر بن سعيد البلوطي في الصفحات القادمة.
- (٢) ابن الضربي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٠٤ وقال: إلى هذا الفخذ من البربر ينتسب المنذر بن سعيد البلوطي.
- (٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٠؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٤٩- ٢٥٠؛ ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع، ١٢٠٨/٣؛ الزبيدي، تاج العروس، ٣٢٣/٢٧ (مادة لكك).
- (٤) الحميري، الروض المعطار، ص٥١١؛ حتاملة، إيبيريا، ص٥٥؛ بشناوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص٣٨٦.
- (٥) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٧٠؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٧٨/٢- ١٧٩.
- (٦) عن قبيلة مسطاطة البربرية ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٨؛ ص٤٩٨؛ ابن خلدون، العبر، ١١٧/٦.
- (٧) جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٨.

١٠ - حصن ابن هارون ، ذكره الإدريسي وقال: إنه من حصون فحوص البلوط^(١).

أما من الناحية الاقتصادية فيتصدر البلوط جانباً مهماً من نشاط السكان لما له من أهمية كبيرة آنذاك ، والبلوط وهو من نباتات مناخ البحر المتوسط حيث يتفق فصل المطر مع فصل البرودة مما يساعد نمو أشجار دائمة الخضرة وتقاوم البرودة بمتانة بنيانها^(٢) ، وتمتاز بأن جذوعها مغلفة بقشور سميكة تقطعها شقوق عميقة ، وأوراقها صغيرة سميكة وسطحها أملس^(٣) ، وله استعمالات عديدة:

١- إنه يستخدم كطعام ، وورد في ذلك العديد من النصوص منها: قال المطرزي: البلوط ثمر شجر يؤكل^(٤) ، وأشار ابن البيطار الأندلسي إلى أن (البلوط كثير الغذاء مثل الحبوب المتخذ منها الخبز ، وقد كان الناس في سالف الدهر إنما يغتذون بالبلوط وحده ، وغذاؤه ثقيل غليظ عسر الإنهضام وأجود ما يكون منه الشاهبلوط)^(٥) ، (الشاهبلوط)^(٥) ، وقال ابن غالب إن فحوص البلوط فيها (شجر البلوط الحلو اللذيذ الذي لا يبلغه بلوط في الأندلس)^(٦) ، وأضاف الإدريسي

(١) نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢.

(٢) فايد، جغرافية المناخ، ص٣١٢؛ شرف، الجغرافية المناخية، ص٣٦٥.

(٣) شرف، الجغرافية المناخية، ص٣٥٦.

(٤) المغرب في ترتيب المعرب، ص٤٩؛ ينظر أيضاً: الفارابي، معجم ديوان الأدب،

٣٣٣/١.

(٥) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١٥٢/١.

(٦) فرحة الأنفس، ص٢٠.

أيضاً أنه (يحيط بجبالهم وسهولهم شجر البلوط الذي فاق طعمه طعم كل بلوط على وجه الأرض ، وذلك أن أهل هذا الحصن لهم اهتمام بحفظه وخدمته لأنه لهم غلة وغيث في سني الشدة والجاعة)^(١).

٢- استخداماته الطبية ، فهو يستخدم على نطاق واسع في هذا المجال ، وبسبب انتشاره في فحص البلوط أصبح المهنة المهمة للسكان فضلاً عن مردوداته الاقتصادية ، وفي مصادرنا كم كبير من النصوص عن استخداماته الطبية ، وحسبنا أن نشير إلى بعض منها مع التركيز على ما ذكره ابن البيطار الأندلسي ، قال: (جميع أجزاء هذه الشجرة قوتها تقبض ، فأما الذي هو منه شبيه بالغشاء فيما بين الغشاء والعود فهو أشد قبضاً ، وكذا الغشاء المستبطن لقشر ثمرته أعني الذي تحت قشر البلوط ملفوفاً على نفس جرم البلوط وهو جفت البلوط فيشفي النزف العارض للنساء ، ونفت الدم ، وقروح الأمعاء ، واستطلاق البطن ، وأكثر ما يستعمل منه مطبوخاً ، وأقوى من هذا في القبض النباتان الآخران اللذان يقال لأحدهما قيبس وللآخر ميربلس وهما نوعان إن شاء إنسان أن يقول إنهما من أنواع البلوط وإن شاء أن يقول إنهما مخالفان له في الجنس ، فإن ذلك جائز وورق هاتين الشجرتين جميعاً إن دخل في الضماد وهو طري فشأنه أن يجفف تجفيفاً قوياً ، فأما ورق شجر ذلك البلوط الآخر فهو أقل تجفيفاً من ورق هاتين بحسب ما هو أقل قبضاً منه ، فإنني لأعرف أنني أدملت جراحة أصابت إنساناً من منجل بورق ذلك البلوط وحده عندما لم أجد دواء آخر ، وذلك أنني أخذت

(١) نزهة المشتاق، ٢/٥٨٠.

الورق فدقته وسحقته على صخرة ملساء ووضعتة على الجراحة وعلى جميع المواضع التي حولها ، وقوة ثمرة البلوط أيضاً شبيهة بقوة ورقه ، وقوم من الأطباء يستعملون ثمرة البلوط في مداواة الأورام الحارة التي قد بلغت إلى حد الصعوبة والشدة وليس يحتاج إلى أدوية قابضة... ، فحسبنا ههنا أن نعلم أن البلوط حاله من القوة القابضة هذا المقدار الذي وصفناه ههنا فهو لذلك يجفف ويقبض وله تبريد يسير يكاد أن يكون دون الأشياء الواسطة في درجة الأدوية التي هي في المثل بإثره... والبلوط أيضاً... يغزر البول ويصدع وينفخ البطن وينفع ذوات السموم من الهوام ، وطبيخه وطبيخ القشر إذا شرب بلبن البقر نفعا من الدواء القتال المسمى طقسيقون ، وإذا تضمد بالبلوط سكن الأورام الحارة ، وإذا تضمد به مع شحم مملوح من شحم الخنزير وافق الورم الحالبي الجاسي الصلب ، والقروح الخبيثة ، والنوع من البلوط الذي يقال له بريلس وهو السوقر أقوى من سائرهما فعلاً وهما من أصناف الشجرة التي يقال لها فيغورس ، والشجرة التي يقال لها برنيس^(١) من أصناف شجر البلوط ، وقشر أصل برنيس إذا طبخ بماء حتى يلين ووضع على الشعر وترك الليل كآله بعد أن يتقدم في غسله بطين يسمى قيموليا صبغ الشعر أسود ، وورق أصناف شجرة البلوط كلها إذا دق ناعماً وافق الأورام البلغمية وقوى الأعضاء الضعيفة^(٢).

وقال ابن البيطار الأندلسي إن هناك نوع من البلوط يقال له:

(١) برينس وهي كلمة يونانية تعني البلوط الأخضر، دوزي، تكملة المعاجم

العربية، ٣٢١/١.

(٢) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١٥١/١ - ١٥٢.

بلوط الأرض (وهي عروق تشبه البلوط تكون تحت الأرض مثل البلوط ويطلع لها على وجه الأرض ورق عريض أخضر يشبه ورق الشريس وهو الهندبا وينبت في الرمال وكثيراً ما يكون تحت عروق السمار ، وطعمه مر بحلاوة كطعم البلوط وفيه حرارة ، وهو يقطع الفضول ، ويضمّر الطحال إذا وضع من ظاهر ويفتح سدد الأعضاء الباطنية ، ويذر الطمث والبول... وإذا خلطت أصول هذا النبات بعسل نقت القروح العتيقة المعفنة الرديئة واللحم ، وزعم قوم أنه ينفع حصى المثانة ويتصرف في كثير من الأدوية الكبار)^(١).

وقال أيضاً: هناك نوع يسمى البهش (هو صنف من البلوط يشبه العفص وليس بعفص ولا بلوط ويسمى بعجمية الأندلس الحركة والشوير ، وثمره غليظ أسود قصير مدور ويسمى الراتينج وهو برنقس باليونانية وتعلف البقر بثمره والدواب)^(٢)

وقال أيضاً: من سُقيَ البيش^(٣) ، (طُبِخَ البلوط بالشراب وسقي منه أربع أواق مع نصف درهم دواء المسك ، وقد يسحق فيه قيراط مسك فاتق) فإنه ينفع^(٤).

(١) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١٥٢/١ - ١٥٣.

(٢) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١٦٧/١.

(٣) البيش هو نبات سام من شرب منه أخذه الدوار والصرع وهو قتال، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٩٠/١٧ (مادة بيش).

(٤) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١٨١/١؛ ينظر أيضاً: الرازي، الحاوي في الطب، ٣٢٧/٥ قال: اطلبخ قشور البلوط بخمر واسقه فإنه نافع للبيش.

قال ابن البيطار: ومنه أيضا المسمى (دروبباس: معناه البلوطي أو سرخس البلوط ينبت في الأجزاء التي تكون في البلوط ، ويعرف بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس بالديك وهو الغلالة عند بعض شجارتنا بالأندلس وهو نوع من البسفاج قتال... وهذا النبات إذا سحق مع عروقه وتضمّد به حلق الشعر ، وينبغي بعد أن يندي البدن أن يمسح ما يصير عليه منه ويجدد منه شيء آخر^(١).

ومن استخداماته الطيبة أيضا ، قال ابن البيطار: (ورماد شجرة البلوط فيه من القبض مقدار ليس باليسير ، وإنني لأعلم أنني في بعض الأوقات حبست به دماً قد انفجر عندما لم أقدر على دواء غيره ، فأما رماد خشب التين فليس يستعمله أحد في هذا الباب ، وذلك لأن فيه حدّة كبيرة وإحراقاً يخالطه جلاء وهو في الحالتين جميعاً مخالفاً لرماد خشب البلوط أعني أن الجزء الدخاني الذي فيه أحد من الجزء الدخاني الذي في ذلك الرماد ، والجزء الأرضي من الرماد أيضاً في رماد خشب البلوط مائل إلى القبض ، وفي رماد خشب التين هو جلاء... وإذا شرب من رماد حطب البلوط المغربي ثلاثة أيام على الريق في كل يوم زنة درهمين مع شراب التفاح نفع من بلة المعدة وهو عجيب في ذلك)^(٢).

(١) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٣٧٢/١.

(٢) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٤٤٣/٢ - ٤٤٤؛ ينظر أيضا: الرازي، الحاوي في الطب، ١٧٥/٦.

ومنها أيضا القرمز^(١) ، قال ابن البيطار: (القرمز اسم حيوان واقع على شجر الإمارة وهو نوع من نبات البلوط سواء ويسمى باللطينية^(٢) الإمارة ويثمر بلوطاً مرة لا يحلو البتة وهو على الورق يسقط مرّ أحمر كأنه العدس محبب صادق الحمرة يكون ذلك في شهر مايو فإن غفل عنه ولم يجمع تكون منه حيوان طائر فلا يبقى منه هناك شيء ، وهذا الحب الأحمر منه شيء يسمى قرمزاً وخاصته صبيغ ما كان من حيوان مثل الصوف والحريير فقط ، ولا يأخذ في الكتان ولا في القطن... وكلما قدم كان أجود للصبيغ وقد يتولد على شجر البلوط ويجمعه الرجال والنساء ويسمونه نفيض)^(٣) ، وقد أشار المقرئ إلى هذا النوع بقوله: (وفي الأندلس من الأمنان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجر البلوط فيجمعه الناس من الشعرا ويصبغون به ، فيخرج منه اللون الأحمر الذي لا تفوقه حمرة)^(٤).

ومن استخدامات البلوط الطبية أنه يُبرئ البواسير متى خلط بفحم خشب البلوط مسحوقاً وتضمّد به البواسير ، كما يدفع

(١) ذكر دوزي أنها تسمى دودة الصباغين تتكون على البلود الأخضر وتسمى أيضا قرمز، تكملة المعاجم العربية، ٤/٣٠٠.

(٢) اللطينية وهي اللغة الرومانية الأصلية التي كان المسلمون في الأندلس يستخدمونها أحيانا في كلامهم بحكم اختلاطهم بسكان البلاد الأصليين، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢/٢٠٩.

(٣) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٤/٢٥٦؛ ينظر أيضا: الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١/٤٧٦؛ النويري، نهاية الأرب، ١١/٣٢٦.

(٤) نصح الطيب، ١/٢٠١.

السيلان بأن يطبخ البلوط بعد دقه دقاً شديداً وينطل به ساعة طويلة في ابتداء العلة ويكمد بإسفنج قد غمس فيه بعد ذلك فإنه يدفع المادة عنه من ساعته^(١).

ومنها أيضاً: أنه يؤخذ عفص^(٢) وجفت البلوط^(٣)، من كل واحد ملء كفّ، يطبخ ذلك بالماء طبخاً جيداً، ويرفع في إناء، وتستنجى منه المرأة قبل الجماع، فإنه غاية^(٤)، والذكر إذا ضعف عن النزو أكل البلوط فتقوى شهوته^(٥)، كما يستخدم جفت البلوط والكافور ومواد أخرى وتسحق ويرش على الذكر أو السراويل فهو يقطع الشهوة وكثيراً ما يستخدمه الرهبان^(٦).

٣- ومن استخداماته الأخرى، أنه يدخل في صناعة الزوارق والسفن، فقد جاء في الأصول المخطوطة لكتاب العين أن (الدر مسامير من خشب، وأهل الأندلس يعمدون إلى قشور شجر البلوط فيظاهرون بعضه على بعض ويدسرونه بمسامير الخشب ويركبون البحر فيه، وإنما يفعلون لخفته، وأنه لا يغرق فإن دخله الماء أطالوه حتى

(١) الرازي، الحاوي في الطب، ٤٣٥/٣، ٣٦٥.

(٢) العفص هو ثمر البلوط، الفراهيدي، العين، ٣٠٧/١ (مادة عفص)

(٣) جفت البلوط هو الغشاء المستبطن لقشر ثمرته أعني الذي تحت قشر البلوط ملفوفاً على نفس جرم البلوطة، ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٢٢٥/١.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ١٩٧/١٢.

(٥) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٥٥١/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٢٩/١١.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ٢١٥/١٢.

يُخرج الماء منه شبه الزورق^(١) ، كما يُستخدم قشر البلوط للدباغة^(٢) ،
 وأيضاً يستخرج من الأشنة عطر أبيض ، والأشنة هو شيء يلتف على
 شجر البلوط^(٣) ، ما يعني أنه يدخل في صناعة العطور ، ومنها أنه
 يكون على شجرة البلوط حب مستدير كالحمص يسمى الدَّبَق إذا
 طُبِّخ مع العسل ووضع على الأشجار علقت به الطيور^(٤) أي أن الناس
 هناك يستخدمونه في الصيد ، ومنها أيضاً أنه يطرد الفأر ، قال
 الخوارزمي: (وإن جعل رماد البلوط وخشبه في جحر الفأرة يهرين
 ويقتلن بعضهم بعضاً)^(٥) ، كما أن الأسد إذا مسَّ بقوائمه شجر
 البلوط خدر ولم يتحرك من مكانه^(٦) ، ومنها أيضاً أن الخليفة الحكم
 المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) عندما وسع المسجد الجامع في
 قرطبة نقل إليه الحجارة الكبيرة من سفح الجبل حملها على عجلات
 صنعها من خشب شجر البلوط^(٧) وذلك لصلابته وقوة تحملها.
 والمتبع لاستخدامات البلوط يرى أنه من أوسع الثمار استخداماً

(١) الضراهيدي، العين، ٢٢٦/٧ (مادة دسر).

(٢) المطرزي، المغرب في ترتيب المغرب، ص٤٩؛ الرازي، مختار الصحاح، ص٢٥١
 (مادة قرظ).

(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١١٧٦/١؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٧٩/٣٤
 (مادة الأشنة)

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ٢٧٥/٢٥ (مادة دبق)

(٥) مفيد العلوم ومبيد الهموم، ص٥٦٦.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ٣٢١/٩.

(٧) المقرئ، نضح الطبيب، ٥٥٥/١.

وقد شغل أهل منطقة فحص البلوط وأصبح يُشار إليهم به ، فعندما عين الأمير عبد الرحمن الأوسط(٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢) سليمان بن سعيد الغافقي البلوطي قاضياً في قرطبة جاءه بعض الخصوم ووضعا قشور البلوط تحت فراشه في إشارة إلى أنه لا يصلح لهذا المنصب وأن عمله في البلوط فقط ، فلما عرف ذلك قال لهم: غيرتموني بأني بلوطي أنا أشهد على نفسي أنني بلوطي^(١) ، وهو يعكس أثر استخدامات شجرة البلوط في الحياة العامة ، والراجح أن البلوط واستخداماته يحتاج إلى دراسة مستقلة ، وما قدمناه هو للتدليل فقط على سعة استخداماتها وأثر ذلك على الحياة الاقتصادية للمنطقة حتى اكتسبت اسمها منه ومن سكنها نُسب إليها(بلوطي) وأهلها كما قال الإدريسي: يطلق عليهم اسم (البلاطة)^(٢).

ومن الثروات الطبيعية في منطقة فحص البلوط معدن الزئبق^(٣) ، وقد أشار المصادر إلى توفره هناك ، فذكر ياقوت أن في فحص البلوط معادن الزئبق ومنها يحمل إلى الآفاق^(٤) ، وهو ماء ينبع من

(١) الخشني، قضاة قرطبة، ص٩٤.

(٢) نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢.

(٣) ويلفظ الزبيق وهو مرادف له، ينظر: البستاني، المنجد الأبيدي، قاموس عربي/فارسي، ص٤٦٥.

(٤) الأندلس من معجم البلدان، ص٩٨؛ ينظر أيضا: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٠٤؛ الزهري، الجغرافية، ص٨٧؛ ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع، ٢٢٠/١؛ الحميري، الروض المعطار ص٤٣٥.

الأرض ، وقيل بل هو حجر يطبخ فيسيل منه الزيت^(١) ، وله استخدامات جمّة ، منها: قال الحميري: الزيت (إذا خلط بخل وتُطلي به نفع من الجرب والحكّة ، وهو مع الخل يقتل القمل والصبيان والقردان لإفراط حرارته ، ودخانته يورث الأسقام والعلل ، وترابه يقتل الفأر إذا ألقى لها في طعام)^(٢) ، وقال الفيروزآبادي إن دخانه يقتل يهرب الحيات والعقارب من البيت وما أقام منها قتله^(٣) ، ويدخل أيضا في التصاوير ، قال ابن سلام: (والتصاوير قد تكون به فمن ثمّ قالوا: مزوّق أي أنه مصوّر بتصاوير يخالطه الزاووق)^(٤) ، وهذا وهذا النوع من الزئبق الذي يوجد في فحص البلوط قال عنه الزهري: (ولا يوجد إلا في هذا الموضع خاصة ، زمنه يجلب لجميع الأقطار)^(٥).

وفيها أيضا الزنجفر الذي قال عنه ابن غالب إنه: (المنقطع القرين الذي لا يوجد له نظير)^(٦) ، قال ابن معصوم الحسيني الزنجفر: (شيء أحمر تنقش به الأشياء ، منه معدني يوجد بمعادن الذهب والنحاس والزئبق ، ويسمى حجر الزئبق ، وهو عزيز الوجود ، حتى

-
- ١) الكجراتي، مجمع بحار الأنوار، ٤٦٢/٥؛ ينظر أيضا: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٨٨٩/٢ (مادة زئبق).
 - ٢) شمس العلوم، ٢٨٧١/٥.
 - ٣) القاموس المحيط، ٨٨٩/١ (مادة زئبق).
 - ٤) غريب الحديث، ٢٤٣/٣.
 - ٥) الجغرافية، ص٨٧.
 - ٦) فرحة الأنفس، ص٢٠ واسماء الزنجفور.

قيل إنه الكبريت الأحمر المضروب به المثل في العزة ، ومنه مصنوع يتخذ من الزئبق والكبريت)^(١) ، والراجح أن النوع الأول هو الموجود في فحص البلوط لقول ابن غالب أعلاه إنه لا نظير له ، وقول الحميري: في فحص البلوط معدن الزئبق ومن هناك يُحمل إلى الآفاق^(٢) ، فهو لندرته يحمله التجار إلى الخارج حيث وجد الطلب.

ومن المعادن النادرة الموجودة هناك حجر العابد ، قال عنه الحميري: (وبموضع يقرب من معدن الزئبق جبل يعرف بجبل المعز ، في شعراء هناك حجر يسمى حجر العابد ، في وسطه قَلَتْ ، وهي حفرة على قدر الصفحة بمقدار ما يدخل الإنسان فيها يديه ويملؤهما من ماء هناك فيشرب أو يصنع به ما احتاج إليه فيأتي إليه النفر الكثير فيكفيهم ويرجع إلى حده لا يغيض ولا يغور ، وذكر من رآه أنه جاءه في نيف وثلاثين رجلاً أو نحو ذلك ، وهذا معروف هناك)^(٣).

ومن الأنشطة الاقتصادية في منطقة فحص البلوط هي الزراعة ، فتسميتها بالفحص - كما مرّ بنا - جاءت كونها أرض تزرع ، وقد وصفها الإصطخري أنها كورة خصبة واسعة^(٤) ، وأحسن وصف عن نشاطها الزراعي جاء عند ابن الخراط فهو في ختام كلامه عن مدينة فريش وفحص البلوط قال: (وتتصل أحواز فريش بأحواز

(١) الطراز الأول، ٥٤/٨؛ ينظر أيضا: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٩٨.

(٢) الروض المعطار، ص ٤٣٥.

(٣) الروض المعطار، ص ٤٣٦.

(٤) المسالك والممالك، ص ٣٦.

فحص البلوط والمسافة إلى هذا الحوز فريش أرض زرع وضرع ونخل
 وثمر وكتان ، وتسيل فيها الجداول ، وتطحن فيها الرحى^(١) ، ويحمل
 هذا النص الكثير من المعاني الدالة على النشاط الزراعي هناك ،
 وعلى الرغم من شحة النصوص إلا أن في بعضها ما يعزز ذلك ،
 فذكر الخشني أن سعيد بن سلمان الغافقي(ت في حدود ٢٤٠هـ
 /٨٥٤م) قاضي قرطبة كانت له ضيعة في فحص البلوط بلغت غلتها
 في أحد السنوات(سبعة أمداد^(٢)) من شعير ، وثلاثة أمداد من
 قمح^(٣) وأن ذلك يكفيه لسنة^(٤) ، ما يعني أن تلك الكمية كانت
 كبيرة وأن القمح والشعير كان يُزرع هناك من قبل سكان الفحص ،
 كما يزرع في فحص البلوط الزيتون ، قال عنه الحميري: وبها
 الزيتون المتناهي في الجودة^(٥).

وبسبب هذا النشاط الاقتصادي الحثيث الذي كانت تشهده
 منطقة فحص البلوط ، فقد أصبح إنتاجها يمثل مورداً مهماً للدولة
 آنذاك بما تحببه منها من ضرائب ، فقد أشار الحميري إلى أن(جباية

(١) اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٧٥.

(٢) ذكر هنتس أن المد الشرعي في صدر الإسلام كان يساوي ربع صاع، وفي قول
 أبي حنيفة يتسع لرتلين أي يساوي ٥، ٨١٢ غرام، وفي المغرب كان مد القمح
 يساوي ٨٠ أوقية وتساوي ٣٢٨، ٣ كيلو غرام وتقابل حوالي ٣٢، ٤ لتر، المكابيل
 والأوزان الإسلامية، ص ٧٤، ٧٥.

(٣) قضاة قرطبة، ص ٩٥.

(٤) الخشني، قضاة قرطبة، ص ٩٥.

(٥) الروض المعطار، ص ٤٣٥.

هذا الفحص في عهد الأمير محمد^(١) ألفان اثنان^(٢) وعلى الرغم من من عدم ورود تفاصيل عن ما تجبئيه الدولة من ضرائب من تلك المنطقة في السنوات الأخرى ، إلا أن هذه الإشارة تدلل على الفائض في النشاط الاقتصادي ، فضلاً عن أنه ساعد على نشاط التجارة بينها وبين المناطق الأخرى بسبب ما يرتفع من أرضها من سلع نادرة ، فقد ذكر صاحب كتاب حدود العالم (ت بعد سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م) العديد من مدن الأندلس ومن بينها مدينة غافق وقال في حديثه عنها: (وهي ذوات نعم كثيرة ، عامرة يؤمها تجار بلاد الروم والمغرب ومصر ، بها تجارات كثيرة ، ذات هواء معتدل)^(٣) ، فضلاً عن ما ورد من عبارة (ويحمل إلى الآفاق) عند الحديث أعلاه عن البلوط والزئبق والزنجفر ، ما يعني أن تجارتها تجاوزت حدود الأندلس.

(١) أي الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ - ٢٧٣هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦م) ،

ينظر عنه: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٣؛ الحميدي، جنوة

المقتبس، ص١١.

(٢) الروض المعطار، ص٤٣٦.

(٣) مؤلف مجهول، ص١٨٢.

ثانياً: التاريخ السياسي لفحص البلوط

لم تشر المصادر المتوفرة بن أيدينا إلى أن فحص البلوط كانت مقر لمدينة قديمة ، وهي كما مرّ بنا عبارة عن فحص أي أرض خصبة صالحة للزراعة ، وهذا يعني أنها تجمعات ريفية استوطنها المزارعون واستغلوا ثرواتها الطبيعية ، ولهذا لم يرد ذكرها في الفتوحات الإسلامية حيث جاء ذكر المدن المهمة القريبة منها كإستجة Ecija وقرطبة وجيان Jaen ثم طليطلة ، وبما أنها واقعة إلى الشمال من قرطبة وعلى الطرق المتجه نحو طليطلة ، فالراجح أنها فُتحت من قبل طارق بن زياد ، إذ أن الأخير لما انتصر على القوط في معركة وادي برباط في رمضان من سنة ٧١٠هـ/٧١٠م تقدم نحو إستجة ومنها أرسل بعوثة نحو قرطبة ومالقة Malaga وغرناطة Granada فيما سار هو مسرعاً إلى طليطلة^(١) سالكاً الطريق الروماني القديم^(٢).

كان فتح قرطبة في شوال من سنة ٧١٠هـ/٧١٠م^(٣) ، ولكن لم نعرف الشهر الذي دخل فيه طارق إلى طليطلة وكل ما قيل إنه كان فيها سنة ٧٩٣هـ/٧١١م^(٤) ، ويرجح الحجي أن طارقاً يمكن أن يكون دخل

-
- (١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩- ٢٠؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤٢؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٩/٢، ١٠، ١١، ١٣.
 - (٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٣٩؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٣.
 - (٣) المقرئ، نضح الطيب، ١٢/٣.
 - (٤) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤٥.

طليطلة في ذي القعدة من سنة ٩٢هـ/٧١٠م^(١) ، وهو أمر ممكن في تقديرنا ، لأن طارِقاً لم يلق أي مقاومة بعد إستجة وقد نصحه يوليان قائلاً: (قد فرغت من الأندلس ففرق جيوشك وسر أنت إلى طليطلة)^(٢) ، وعلى هذا فإن فتح المنطقة المحصورة بين قرطبة وطليطلة ومنها فحص البلوط كان في أواخر سنة ٩٢هـ/٧١٠م.

كان استيطان المسلمين الأوائل (العرب والبربر) من الفاتحين قد جرى حسب رغبتهم ، ذلك أن (العرب والبربر كلاً مَرَّ قوم منهم بموضع استحسنوه حطّوا به ونزلوه قاطنين)^(٣) ، ولا يمنع أن يكون نزولهم بما يناسب موطنهم الأول ، وفي ذلك ذكر ابن الأبار أن العرب البلديين لما (رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسعة سكنوا وأغتبوا وتمولوا)^(٤) ، وهذا هو الأساس الذي سار عليه نزول الفاتحين الأوائل^(٥).

كانت منطقة فحص البلوط الغنية الخصبة أتمودجاً جسد الفكرة أعلاه ، إذ استوطنها كلاً من العرب والبربر ، إلا أن أعداد البربر فيها كان أكثر من العرب ، فابن الفقيه عند حديثه عن الزئبق في

(١) التاريخ الأندلسي، ص ٦٦.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤١ - ٤٢؛ ينظر أيضاً: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٢؛ المقري، نضح الطيب، ١/٢٦٠.

(٣) المقري، نضح الطيب، ١/٢٧٦.

(٤) الحلة السيرة، ١/٦٣.

(٥) ينظر التفاصيل عن استقرار العرب والبربر في الأندلس، مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤١٢ - ٤٣٤؛ الحججي، التاريخ الأندلسي، ١٣٦ - ١٣٩.

فحص البلوط قال: وأهلها بربر^(١) ، كما أشار ياقوت إلى أن فحص البلوط إلى الجوف من قرطبة يسكنه البربر^(٢) ، ومن القبائل البربرية التي سكنت في منطقة فحص البلوط قبيلة كزنة البربرية وهم رهط القاضي المنذر بن سعيد البلوطي حيث أشار ابن الفرضي إلى أن هذا الفخذ من البربر ينتسب إليه القاضي البلوطي^(٣) والقاضي محمد بن أحمد بن خلف الكزني^(٤) ، ومنهم قبيلة صدفورة البربرية التي تنتسب إلى صدفورة بن تمزيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس^(٥) نزلوا صدفورة من فحص البلوط فُنُسبت المنطقة إليهم ، وأيضاً قبيلة مسطاطة البربرية نسبة إلى مسطاطة من وزداجة^(٦) ، قال ابن حزم: منهم بنو دليم بالأندلس^(٧) ، ومن نزل من من البربر أيضاً قبيلة مكناسة البربرية^(٨) وهم ينتسبون إلى مكناسة بن ورسطف بن يحيى بن ضري بن زجيك بن مادغيس^(٩) ، منهم

(١) مختصر كتاب البلدان، ١٣٨.

(٢) الأندلس من معجم البلدان، ص ٨٨- ٨٩.

(٣) تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٠٤.

(٤) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٤١.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٦.

(٦) عن قبيلة مسطاطة البربرية ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٨؛

ص ٤٩٨؛ ابن خلدون، العبر، ١١٧/٦.

(٧) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٨.

(٨) ابن الأبار، التكملة، ٢٤٤/٤.

(٩) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٦.

بنو وانسوس بالأندلس^(١) ، وبنو سلمة المعروفين ببني الأفتس^(٢) وسيأتي الكلام عن المشاهير منهم لاحقاً وفي مقدمة القبائل العربية التي سكنت في منطقة فحص البلوط قبيلة غافق ، قال ابن حزم هم (غافق بن الشاهد بن علقمة بن عكّ ، ودارهم بالأندلس معروفة باسمهم ، في الجوف في شمال قرطبة منهم: بنو أسلم بن القيانة بن غافق)^(٣) ، وعلى هذا فإن مدينة غافق وهي قسبة كورة فحص البلوط نُسبت إلى هذه القبيلة ، وكان منها العديد من المشاهير الذين سيأتي الكلام عنهم لاحقاً.

ومن العرب أيضاً قبيلة بلى ، وهم بنو بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاة ، قال ابن حزم: (ودار بلي بالأندلس: الموضع المعروف باسمهم بشمال قرطبة ، وهم هنالك إلى اليوم على أنسابهم ، لا يحسنون الكلام باللطينية ، لكن بالعربية فقط ، نسأؤهم ورجالهم ، ويقرون الضيف ، ولا يأكلون ألية الشاة إلى اليوم)^(٤) ، أي أن إقليم بلى في فحص البلوط نسبة إليهم ، ومما يسترعي الانتباه قول ابن حزم إنهم لا يحسنون اللطينية أي اللغة الإسبانية ، مما يعني حافظوا على بدواتهم ولم يختلطوا بسكان البلاد الأصليين ، كما تعني أن

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٧؛ العليوي، بنو وانسوس ودورهم

السياسي والإداري والفكري في الأندلس، ص١٢٦ وما بعدها.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ١٨٠/٢.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٤) جمهرة أنساب العرب، ص٤٤٣.

المنطقة كانت خالية وهم من نزلوها وعمرها فنُسبت إليهم ، ولعل ابن حزم قصدهم عندما ذكر أن لهجة أهل فحص البلوط هي غير لهجة أهل قرطبة إذ قال: (ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول أنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة ، وهكذا في كثير من البلاد ، فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلاً لا يخفى على من تأمله)^(١) ، وهم أيضاً ظهر من بينهم بعض المشاهير ممن نزلوا قرطبة وأسهموا في الحركة العلمية فيها كما سيأتي.

والملاحظة الجديرة بالذكر هنا أن معظم النواحي والمواضع التابعة لفحص البلوط سُميت بأسماء القبائل التي نزلتها ، ربما يرجع ذلك إلى أن معظم السكان الأصليين الذين كانوا فيها قد هجروها أثناء الفتح ، وفي ذلك يقول مؤلف مجهول إنه بعد هزيمة لذريق في معركة وادي برباط سنة ٩٢هـ/٧١٠م ودخول طارق إلى إستجة(قذف الله الرعب في قلوب العلوج لما رأوه أقحم في البلد... فهربوا إلى طليطلة ، وغلقوا مدائن الأندلس)^(٢) ، وهو ما فسح المجال للفاتحين الجدد(البلديين) أن ينزلوا مختارين كيف ما شاءوا ، فكان نزولهم على شكل مجاميع قبلية من أجل التناصر والتعاقد ، وربما أن الدولة شجعت على ذلك كي يسهل الاستعانة بهم عند الحاجة عن طريق ممثليهم(زعماء قبائلهم).

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ٣١/١.

(٢) أخبار مجموعة، ص ١٩.

لم تشهد منطقة فحص البلوط أحداثاً كبيرة طيلة عصري
الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ / ٧٥٥-٩٢٨م) والخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ / ٩٢٨-١٠٣٠م)
والراجح أن ذلك يعود لسببين أولهما: قربها من قرطبة مما جعل
قبضة الدولة عليها قوية ، وثانيهما: غنى المنطقة التي كانت تعج
بثرواتها المعدنية والزراعية دفع سكانها إلى الابتعاد عن الفتن
والمشاكل والحروب حفاظاً على مصالحهم الاقتصادية ، ولهذا نراها
في معظم تلك المدة تسير في ركب الدولة فكانت تدفع الضرائب
السنوية إليها^(١) ، كما كانت ترسل المقاتلين من أبنائها للمشاركة في
عمليات العسكرية في الثغور ، فقد أشار ابن حيان إلى أن الأمير
محمد بن عبد الرحمن الأوسط استنفر الناس للغزو مع ابنه الأمير
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن فكان أن خرج من أهالي
فحص البلوط في هذه الغزوة ٤٠٠ مقاتل اشتركوا في القتال إلى
جانب جيش الإمارة في غزوة جليقية Galicia^(٢).

وفي عهد الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ / ١٠٣٠-١٠٩١م) وبحكم موقع فحص
البلوط بالقرب من قرطبة أصبحت تابعة لدولة بني جهور^(٣) التي

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٣٦.

(٢) المقتبس (للحقبية ٢٣٢- ٢٦٧هـ / ٨٤٦- ٨٨٠ م)، ص ٢٧٢؛ ينظر أيضاً: ابن
عذارى، البيان المغرب، ١٠٩/٢.

(٣) بنو جهور نسبة إلى أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن
محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغفار بن أبي عبدة الكلبي مولى بني
أمية، صارت إليه رئاسة قرطبة بعد انتهاء الخلافة الأموية وكانت وفاته
سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م واستمر حكمهم قرطبة وما يجاورها حتى سنة ٤٦٢هـ
/ ١٠٦٩م، ينظر التفاصيل عن دولة بني جهور: ابن حزم، رسائل ابن حزم، =

امتد نفوذها خلال تلك المدة لتشمل (رقعة متوسطة من الأندلس ، تمتد شمالاً حتى جبل الشارّات (سييرا مورينا Sierra Morena) ، وشرقاً حتى منابع نهر الوادي الكبير Rio Guadalquivir ، وغرباً حتى قرب إستجة)^(١) ، وأصبحت مناطق متوسطة الأندلس في عهدهم حرماً أمناً لمعظم زعماء الطوائف وسادت فيها السكينة والأمن وانتعشت الحياة الاقتصادية بعد أن أمن التجار على أموالهم^(٢).

وقد اختلفت الأمور بعد وفاة أبو الحزم بن جمهور فاختلف أولاده على الحكم ما فسح المجال للمأمون يحيى بن ذي النون حاكم طليطة وكان طامعاً بضم قرطبة إلى نفوذه فقام بالزحف نحوها واستولى على حصن المدور Almodovar del Rio^(٣) الواقع بالقرب من فحص البلوط^(٤) حتى وصل إلى أبواب قرطبة ما يعني أنه استولى على فحص البلوط ، وعندما أحس حاكم قرطبة عبد الملك

=٢٠٣/٢٠٤؛ ابن بسام، الذخيرة، ٢/٢٠٨٦٠٢؛ الحميدي، جنوة المقتبس، ص٢٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٨؛ المراكشي، المعجب، ص٥٢.٥٣؛ ابن الأبار، الحلة السبراء، ٢/٣٤٣٠؛ ابن سعيد، المغرب، ١/٥٦-٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٨٧.١٨٥؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٤٤٠.٤٣٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٤٧.١٤٠؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢٠٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ٢/٣٠٠.

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ٢/٢١.

(٢) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٢٠.

(٣) وهو أحد الحصون القريبة من قرطبة، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٥٨.

(٤) ينظر الخارطة.

بن جهور بالخطر استنجد ببني عباد حكام إشبيلية Sevilla ، فأرسل المعتمد بن عباد قوة للدفاع عن قرطبة ضد ابن ذي النون وهو ما اضطر الأخير إلى الانسحاب ، عندها انكشفت نوايا ابن عباد الذي كان يطمع أيضا بضم قرطبة إلى نفوذه فاقتحمها واستولى عليها وضمها إلى دويلته واعتقل عبد الملك بن جهور وأرسله مقيداً إلى إشبيلية منهيماً بذلك حكم بني جهور لقرطبة وما جاورها وذلك سنة ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م^(١).

إلا أن المأمون بن ذي النون لم يستسلم فأخذ ينحين الفرص للاستيلاء على قرطبة مرة أخرى فأرسل أحد رجاله المدعو الحكم بن عكاشة الذي استطاع فعلاً مدهامة المدينة وقتل ممثلين ابن عباد فيها ودعا إلى بيعته المأمون بن ذي النون الذي دخلها في موكب عظيم سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م إلا أنه لم يهنأ طويلاً إذ توفي في السنة نفسها واستمر ابن عكاشة يحكم قرطبة وما جاورها باسم بني ذي النون^(٢) ، إلا أن أهالي قرطبة لم يرضوا بابن عكاشة فخاطبوا ابن عباد الذي أسرع في دخولها وقتل ابن عكاشة وجعل ولده عليها وبذلك عادت قرطبة ومنتوسطة الأندلس مرة أخرى إلى نفوذ الدولة العبادية^(٣) ، ثم مدّ نفوذه ليشمل معظم المناطق الجنوبية من أراضي

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٦٠٧/٢ - ٦١٤؛ ابن عتاري، البيان المغرب، ٢٥٥/٣ - ٢٦١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٤٥ / ٢ - ١٤٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ٢٨/٢ - ٢٩.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ٢٦٨ - ٢٧٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥٥/٢.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥٥/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، =

دويلة طليطلة ليصل نفوذه حتى قونكة Cuenca وذلك بسبب ضعف حاكمها القادر بن ذي النون(٤٦٧- ٤٧٨هـ/١٠٤٧-١٠٨٥م)^(١) ما يعنى دخول منطقة فحوص البلوط تحت حكم الإمارة العبادية. إلا أن الأيام العصيبة بدأت تمد ظلالها على قرطبة والأندلس الأوسط بعد سقوط طليطلة بيد الفونسو السادس(٤٥٨-٥٠٢هـ/ ١٠٦٥-١١٠٨م)^(٢) واحتدام الصراع بينه وبين المعتمد بن عباد^(٣) ، وفي

=عصر الطوائف، ٦١/٢

- (١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ٧١/٢.
- (٢) ينظر التفاصيل عن سقوط طليطلة: ابن بسام، الذخيرة، ١٥٦/٤ - ١٦٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ٨٤ - ٨٩ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٩/٢ - ١٨٠؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٧/٤؛ المقرئ، نصح الطبيب، ٤٤٧/٤ - ٤٤٨.
- (٣) أشار الحميري إلى سبب ذلك بقوله: (وكان السبب في ذلك فساد الصلح المنقعد بين الطاغية وبين المعتمد، فإن المعتمد اشتغل عن أداء الضريبة في الوقت الذي صارت عادته يؤديها فيه، بغزو ابن صمادح صاحب المرية، واستنفاده ما في يديه بسبب ذلك، فتأخر لأجل ذلك أداء الإتاوة عن وقتها، فاستشاط الطاغية غضباً، وتشطط فطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة، وأمعن في التجنى، فسأل في دخول امراته القمطيجة إلى جامع قرطبة لتلد فيه من حمل كان بها، حيث أشار إليه بذلك القسيسون والأساقفة، لمكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه، ومعظمهم عند عمل المسلمون عليها الجامع الأعظم؛ وسأل أن تنزل امراته المذكورة بمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة، تنزل بها فتختلف منها إلى الجامع المذكور، حتى تكون تلك الولادة بين طيب نسيم الزهراء، وفضيلة ذلك الموضع الموصوف من الجامع، وزعم أن الأطباء، أشاروا عليه بالولادة في الزهراء، كما أشار عليه القسيسون بالجامع، وسفر بذلك بينهما يهودي، وكان وزيراً لابن فرذند، فتكلم بين يدي المعتمد ببعض ما جاء به من عند صاحبه، فأياسه ابن عباد من جميع ذلك، فأغلظ له اليهودي في القول=

محاولة استعراض للقوة قام الفونسو السادس محملة مدمرة من طليطلة اخترق فيها أراضي الأندلس حتى وصل إلى مدينة طريف Tarifa في الجنوب ووقف على شاطئ البحر وعمل على نهب وتخريب كل ما مرّ عليه وانتسف الزروع والمحاصيل ثم عاد ظافراً دون أن يستطع أحداً أن يعترضه^(١) ، ولما كانت منطقة فحص البلوط تقع إلى الجنوب من طليطلة وعلى الطريق بينها وبين قرطبة فلا يستبعد أن نالها نصيب من هذه الحملة.

كان القادر بن ذي النون الذي فقد ملكه في طليطلة توجه إلى بلنسية Valencia ويدعم من الفونسو السادس حاول استعادة نفوذه على مناطق شرق الأندلس فولى حريز بن حكم بن عكاشة مدينة قلعة رباح ، وكان المعتمد بن عباد سبق أن قتل أبوه في قرطبة - كما مر بنا- فحاول الثأر لأبيه واستعادة قرطبة وما حولها من بني عباد إلا أن أهالي فحص البلوط تصدوا له وأسروه وبعثوا به إلى المعتمد بن عباد^(٢) ، وهذا يعني أن أهالي فحص البلوط رفضوا الخضوع إلى نفوذ بني ذي النون وفضلوا البقاء تحت حكم بني عباد حكام إشبيلية.

=وشافهه بما لم يحتمله، فأخذ ابن عباد محيرة كانت بين يديه، فأنزلها على رأس اليهودي، فألقى دماغه في حلقه، وأمر به فصلب منكوساً بقرطبة) الروض المعطار، ص ٢٨٨؛ ينظر أيضاً: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٢١؛ الحلل الموشية، ص ٢٥؛ المقري، نضح الطيب، ٤/٣٥٧؛ نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ص ٢١٦-٢١٧.

(١) ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٢٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٤٣.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/١٧٧-١٧٩.

بقيت قرطبة ومنطقة فحص البلوط بيد بني عباد إلى أن تطورت الأوضاع في الأندلس ما حدا بالمرابطين Los, Almoravides إلى إسقاط دول الطوائف Los ، Tafas ، في الأندلس^(١) ، وفي سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م سارت قوات مرابطية نحو قرطبة وافتتحوها وقتل حاكمها الفتح بن المعتمد بن عباد وفي ذلك يقول ابن أبي زرع: (وكان فتح المرابطين لقرطبة من صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة (مارس ١٠٩١م) ثم فتح بياسة وأبنة وحصن البلاط والمدورة والصخيرة وشقورة)^(٢) ، وبذلك أصبحت فحص البلوط ضمن أملاك الدولة المرابطية.

وعلى الرغم من تمكن المرابطين من السيطرة الأندلس الأوسط (قرطبة وما حولها) إلا أن المنطقة الواقعة إلى الشمال من قرطبة حتى طليطلة صارت هدفاً لغارات ملك قشتالة Castilla ، وبذلك تحول شمال قرطبة إلى ثغر بعد أن كان طيلة المدة السابقة بعيداً عن مسرح العمليات العسكرية ، ففي سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م سارت قوة مرابطية نحو أراضي قشتالة وضرب الحصار على مدينة طليطلة ثم عادت ظافرة^(٣) ، وعلى أثر ذلك قامت القوات القشتالية بحملة كبيرة سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥م استطاعت خلالها الوصول إلى مشارف قرطبة ونشب بين الفريقين قتال عنيف سقط خلاله العديد من قادة

(١) ينظر عن بواغث قضاء المرابطين على دول الطوائف: عنان، دولة الإسلام في

الأندلس، عصر الطوائف، ٣٣٧/٢ - ٣٣٩.

(٢) الأنييس المطرب، ص ١٥٤.

(٣) ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص ١٦٢.

الجيش المرابطي ، وفي ذلك قال ابن عذاري: (وفي سنة تسع وخمس مائة ضرب العدو على نظر قرطبة فخرج إليه محمد بن مزدلي بعسكره ونشبت الحرب وصبر المسلمون فاستشهد الأمير محمد بن مزدلي... ومات من الأمراء نحو الثمانين من وجوه المرابطين وجملة كبيرة من الحشم وأهل الأندلس... فكان مصاباً عظيماً وخطباً جسيماً ، واتصل الخبر بأمر المسلمين علي فولى قرطبة الأمير أبا بكر يحيى بن تاشفين... ولأيام من وصوله اكتسح العدو الأول صاحب الجولة فلحق بجهة بياسة Baeza^(١)... فكانت للروم أيضاً واستشهد خلق من المسلمين)^(٢) ، إن وصول الجيش القشتالي إلى مشارف قرطبة ثم اجتياحه بياسة يعني أنه سيطر على معظم المناطق الواقعة إلى الشمال من ذلك ما يعني أن فحص البلوط وأعمالها كانت مسرحاً لتلك الحروب.

وفي سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م حدثت ثورة عارمة في قرطبة على الحكم المرابطي هاجم الناس خلالها مقر القصر ونهبوه وأحرقوا دور المرابطين وأخرجوهم من قرطبة^(٣) ، وحسنا من أحداث هذه الثورة أضعفت

(١) بياسة إحدى مدن كورة جيان التي تقع على خمسين ميلا من قرطبة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٥.

(٢) البيان المغربي، ٦١/٤.

(٣) ينظر التفاصيل عن ثورة أهل قرطبة على المرابطين: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٢٨- ٣٢٩؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٦٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٨٢/٣ - ٨٣.

النفوذ المرابطي في الأندلس الأوسط إذ فقد المرابطون القاعدة الشعبية التي يمكن أن تساندهم ، فضلاً عن أن تلك الأحداث لم تكن بعيدة عن أنظار نصارى قشتالة المتواجدين إلى الشمال من قرطبة.

ففي سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م هاجمت القوات القشتالية منطقة الأندلس الأوسط ووصلت إلى شمال قرطبة فخرج إليهم المرابطون ووصلوا إلى جيان مما اضطرهم إلى الارتداد عنها^(١) ، ثم عاودوا الهجوم سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م فالتقوا مع الجيش المرابطي الذي تمكن من هزيمتهم وأسر أحد قادتهم ثم تبعوهم إلى قلعة رباح^(٢) الواقعة إلى الشمال من فحص البلوط^(٣) ، وتكرر هجوم القوات القشتالية على المنطقة ففي سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م عبرت القوات القشتالية جبال الشارات واجتمعت إلى الشمال من قرطبة في وقت الحصاد فأمر ملك قشتالة بانتساف حقول القمح والكروم والزيتون وغيرها من الزروع فساد الرعب بين المسلمين وهجروا السهول والقرى إلى الحصون والجبال واستمر الجيش القشتالي في زحفه وهو يحرق المزارع والقرى حتى وصل إلى مشارف إشبيلية ثم ارتدوا إلى طليطلة^(٤).

تزامنت هذه الأحداث مع انهيارات متلاحقة أصيبت بها الدولة المرابطية في المغرب على أيدي الموحدين Los ، Almohades^(٥) ، وهو

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٠/٤ - ٨١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٥/٤ - ٨٦.

(٣) ينظر الخارطة.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣ / ١٤١

(٥) ينظر التفاصيل عن تلك الأحداث، ابن الأثير، الأندلس من الكامل في=

ما شجع العديد من القوى في الأندلس على الخروج على سلطتهم ،
والذي يهمننا هو الأحداث في قرطبة وما حولها وانعكاساتها إلى
منطقة فحص البلوط ، ففي سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م ثار أهالي قرطبة
وباعوا القاضي حمدين بن محمد بن حمدين وطاردوا المرابطين
وأخرجوهم من المدينة ، وكان الوالي المرابطي يحيى بن غانية في
غرب الأندلس يصارع المتغلبين فعاد أدراجه نحوها ، من جانبه كان
سيف الدولة أحمد المستنصر بن هود^(١) قد تحالف مع ملك قشتالة

=التاريخ، ص ٢٧٥-٤٠٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين
والموحدين، ١٥٦/٣-٣٥٤.

(١) وهو آخر أمراء بني هود في الأندلس بعد سقوط سرقسطة ذهب إلى الفونسو
السلطين ملك قشتالة وليون رأى فيه سيف الدولة حليفاً أفضل وعقد
تحالفاً معه بأن يتنازل له عن حصن روضة على أن ينضوي تحت لوائه مقابل
حصون في طليطلة ومناطق أخرى غرب الأندلس، بيد أن الملك النصراني لم
يجد من يقبل بسيف الدولة مما اضطره للبقاء في بعض أملاكه بطليطلة
ويعلق الذهبي على ذلك بقوله (وبئس للظالمين بدلا)، وبقي في طليطلة
بضعة أعوام إلى قامت ثورة في قرطبة في أواخر أيام المرابطين سنة
٥٣٩هـ/١١٤٤م فاستدعوا سيف الدولة بن هود ليتولى إمارة قرطبة وعندما
حلّ لم يمض أيام قلائل حتى ثار عليه القرطبيون ففرّ ناجياً بنفسه إلى
جيان، ولم يلبث بها هي الأخرى إلا يسيراً حتى استدعاه أهل غرناطة فتوجه
إليها مع ثلثة من جنده بعضهم من النصارى فالتقى بالجيش المرابطي وهزّم
وقتل العديد من جنده ولم يُفلح في دخولها فرجع إلى قاعدته جيان، وفي
سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م قامت ثورة بمرسية فتوجه إليها سيف الدولة بن هود في
جماد الآخرة وبقي فيها حتى هاجمها النصارى في شعبان من نفس السنة
فهزم المسلمون هزيمة شنيعة قتل فيها ابن هود، ينظر التفاصيل: ابن
القطان، نظم الجمان، ص ٢٢٩-٢٣٠ ويجعلها في سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م؛ ابن
الأبار، الحلة السبراء، ٢/٢٤٨-٢٥٠؛ ابن سعيد، المغرب، ٢/٤٣٨-٤٣٩ قال=

ودخل قرطبة بدعم من ملك قشتالة ، وإزاء ذلك انشق أهالي قرطبة بين القوى الثلاثة التي تريد إحكام سيطرتها عليها وهم: القاضي ابن حمدين ، وابن غانية الوالي المرابطي ، وسيف الدولة بن هود ، ولكن الأخير وبدعم من النصارى استطاع التغلب عليها ولكنه لم يستمر طويلاً إذ لم يطبقوا منظر الجند النصارى في مدينتهم فثاروا به وتغلب عليها الفريق المؤيد للقاضي ابن حمدين إلا أن ابن غانية تمكن من دخول قرطبة مرة أخرى وطرد ابن حمدين ، عندها فعل الأخير ما فعله حكام الطوائف السابقين بأن أرسل إلى ملك قشتالة يطمعه في قرطبة فأرسل قوة تمكنت من إرجاع ابن حمدين ودخل القشتاليون المدينة واستباحوا جامعها وأسواقها ، وكان ابن غانية آنذاك يدافعهم في قصبته ، وفي ذلك الأثناء عبر الجيش الموحدى إلى الأندلس ، فعندما علم الملك القشتالي بذلك رأى أن يهادن ابن غانية ليكون سداً لبلاده وأن يحكم قرطبة تابعاً له وباسمه^(١).

وخلال مدة حكم يحيى بن غانية لقرطبة اضطره الملك القشتالي التنازل عن العديد من الحواضر الإسلامية الواقعة شمال قرطبة ، فقد تنازل له عن حصن أندوجر Andujar وبياسة وأبده Ubeda ثم طالبه ببيان مما دفع ابن غانية إلى التردد في إجابته وأخذ يفكر في

=قتله النصارى في معركة السلك ذوو البيوت؛ الذهبي، سير، ٤٤٨/١٤ -

٤٤٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٣/٢ - ١٧٥.

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٢٩/٢ - ٢٣٠؛ الإحاطة، ٣٠١/٤، الأندلس في

نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ٧٧ - ٨٢.

التعاون مع الموحيدين ضد أطماع الملك القشتالي فذهب إلى غرناطة من أجل ذلك إلا أنه توفي في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م^(١).

وأشار ابن غالب إلى أن فحص البلوط دخله النصارى بعد سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م^(٢)، والراجح أن ذلك حدث في أيام ولاية يحيى بن غانية المرابطي لقرطبة لأن سياسة وأبده هي الأقرب إلى قرطبة من فحص البلوط.

وعلى الرغم من تمكن الموحيدين من استعادة قرطبة من أيدي النصارى في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م^(٣)، إلا أن فحص البلوط بقيت فيما يبدو بيد النصارى حتى سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م، فقد أشار ابن عذارى إلى أن الخليفة الموحيدي عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ / ١١٢٩-١١٦٢م) عين على قرطبة سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م أبا زيد عبد الرحمن بن بجيت (فعندما وصل إليها خرج مع الموحيدين إلى حصن البطروج وما يليه من الحصون التي فيها النصارى دمرهم الله تعالى وفتح الله به عليهم بهزائم شتى وصحبه النصر على ما يراد ويتأتى وهزم القمط اللعين صاحب بطروج ثم تغلب على الحصن المذكور بعد ذلك وأخذ فيه القمط المذكور وبعث به إلى مراکش... ثم توالى غزو ابن بجيت من قرطبة لبعض الحصون ونالها وتغلب عليها منها حصن منتور والمدور^(٤)

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٤٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٢/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/٣٣٣.

(٢) فرجة الأنفس، ص ٢٠.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٤٢.

(٤) وهو حصن قريب من قرطبة، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٨.

وغيرهما وخاطب الحضرة بجميع هذا الفتح^(١).

وبذلك فقد عادت منطقة فحص البلوط مرة أخرى إلى المسلمين إلا أنها أصبحت تابعة إلى والي قرطبة الموحدية ، وقد تعزز مركز الدولة الموحدية في الأندلس الأوسط عندما نقل مركز الحكم من إشبيلية إلى قرطبة إذ أصدر الخليفة عبد المؤمن أمراً بذلك وبعث إلى ابنه السيد أبي يعقوب يوسف بالانتقال إليها فوصلها في شوال سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م ، وقد أشار ابن أبي صاحب الصلاة إلى ذلك بقوله: (أن تكون مقراً للأمر بالأندلس كفعل بني أمية بها في قديم حقبها ، إذ هي متوسطة الأندلس ، وأن تكون أشغال الأعمال مستقرة فيها)^(٢) فساد الهدوء في أرجائها بعد أن لبثت أعواماً طويلة مسرحاً للفتن وعاد إليها الكثير من أهلها^(٣) ، ولعل ذلك انعكس إيجابياً على الأوضاع في المناطق القريبة منها مثل فحص البلوط.

إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً ، ففي سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م قامت القوات القشتالية بمهاجمة متوسطة الأندلس واطرقوا الأندلس من أقصاها إلى أقصاها حتى وصلوا إلى الجزيرة الخضراء Algecira ثم إلى البحر وقتلوا وسبوا ثم انسحبوا^(٤) ، وقد استمرت عمليات الكر

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٥٤.

(٢) تاريخ المن بالإمامة، ص ١٩٧.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/ ٣٩٢.

(٤) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٢٢؛ ابن عذاري، البيان

المغرب، قسم الموحدين، ص ١١٠.

والفر بين الجانبين طيلة عصر الخليفة الموحيدي يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م)^(١) ، والذي يبدو أن كلاً من الجانبين لم يستطع أن يغير الخارطة على الأرض بشكل كبير فاستمر تركز القوات الموحدية في قرطبة واستمرت الغارات القشتالية على أطرافها الشمالية ما يعني أن منطقة فحص البلوط التي ظلت طيلة الحقب السابقة بعيدة عن ساحات المعارك تحولت في هذا العهد إلى ثغر.

وفي عهد الخليفة المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) شهدت منطقة شمال قرطبة تحول مهم ذلك أن الخليفة الموحيدي قرر أن يوجه ضربة كبيرة إلى ملك قشتالة بسبب غاراته المتكررة على قرطبة ومناطقها الشمالية ، فخرج سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م ، وكانت قلعة رباح الواقعة إلى الجنوب الشرقي من طليطلة والشمال الشرقي من فحص البلوط هي الحد الفاصل بين المسلمين وقشتالة وفي حصن الأرك Alarcos منها عسكر الملك القشتالي الفونسو الثامن (٥٥٣-٦١١هـ / ١١٥٨-١٢١٤م) ، ومن قرطبة انطلقت القوات الموحدية بقيادة الخليفة المنصور ودارت رحى معركة حامية تمكن الجيش الموحيدي خلالها من تمزيق صفوف الجيش القشتالي وفرّ الملك القشتالي تحت جناح الظلام في عشرين من

(١) ينظر الأحداث في الأندلس في عصر أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٩٥ / ٣ - ١٣٠.

أصحابه إلى طليطلة^(١).

وفي سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م قاد المنصور الموحدي حملة أخرى اخترق فيها أراضي قشتالة ووصل إلى طلبيرة Talavera إلى الشمال الغربي من طليطلة ثم اتجه نحو مجريط Magerit ثم إلى وادي الحجارة Guadalajara وذلك في استعراض للقوة ثم ارتد نحو أقليم Ucles ومرّ بقرطبة وإشبيلية^(٢).

ويشير عنان إلى أن هذه المعارك التي خاضها المنصور الموحدي لم تسفر عن نتائج مستقرة ولم يحرز الموحدون خلالها أية أراض ذات شأن^(٣)، ولكننا نرى أن الحملات الموحدية أخرجت إلى حين من

(١) ينظر التفاصيل عن معركة الأرك: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٨٩-٣٩٤؛ المراكشي، المعجب، ص ٢٠٦-٢٠٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/٧-٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢١٧-٢٢٢؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢٢٠-٢٢٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٠٥٦/١٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٣٢/٢٤-٣٣٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤/١٣؛ الياقعي، مرآة الجنان، ٣٦٣/٣-٣٦٤؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٣٢٠-٣٣٠؛ المقري، فصح الطيب، ٤٤٣/١؛ السلوي، الاستقصا، ١٨٧/٢-١٩٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/١٩٧-٢١٤.

(٢) ينظر التفاصيل عن غزوة المنصور الموحدي سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٩٤؛ المراكشي، المعجب، ص ٢٠٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٢٦-٢٢٧؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/٢٢٩-٢٣٠.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/٢٢٠.

سقوط العديد من المدن الأندلس وعلى رأسها فحص البلوط وبياسة وأبذه وجيان إذ أن كل المؤشرات كانت توضح أن تلك المناطق أصبحت لقمة سائغة بيد مالك قشتالة لولا ردع الموحين لها.

إلا أن الخليفة الناصر لدين الله الموحيدي (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م) الذي خلف أباه انشغل بحوادث وقعت بإفريقية^(١) عن شؤون الأندلس ، فوجد النصارى فرصة لاستئناف غزوهم للأراضي الإسلامية لاسيما وأن الملك القشتالي الفونسو الثامن كان يتوق إلى الانتقام من هزيمته في الأرك ، فأشار ابن أبي زرع أنه في سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م اتصلت (الأخبار من الأندلس أن الفونسو الثامن ملك قشتالة لعنه الله يفتك ببلاد الإسلام ويضرب على قراها وعلى حصونها يقتل الرجال ويسبي النساء والأموال فاستغاث أهلها بالناصر أمير المؤمنين)^(٢) ، عندها عبر الناصر الموحيدي بقوات كثيفة نحو قشتالة وقام بمحاصرة مدينة شلبطرة Salvatierra^(٣) التي كان الجيش القشتالي يهاجم منها أراضي المسلمين وتمكن من اقتحامها ولكن بعد حصار وجهد كبير وذلك سنة ٦٠٨هـ/^(٤) ، وعندها هبت النصرانية من كل حذب لنصرة ملك قشتالة في حملة اتسمت بالطابع الصليبي ، وقد أشار المراكشي إلى ذلك بقوله: (وخرج

١) ينظر عن أحداث إفريقية في عهد الناصر الموحيدي: عنان، دولة الإسلام في

الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٢٥٠/٣ - ٢٨١.

٢) الأنيس المطرب، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

٣) وهي أحد حصون قلعة رباح، الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٤.

٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٢٦١؛ ابن أبي زرع، الأنيس

المطرب، ص ٢٣٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٤.

الأدفنش -لعنه الله- إلى قاصية بلاد الروم مستنفرًا من أجابه من عظماء الروم وفرسانهم وذوي النجدة منهم ، فاجتمعت له جموع عظيمة من الجزيرة نفسها ومن السام^(١) ، حتى بلغ نفير إلى القسطنطينية ، وجاء معه صاحب بلاد أرغن المعروف بـ البرشونوي -لعنه الله-^(٢) وتمكنوا من اقتحام قلعة رباح والاستيلاء عليها^(٣).

وكرد فعل من قبل المسلمين ، خرج الخليفة الناصر الموحيدي بقواته لمواجهة التحالف النصراني الذي كان بقيادة الفونسو الثامن لأخذ الثأر منهم ، وقد التقى الطرفان سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م في موضع عرف بالعقاب يقع بين مدينتي جيان وقلعة رباح ، وفيها خسر الموحدون المعركة ، وقتل أعداداً كبيرة منهم ، وعلى إثر هذه الموقعة تغير ميزان القوى ، ولم يعد في مقدور دولة الموحيدين حماية الثغور الأندلسية من هجمات النصارى^(٤).

بعد ذلك حاول الفونسو الثامن استثمار النصر فزحف نحو بياسة وأبذه وتمكن من الاستيلاء عليهما ونهب ما فيهما^(٥) إلا أنه لم يتمكن أكثر من ذلك لامتلاء أيديهم بالغنائم وانتشار الأوبئة لكثرة

(١) يرجح محقق كتاب المعجب أن الصواب الألمان وذلك لاشتراكهم آنذاك تلك الحملة، ص ٢٢٨ هامش (٥).

(٢) المعجب، ص ٢٣٤.

(٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٣٧- ٢٣٨.

(٤) لمزيد من التفاصيل ينظر: المراكشي، المعجب، ص ٢٣٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٣٩- ٢٤٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٧٠؛ الحجوي، التاريخ الأندلسي، ص ٤٩١ وما بعدها.

(٥) المراكشي، المعجب، ص ٢٣٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٤٠.

وتعفن الجثث فرجع ظافراً إلى طليطلة^(١).

كانت هزيمة الموحدين في العقاب أن دخلت دولتهم في مرحلة من الضعف والانحلال ، فشب صراع داخلي على السلطة بين أسرة بني عبد المؤمن ، وفي الأندلس تحفزت القوى المحلية للانفراد بالسلطة في مختلف المناطق والثورة على الموحدين على نفس الصورة التي جرت في أواخر عهد المرابطين ، إلا أن أخطرها على قرطبة وما جاورها هي حركة أبي محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن الذي خلع بيعة العادل الموحيدي (٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١١٢٦م) ودعا لنفسه خليفة للموحدين وأطاعه أهل جيان وأبدة وبياسة ، ولقب بالبياسي لأنه اتخذها مقراً له وتحالف مع النصارى وذلك سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م^(٢).

لبث حركة عبد الله البياسي ثلاثة أعوام كان من أهم نتائجها أنه مهد للنصارى السيطرة على العديد من المدن والحصون المهمة ، ففي سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م قام الملك القشتالي فرناندو الثالث باحتلال حصن قبالة المنيع^(٣) وأخرج الناس فيه إلى حصن غافق^(٤) من فحوص البلوط ، والتي يبدو أنه حتى ذلك الوقت لا تزال بأيدي المسلمين ، وفي تقديرنا أن صمود منطقة فحوص البلوط بوجه هجمات النصارى على الرغم

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/٣٢٤.

(٢) ينظر التفاصيل عن حركة البياسي: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١- ٢٧٣؛ الدرويش والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية سلسلة رقم (١)، ص ١٤٥- ١٤٩.

(٣) وهو من الحصون الواقعة شمال قرطبة، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/٣٦٠ هامش (١).

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/٣٦٢.

من ضراوتها يعود إلى بسالة الأهالي في الدفاع عن أرضهم ، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك عند حديثه عن حصن ومدينة غافق بقوله: (وحصن غافق حصن حصين ومعقل جليل وفي أهله نجدة وعزم وجلادة وحزم وكثيرا ما تسرى إليهم سرايا الروم فيكتفون بهم في إخراجهم عن أرضهم وإنقاذ غنائمهم منهم والروم يعلمون بأسهم ويسالتهم فينافرون أرضهم ويتحامون عنهم)^(١).

إلا أن جهودهم الذاتية لم تستطع مقاومة الجيوش الكبيرة للدول النصرانية يقابلها غياب كامل لدور الموحدين في الأندلس^(٢) ، فيما أخذت نار الفتنة في هذا الأثناء تندلع في الأندلس بسبب انحسار الدور الموحدية وظهر على الساحة شخصيتين هما محمد بن يوسف بن هود^(٣) ومحمد بن يوسف بن الأحمر^(٤) ، وفي أول الأمر

(١) نزهة المشتاق، ٢/٥٨٠.

(٢) ينظر عن نهاية الوجود الموحدية في الأندلس : عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣ / ٣٨٩ - ٣٩٨.

(٣) وهو من سلالة بني هود حكام سرقسطة ملك مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية بعد انقراض دولة الموحدين وأعلن الخطبة العباسية، وكانت وفاته سنة ٦٣٥هـ / ١١٣٧م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٨ - ٢٨٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤٦ - ٢٥٠، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/٤١١ - ٤٢٧.

(٤) محمد بن يوسف بن الأحمر النصيري من سلالة الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري ظهر في أواخر الدولة الموحدية في الأندلس وخضعت له العديد من المعامل الجنوبية ومنها غرناطة، وأخذ سلطانه يتسع بعد وفاة ابن هود، وتمكن من تكوين مملكة له وراثية استمرت حتى نهاية الإسلام في الأندلس، وكانت وفاته سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣ / ٤١٤ - ٤٣٦.

ذاع صيت ابن هود واستولى على عدد من مناطق شرق ووسط الأندلس وأعلن الخطبة العباسية ، إلا أنه لم يستطع تجاهل القوة الرئيسية في الأندلس الأوسط (أي ملك قشتالة) فاضطر إلى مهادنته على أن يقره على قرطبة مقابل أن يسلمه ثلاثين حصناً^(١) وكان ذلك سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م ، وفي السنة التالية (أي ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م) تمكن ملك قشتالة فرناندو الثالث من الاستيلاء على قرطبة^(٢) ، وكان بسقوطها أن سقطت أيضاً جميع مدن وحصون الأندلس الأوسط ولاسيما تلك التي كانت تقع إلى الشمال منها.

وعلى الرغم من عدم ورود تفاصيل عن تاريخ سقوط فحص البلوط بيد النصارى ، إلا أننا نستطيع من خلال النصوص أعلاه أن نرجح أنها خرجت من أيدي المسلمين قبيل سقوط قرطبة بقليل ، وذلك لأن مدينة غافق وهي قسبة فحص البلوط كانت حتى سنة ٦٢٣هـ / ١٢٣٥م بيد المسلمين - كما مرّ بنا - ، كما أن ابن هود عقد مع الملك القشتالي هدنة مقابل التنازل له عن ثلاثين حصناً سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م وهذه أغلبها من حصون شمال قرطبة ، وعليه فإن هذا التاريخ هو الأنسب في تقديرنا لسقوط مدن وحصون فحص البلوط بيد النصارى.

(١) ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٩؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين

والموحدين، ٣/٤١٧

(٢) ينظر عن سقوط قرطبة بيد الملك القشتالي سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م: ابن

عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٤١.

ثالثاً: الحياة الفكرية في فحص البلوط

دام الحكم الإسلامي في منطقة فحص البلوط للمدة (٩٢-٦٣٢هـ / ٧١٠-١٢٣٤م) أي أكثر من خمسة قرون ، وقد سكنها العرب والبربر فكانوا أنموذجاً في التعايش السلمي ، فخلال استعراضنا لتاريخ المنطقة لم يرد في مصادرنا ما يشير إلى حدوث نزاع أو صراع بين مكونات المجتمع وهو ما يؤشر أن الصراعات التي حدثت في مناطق أخرى من الأندلس كانت مفتعلة ويقف وراءها بعض أرباب المصالح ، وكان لقرب المنطقة من قرطبة أثرها في نشاط الحركة العلمية ، فنجد أن أغلب من أسهموا من أهلها في مجالات العلوم المختلفة كانوا قد تلقوا علومهم هناك ، ولعل عاملاً آخر ساعد على ذلك هو غنى المنطقة ما دفع العديد منهم إلى السفر وتلقي العلوم في مراكز العلم في قرطبة ، وقد نبغ العديد في مجالات المعرفة نذكر منهم:

- إبراهيم بن شجرة البلوي ، من إقليم بلى من فحص البلوط
ولي قضاء إشبيلية لعبد الرحمن الداخل ، وتوفي سنة ١٥٨هـ / ٧٧٤م^(١).
سنة ١٥٨هـ / ٧٧٤م^(١).

- أحمد بن محمد بن ذكوان من بربر فحص البلوط ، ولاء
محمد بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ / ٩٧٦-١٠٠١م) القضاء وتوفي في أيام

(١) ابن الأبار، التكملة، ١/ ١١٣

الفتنة سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م^(١).

-أسود بن سليمان بن يعيش الغافقي من مدينة غافق من فحص البلوط ، ولي قضاء فحص البلوط للأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)^(٢).

-أيوب البلوطي كان أحد الصالحين من فحص البلوط ، ويقال أنه كان مجاب الدعوة ، فأنجس المطر مرة أيام الحكم بن هشام (١٨٠-١٨٠هـ/٧٩٦-٨٢١م) فنأدى عليه القاضي أن يستسقي للناس ، فقال للقاضي ما أردت إلا وشهرتي ، فعزم عليه القاضي ، فدعا الله فنزل المطر ثم اختفى فلا يعرف له خبر^(٣).

-حريز بن حكم بن عكاشة كان شاعراً ، ولي قلعة رباح للقادر بن ذي النون أسره أهل حصن مسطاطة من فحص البلوط وأرسلوه إلى المعتمد بن عباد وقتل سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م ، ومن شعره يمدح أحد الوزراء:

يَا فَرِيداً دُونَ ثَّانٍ	وَهَلْ أَلَا فِي الْعِيَانِ
عَدَمَ الرِّاحِ فَصَّارَتِ	مِثْلَ دَهْنِ الْبِلْسَانِ
فَبَعَثَ بِمَطْلُوبِهِ وَجَاوِبِهِ بِقَوْلِهِ:	
جَاءَ مِنْ شَعْرِكَ رَوْضٌ	جَادَهُ صَوْبُ الْبَيْانِ

(١) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٢١٥/١ - ٢١٦.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ١٧٢/١

(٣) ابن الأبار، التكملة، ١٦٤/١

فبعثناها سلفاً كسجاياك الحسان

يا فريداً لاجاري بين أبناء الزمان^(١)

- أم الحسن بنت سعيد وهي أخت القاضي منذر بن سعيد الكزني البلوطي ، كانت مقيمة بفحص البلوط بلدهم ، من خيرات النساء فاضلة متعبدة في مسجد لها لصق بيتها يقصدها عجائز ناحيتها وصورالح نسائهم للذكر والتفقه في الدين ودراسة سير العابدين فكان لها ببلدها شأن كبير^(٢) ، وهي من أبناء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي لأن أخيها المنذر بن سعيد توفي سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٥م^(٣).

- خالد بن سعيد بن سليمان الغافقي من مدينة غافق من فحص البلوط ، ولي قضاء البيرة Vera للأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ثم قضاء وشقة Huesca سنة ٢٥٢هـ / ٨٦٦م^(٤).

- سعيد بن سليمان بن حبيب الغافقي البلوطي ، يكنى أبا خالد ، أصله من مدينة غافق قسبة فحص البلوط ، وولاه الأمير عبد الرحمن الأوسط قضاء الجماعة بقرطبة ، وقد كان ولي قبل ذلك قضاء ماردة Merida ، وكان من خيار من ولوا القضاء للأمير عبد الرحمن الأوسط ، روى الحديث عن الفقيه أبي عثمان سعيد

(١) ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٧٩/٢.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٢٤٥/٤.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٠٥.

(٤) ابن الأبار، التكملة، ٢٣٧/١.

بن عثمان الأعناقى^(١) ، وعن محمد بن وضاح^(٢) أنه كان يقول: ولي القضاء أربعة ما ولي القضاء في مملكة الإسلام مثلهم ، فاتصل بهم العدل في آفاقها: دحيم بن اليتيم^(٣) بالشام ، والحارث بن مسكين^(٤) بمصر ، وسحنون بن سعيد^(٥) بالقيروان ، وسعيد بن

(١) وهو أبو عثمان سعيد بن عثمان بن سعيد بن سليمان التجيبي الأعناقى من أهل قرطبة، سمع من محمد بن وضاح ومحمد بن عبد السلام الخشني، وله رحلة إلى المشرق، وكان ورعا زاهدا عالما بالحديث، توفى سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م، ابن الفرضي، م، ن، ص ١٤٠- ١٤١.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بُزَيْغ مولى الأمير عبد الرحمن بن مُعاوية الداخل، من أهل قُرْطُبَة، رَوَى بِالْأَنْدَلُسِ عن محمد بن عيسى الأعشى، ومحمد بن خالد الأشج، وغيرهم، ورحل إلى المشرق فسمع من أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم، ورجع إلى الأندلس فصار لها دار حديث، وتوفى سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٠٤- ٣٠٥.

(٣) عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو بن ميمون أبو سعيد الملقب بدحيم الفقيه قاضي دمشق وطبرية توفى سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، ينظر: ابن عساکر، تاريخ دمشق، ٣٤/١٦٣- ١٦٧.

(٤) الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموي، يكنى أبا عمرو مولى محمد بن زيّان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، كان فقيها على مذهب مالك بن أنس، توفى سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م، ينظر: ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ١/١٠١.

(٥) سحنون هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن جندب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي، أصله من مدينة حمص، فدخل به أبوه مع جندها بلاد المغرب فأقام بها، وانتهت إليه رئاسة مذهب مالك هناك وتوفى سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م، الخشني، قضاة قرطبة، ص ٢٩٦، ٣٠٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/٣٥١.

سليمان بقرطبة ، وكانت له ضيعة في منطقة فحص البلوط قوته منها ، وتوفي سنة ٥٢٤٠هـ / ٨٥٤م^(١).

- عمر بن جزري وقيل أبو عمر حفص ، من أهل فحص البلوط ، محدث سمع من عبيد الله بن يحيى^(٢) وحدث عنه محمد بن محمد بن موهب القبيري^(٣) ، وكان عارفاً بالعريية ، توفي سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م^(٤).

- محمد بن سعيد بن سليمان الغافقي من أهل فحص البلوط ، محدث سمع وهب بن مسرة^(٥) ، كان فقيهاً وإماماً بالعريية ، توفي سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٨م^(٦).

- المنذر بن سعيد بن عبد الملك البلوطي الكزني ، من أهل فحص

(١) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ١/١٤٧.

(٢) هو عبيد الله بن يحيى بن إدريس محدث من أهل قرطبة توفي سنة ٣٤٠هـ / ٩٥٤م، ابن الضري، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٠٧.

(٣) هو محمد بن موهب بن محمد التجيبي القبيري، من أهل قرطبة روى عن أبي محمد عبد الله بن علي الباجي، وأبي محمد عبد الله بن قاسم القاضي وغيرهما، وله رحلة إلى المشرق أخذ فيها عن أبي محمد بن أبي زيد الفقيه بالقيروان، ثم عاد إلى الأندلس وتوفي سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٥م، ابن بشكوال، الصلة، ص ٤٧١.

(٤) ابن الأبار، ٣/١٤٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٦/٢٩٢.

(٥) هو وهب بن مسرة بن مفرج بن حكم التميمي، من أهل وادي الحجارة سمع بقرطبة من محمد بن وضاح وقاسم بن أصبغ، كان حافظاً للفقهِ بصيراً بالحدِيث مع ورع وفضل، وكانت الرحلة إليه من الثغر كله للسمع، توفي سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م، ابن الضري، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٣٠ - ٤٢١.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧/١٨٧.

البلوط ، انتقل إلى قرطبة ، وولي القضاء بها ، كان نحوياً فاضلاً وخطيباً مصقفاً وشاعراً بليغاً ، وكان وقوراً صليماً في الحكم مقدماً على إقامة العدل والحق وإزهاق الجور والباطل أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، له كتب في السنّة والورع والردّ على أهل الأهواء والبدع ، ومن مصنفاته: كتاب أحكام القرآن ، وكتاب الناسخ والمنسوخ ، وله رسائل وخطب مجموعة وأشعار متفرقة ، وكان منذر بن سعيد شديداً في دينه لا يأخذه في الله لوم لائم ، وكانت له مقامات بين يدي الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) يتناوله فيها بالعظات والزواجر غير هيّاب ولا محتشم ، من ذلك أن الناصر كان كلفاً بعمارة الأرض وتخليد الآثار الدالّة على قوّة الملك وعزّة السلطان وعلوّ الهمة ، فأفضى به الإفراط في ذلك إلى أن ابتنى الزهراء Azahara البناء الشائع ذكره ، واستفرغ جهده في إتقان قصورها وزخرفة دورها ، حتى ترك شهود الجمعة بالمسجد الجامع ثلاث جمع متواليات ، فأراد القاضي منذر تنبيهه بما يتناوله به من الموعظة ، وتذكيره بالإنباة والرجوع ، فابتدأ خطبته في الجمعة الرابعة بقوله تعالى (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ)^(١) ثم وصله بقوله تعالى (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى)^(٢) وهي دار القرار ومكان الجزاء ، ومضى في ذم تشييد البناء وزخرفته ، والإسراف في الإنفاق عليه ، ثم أتى بما يناسب المقام من التخويف بالموت والدعاء إلى الزهد في الدنيا ، والإقصار عن اللذات والشهوات

(١) سورة الشعراء، آية ١٢٨ .

(٢) سورة النساء، آية ٧٧ .

واتباع الهوى ، وأورد أحاديث تشاكل ذلك ، حتى خشى الناس وبكوا وأعلنوا بالتوبة والاستغفار ، وأخذ الناصر من ذلك بأوفر حظ ، وقد علم أنه المقصود بالموعظة فبكى وندم على ما أفرط وفرط ، إلا أنه وجد على منذر لما قرّعه به ، فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر فقال: والله لقد تعمّدني منذر بخطبته وما عنى بها غيري ، فأسرف وأفرط في تقريعي ، ثم أقسم أن لا يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة ، فكان يصلي بقرطبة وترك الصلاة بالزهراء ، فقال له الحكم: ما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال به إذ كرهته ، فزجره وانتهره وقال له: أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا أم لك يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد ، هذا ما لا يكون ، وإنني لأستحيي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شقيقاً مثل منذر في ورعه وصدقه ، ولكنه أخرجني فأقسمت ، ولوددت أنني أجد سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي ، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى ، فما أظننا نعتاض منه أبداً ، وكان المنذر على متانته وصلابته حسن الخلق كثير الدعابة له شعر حسن منها قوله:

مقالي كحدّ السيف وسط المحافل

أميزبه ما بين حقّ وباطل

بقلب ذكيّ قد توقّد نوره

كبرق مضيء عند تسكاب وابل

فما زلقت رجلي ولا زلّ مقولي
ولا طاش عقلي عند تلك الزلازل
وقد حدّقت حولي عيون إخالها
كمثل سهام أثبتت في المقاتل
أخير إمام كان أو هو كائن
بمقتبل أو في العصور الأوائل
وفود ملوك الروم حول فنائه
مخافة بأس أو رجاء لنائل
فحش سالما أقصى حياة مؤملاً
فأنت رجاء الكلّ حاف وناعل
ستملكها ما بين شرق ومغرب
إلى أرض قسطنطين أو أرض بابل
توفي منذر بن سعيد سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م^(١).

(١) ينظر عنه: الإشبيلي، طبقات النحويين، ص ٢٩٥؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٠٤- ٤٠٥؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٣٤٨- ٣٤٩؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٤٦٥- ٤٦٦؛ ياقوت، معجم الأديباء، ٦/٢٧١٧- ٢٧٢٢؛ ابن الأبار، التكملة، ٢/١٤٢- ١٤٣؛ القفطي، أنباه الرواة على أنباه النحاة، ٣/٣٢٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/٢٣٨- ٢٤٠.

الغائمة

تقع كورة فحص البلوط إلى الشمال الغربي من قرطبة ، وجاء اسمها من طبيعة أرضها ومن أشجار البلوط التي تكثير فيها ، وكان لتلك الأشجار أثر كبير على السكان لكثرة استخداماته ، كما اشتهرت المنطقة بوجود المعادن ومنها معدن الزئبق الذي ليس له نظير ، وما انعكس على حالة السكان الاقتصادية.

فتحت منطقة فحص البلوط بعد فتح قرطبة مباشرة وذلك سنة ١٠٧١هـ/١٠٧١م ، ولغنى المنطقة وقربها من قرطبة جعلها لم تشهد أحداثاً كبيرة لقرون عدة ، ولكن بعد سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م واستئناف النصارى حركة الاسترداد تحولت إلى ثغر فكانت عرضة لهجمات النصارى طيلة العهد المرابطي والموحدي ، وكان سقوطها بيد ملك قشتالة قبيل سقوط قرطبة في حدود سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م.



مدینة قلعة آیوب الأندلسیة

٩٤ - ٥١٣هـ / ٧١٢ - ١١١٩م

أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة قلعة أيوب Calatayud

وردت كلمة القلعة عند ابن الخراط بأنها حصن منيع في الجبل ، وجمعها قلاع ، وقلع واقتلعوا هذه البلاد فجعلوها كالقلعة ، وقيل: القلعة بسكون اللام حصن مشرف ، وجمعه قلع وقلاع جمع قلع وهو الكنف الذي يكون فيه المتاع ، والقلاع بالأندلس كثيرة فأشهرها قلعة أيوب من جهة سرقسطة Saragaosa^(١) ، وقلعة رباح Calatrava^(٢) بين قرطبة Cordoba^(٣) وطليطلة Toledo^(٤) وقلعة

(١) تعد مدينة سرقسطة من مدن الأندلس الحصينة، تقع إلى الشمال الشرقي من قرطبة، وتسمى المدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها. ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٨- ١٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٧.

(٢) تقع مدينة قلعة رباح بين مدينتي قرطبة وطليطلة، وإلى الغرب من الأخيرة وتعد من أعمالها، وهي من المدن الحصينة. ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٠؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٢٥؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٨٦.

(٣) وهي قاعدة الأندلس وأم المدن الأندلسية، تقع على نهر كبير وعليه قنطرة، وفيها آثار كثيرة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦- ٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦- ٤٥٩.

(٤) مدينة أندلسية قديمة كانت قاعدة ملوك القوط الغربيين، وهي حصينة لها عدة أسوار، وتقع على نهر تاجة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩- ٢٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٣- ٣٩٥.

المسور وقلعة خولان^(١) وغيرها^(٢).

وهناك من يربط القاعة بالحصن معللاً ذلك من أن الحصن عندما يتوسع يصبح أكبر حجماً يطلق عليه اسم قلعة ، وهي مدينة كبيرة محصنة ، مثل قلعة أيوب وقلعة رباح وغيرها^(٣).

وأشارت المصادر إلى أن قلعة أيوب محدثة^(٤) ، وهذه اللفظة تدل على أنها أنشأت بعد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية Iberia^(٥) ، إذ هناك من يرجع بناؤها إلى عهد الوالي أيوب بن حبيب اللخمي التي سميت نسبة إلى اسمه وهو ابن أخت الوالي موسى بن نصير الذي حكم الأندلس بعد مقتل الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير^(٦) ، إذ ذكر أن موقع قلعة أيوب كان عبارة عن حصن روماني قديم يسمى Bilbills ، إلى أن قام أيوب بن حبيب اللخمي ببناء هذا الحصن فتحول إلى مدينة سميت باسمه^(٧).

-
- (١) وهي قلعة كبيرة تقع بين مدينتي الجزيرة الخضراء وإشبيلية، ينظر: أرسلان، التحلل السندسية، ١، ٢٩٧.
 - (٢) اختصاراقتباس الأنوار، ص ١٨٤.
 - (٣) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦٩؛ وينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٩٠.
 - (٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤١؛ البكري، المسالك والممالك، ٢/٩٠٩.
 - (٥) يسمي الجغرافيون العرب المسلمون المدن التي أنشأت بعد الفتح الإسلامي بالحدثة، أما التي كانت موجودة قبل الإسلام فتسمى بالقديمة أو الأثرية.
 - (٦) أرسلان، التحلل السندسية، ٢/٩٣؛ السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٥٢.
 - (٧) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٤٤.

وليس لدينا ما يرجح ذلك ، لاسيما وأن مدة حكم أيوب اللخمي كانت قصيرة وهي ستة أشهر من سنة ٩٧هـ/٧١٥م^(١) ، وكان المسلمون آنذاك منشغلين بعملية الفتح العسكري للمناطق التي كانت خاضعة للقوط الغربيين Visigoths ، فليس من المرجح أن يقوم ببناء مدينة هناك في وقت كانت العمليات العسكرية مستمرة ، كما لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا سبب تسميتها بذلك ، ولعل أيوب اللخمي الذي كان أحد القادة العرب في جيش موسى بن نصير^(٢) قد أسكن بعض جنده في هذا الحصن فنسب إليه إلى أن تم بناءها سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م في إمارة محمد بن عبد الرحمن الثاني(٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) - كما سيأتي -.

تقع مدينة قلعة أيوب في الثغر الأعلى الأندلسي ، وتعد من أعمال مدينة سرقسطة^(٣) ، إذ تبعد عنها خمسين ميلاً^(٤) ، وهي أيضاً على مقربة من مدينة سالم Medinaceli^(٥) ، إذ أن المسافة بينهما خمسون ميلاً^(٦) إلى الجنوب الغربي^(٧) ، كما أنها تقع أيضاً

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٤؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٥١.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦/٢٩.

(٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٩؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٣١؛ المقرئ، نضح الطيب، ١/١٦٦.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٥٤؛ الميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكابيل والأوزان الإسلامية، ص٩٨.

(٥) الحميري، الروض المعطار، ص٤٩٦.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٥٤.

(٧) ينظر الخارطة.

بالقرب من مدينة دروقة^(١) إذ تقع الأخيرة إلى الجنوب الشرقي منها^(٢)، وقد تحدث عن ذلك الإدريسي بقوله: (ومن مدينة قلعة أيوب في جهة الجنوب إلى قلعة دروقة Daroca ثمانية عشر ميلاً)^(٣)، ومن المدن الأخرى القريبة من قلعة أيوب مدينة ركلة، إذ أشار إلى ذلك الحميري بقوله: (ركلة مدينة بالأندلس بقرب سرقسطة وقلعة أيوب...)^(٤).

صنفت مدينة قلعة أيوب ضمن إقليم أرنيط والذي يضم مدينة قلعة أيوب وقلعة دروقة ومدينة سرقسطة ووشقة Huesca^(٥) وتطيلة Tudela^(٦) (٧)، وقد وصف الإدريسي حصانتها ومناعتها بقوله: (بقلعه: ...، مدينة رائقة البقعة حصينة شديدة المنعة بهيئة

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ٢٣٥.

(٢) ينظر الخارطة.

(٣) نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢.

(٤) الروض المعطار، ص ٢٦٨.

(٥) مدينة أندلسية بينها وبين مدينة سرقسطة خمسون ميلاً، ولها حصون عديدة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٨.

(٦) تقع مدينة تطيلة في الثغر الأعلى الأندلسي، شمال مدينة سرقسطة، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ٩٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٣/٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٠٤.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢؛ ولزيد من التفاصيل عن الأقاليم الثلاثة الأخرى، ينظر: السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٥٦-٥٧.

الأقطار...»^(١).

ومن أعمال مدينة قلعة أيوب مدينة مليانة^(٢) ، كذلك مدينة دروقة^(٣) ، إذ قال العذري عنها: إنها على الطريق بين قرطبة وسرقسطة وهي أقرب إلى سرقسطة ، إذ بينهما وبين سرقسطة فحص الحمام^(٤).

كما تحدث الحميري عن مدينة دروقة وقربها من مدينة قلعة أيوب بقوله: (دروقة مدينة بالأندلس من عمل قلعة أيوب عظيمة في سفح جبل ، وعلى مقربة منها كنيسة أبروية لها ثلاثمائة باب وستون باباً ، وهي من إحدى عجائب البنيان)^(٥).

وكان لوجود الجبال حول مدينة قلعة أيوب أن أصبحت منطقتها منبع للعديد من الأنهار في الأندلس ، ولاسيما نهر الابرو Ebro الذي يكون مصدر مياه أحد فروعه من مدينة قلعة أيوب ماراً بمدينة سرقسطة وبعدها يصب في البحر المتوسط ، وقد أشار إلى ذلك الإدريسي بقوله: سرقسطة(وهي على ضفة النهر الكبير المسمى ابره وهو نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الروم وبعضه من جهة جبال

(١) نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢.

(٢) المقري، نضح الطيب، ١٦٦/١.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٢٣٥.

(٤) ترصيع الأخبار، ص ٢١.

(٥) الروض المعطار، ص ٢٣٥.

قلعة أيوب وبعضه من نواحي قلهرة^(١) فتجتمع مواد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة إلى أن تنتهي إلى حصن جبرة إلى موقع نهر الزيتون ثم إلى طرطوشة^(٢) فيجتاز بغربها إلى البحر،...^(٣).

ومن الأنهار الأخرى التي تمر بمدينة قلعة أيوب نهر شلون (خالون) Rio Jalon ، وقد بين العذري ذلك بقوله: (... ، ومنها نهر شلون الذي عليه مدينة سالم^(٤) ومدينة حريرة^(٥) ومدينة قلعة أيوب ، ويسقي مدينة روطة^(٦) ، ويأخذ في سهل وعر ويسقي من الأرض ما لا يحصى كثرة...^(٧).

كما ذكر عنان أن المنطقة الممتدة من نهر شلون حتى مدينة

(١) وهي مدينة تقع في الثغر الأعلى الأندلسي، وتعد من أعمال مدينة تطيلة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٣.

(٢) مدينة أندلسية تتصل بأحواز مدينة بلنسية، تقع على ساحل جبل ولها سور حصين، وتشتهر بصناعة السفن الكبيرة لوجود خشب الصنوبر الغليظ، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٦- ١٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩١.

(٣) نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢؛

(٤) مدينة أندلسية تقع بالقرب من مدينة قلعة أيوب، وتعد من المدن الحصينة، ولها آثار كثيرة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦٩.

(٥) مدينة أندلسية تقع بالقرب من مدينة قلعة أيوب، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٢.

(٦) مدينة أندلسية تعد من حصون مدينة سرقسطة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٣٣.

(٧) ترصيع الأخبار، ص ٢٢.

قلعة أيوب ودروقة تعد من أجمل المناطق ، إذ تكثر فيها الوديان
الليانة والمواقع الإستراتيجية^(١).

ولعل توفر المياه بوجود الأنهار والعيون بالقرب من مدينة قلعة
أيوب جعلها تشتهر بالزراعة ، وقد تحدث الإدريسي عن ذلك بقوله:
(... ، كثيرة الأشجار والثمار عيونها مخترقة وينابيعها مغدودة كثيرة
الخصب رخيصة الأسعار،...)^(٢) ، ولذلك اشتهرت مدينة قلعة أيوب
بأنها منطقة عشبية ، وتكثر في أراضيها المراعي حالها حال المدن
الأخرى مثل إشبيلية^(٣) Sevilla وبلنسية^(٤) Valencia وغيرها^(٥).

كما اشتهرت هذه المدينة بوجود المر الطيب^(٦) ، وقد أشار إلى
ذلك البكري بقوله: (ويوجد بجبال قلعة أيوب المر الطيب)^(٧) ، كما
اشتهرت بصناعة الغضار المذهب^(٨) ، وقد أوضح الإدريسي إلى ذلك

(١) دول الطوائف، ص ٢٥٥.

(٢) نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢.

(٣) مدينة أندلسية قديمة بناها يوليوس قيصر، تبعد عن قرطبة ثمانون ميلاً،
ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨- ٦٠؛ أبو الفدا، تقويم البلدان،
ص ١٧٤- ١٧٥.

(٤) مدينة أندلسية تقع في شرق الأندلس، وهي من قواعد الشرق المهمة، لها
أسواق ويساتين كثيرة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٦؛ الحميري،
الروض المعطار، ص ٩٧- ١٠٠.

(٥) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٨٧.

(٦) المر هو صمغ شجر يستخدم كدواء نافع للسهال، عبد الحميد، معجم
اللغة العربية المعاصرة ٢٠٨٦/٣

(٧) المسالك والممالك، ٨٩٦/٢.

(٨) الغضار المذهب وهو الخزف الأخضر، ابن منظور، لسان العرب، ٩٩٣/٢.

بقوله: (... ، وبها يصنع الغضار المذهب ويتجهز به إلى كل الجهات)^(١).

وعليه فإن مدينة قلعة أيوب كانت مدينة متحضرة وتمتع برحاء اقتصادي ورخص في الأسعار ، وهو ما أشار إليه ابن حيان أثناء حديثه عن تجوال الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) في أحواز مدينة سرقسطة بقوله: (... ، واتخذ من مدينته الأسواق القائمة ، وقوم إليها الطرق من البلاد البعيدة ، فصار عسكره يمار من تطيلة وطرسونة^(٢) وقلعة أيوب ووادي شلون وركلة وحويزة ووادي حنيفة وغيرها من الجهات ، فكان أهلها في رخاء وسعة معيشة ،...)^(٣).

أما آثار مدينة قلعة أيوب فهي عديدة ، فمباني هذه المدينة من الطين الجفف في الشمس ، وفيها كنيسة يقال لها كنيسة سانتا مرية ، ولها منارة للجرس كانت في أصلها مئذنة ، وهناك أيضاً كنيسة أخرى تسمى كنيسة القبر المقدس ولها برجان ، وكانت هذه في الماضي أعظم مركز لفرسان الهيكل^(٤) في أسبانيا ، ويرجع تاريخ

(١) نزهة المشتاق، ٢/٥٥٤.

(٢) مدينة تقع في الثغر الأعلى الأندلسي بينها وبين تطيلة أربعة فراسخ، وهي من أعمال تطيلة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٨٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٨٩.

(٣) المقتبس (للقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٦٠.

(٤) وهي فرقة دينية تعد من جماعات الفرسان النصرانية أسسها الفوتسو الأول المحارب سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، وكانت نهمتها محاربة المسلمين وإخراجهم من المناطق النصرانية، ينظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٥١٨ - ٥١٩.

بناء هذه الكنيسة إلى سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م أي بعد إجلاء المسلمين عن مدينة قلعة أيوب بمدة قليلة اثر سقوطها بيد النصارى الأسبان^(١).
كما يوجد بالقرب من قلعة أيوب عدد من الكهوف أشهرها الكهف الذي يطلق عليه (المررية) Moreria ، وكذلك المغاور التي يقال لها (كامينو سوليدالا) Camino de lasoledad ، وإلى الشرق من قلعة أيوب على الطريق المؤدي من ماردة Merida^(٢) إلى سرقسطة ، كانت مدينة (بيلبيليس) Bilbilis وهي مدينة بناها بعض الايطاليين في المائة الميلادية الأولى ، وكانت هذه المدينة موصوفة بحسن الصياغة ، وبإتقان صنعة الأسلحة ، وبترية الخيل المسومة^(٣).
ويوجد أيضاً بالقرب من قلعة أيوب مدينة تعرف باسم (فيلا فيليش) Villa Feliche وفيها آثار مساجد إسلامية^(٤).

كما أن الخط الحديدي بين مدينتي قلعة أيوب وسرقسطة يمر على ثمانية جسور معقوداً أكثرها على نهر شلون ، وهو يخترق أحشاء جبال بيكور ، وأن منظر ضفاف نهر شلون هو أبداع مناظر الأندلس بما فيه من خضرة ناضرة ، وجنان زاهرة ، ولا تزال القرى

(١) أرسلان، التحلل السندسية، ٩٣/٢.

(٢) مدين أندلسية تقع بجويف قرطبة منحرفة إلى الغرب قليلاً، وتبعد عن مدينة بطليوس عشرين ميلاً، وفيها آثار كثيرة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٨ - ٥١٩.

(٣) أرسلان، التحلل السندسية، ٩٣/٢.

(٤) أرسلان، التحلل السندسية، ٩٤/٢.

والقصاب منتظمة بلبة نهر شلون إلى أن تبلغ سرقسطة ، ومن جملتها بلدة(كالاتوراو) وهي مدينة رومانية قديمة حصنها المسلمون وأقاموا بها ، وبالقرب منها بلدة(ساليلاس) وفيها بيوت منحوتة في الجبل ، ثم بلدة(أبيلة) ، ولعلها التي يسميها العرب لبلبة من عمل سرقسطة ، هي بجذاء سلسلة جبال يقال لها الشارات(مولا) ، وبجذاء تلك الجبال مدينة روضة Rota وفيها حصن قديم من بناء المسلمين^(١).

أما مدينة دروقة التابعة لقلعة أيوب ، فكانت ذات موقع بديع ضمن واد عميق من وادي جلق ، وتعود هذه المدينة إلى عهد الأيبيريين القدماء ، ولكنها عمرت كثيراً في العهد الإسلامي ، إذ فيها قلعة من بناء المسلمين عرفت بقلعة دروقة ، كما كان لها سور عظيم طوله ثلاثة كيلومترات وعليه ١١٤ برجاً^(٢).

والى الشمال الشرقي من مدينة دروقة وجد سرداب طويل يزيد على خمسمائة متر ، ويعلو على ستة أمتار ، لأجل تصريف المياه في وقت الفيضان نحو وادي جلق ، وأيضاً على مقربة من دروقة مدينة تقع في سهل مربع تسمى(باغنه) Bagiena ، ومدينة أخرى اسمها(كلموشة) Calamocho ، ثم بلدة تسمى(كاميزيال) Caminreal على نهر يقال له(ريجه) واقع على الطريق بين سرقسطة وبلنسية^(٣).

(١) أرسلان، التحلل السندسية، ١٠٧/٢.

(٢) أرسلان، التحلل السندسية، ٩٤/٢.

(٣) أرسلان، التحلل السندسية، ٩٤/٢.

ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة قلعة أيوب

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة عن كيفية فتح منطقتها ، ووقت دخول المسلمين إليها ، ولكن بعد أن التقى موسى بن نصير بطارق بن زياد في مدينة طليطلة سنة ٩٤هـ / ٧١٢م^(١) ، واصلا جهودهما الرامية لإكمال الفتح الإسلامي لشبه جزيرة أيبيريا ، وانقسمت قواتهم إلى قسمين ، إذ توجه طارق بن زياد إلى الغرب والشمال الغربي ، في حين سار موسى بن نصير إلى الشرق والشمال الشرقي متوجهاً إلى مدينة سرقسطة^(٢) ، ولا نستبعد أن مدينة قلعة أيوب قد فتحت من قبل موسى بن نصير ، وذلك لوقوعها على خط سير قواته ، أضف إلى ذلك أنها تعد من توابع سرقسطة المهمة لما تتمتع به من موقع مهم ، ومما يرجح ذلك ما أشار إليه مؤلف مجهول بقوله: (... ، ثم سار حتى افتتح سرقسطة ومدائها...) (٣) ، في حين تحدث ابن عذاري عن ذلك بقوله: (ولما التقى موسى بطارق ، وجرى له معه ما جرى ، تقدم من طليطلة إلى سرقسطة ، فافتتحها ، وافتتح ما حولها من الحصون

(١) المقري، نوح الطيب، ٢٦٥/١؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص٨٣.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ١٠٤؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص١٠١.

(٣) أخبار مجموعة، ص١٩.

والمعاقل...^(١)، وكان ذلك سنة ٩٤هـ / ٧١٢م^(٢).

ويبدو أن بعض القبائل العربية قد استوطنت بعد الفتح الإسلامي في الشمال الشرقي من الأندلس ، ولاسيما مدينة قلعة أيوب ، منهم قبيلة بني تميم^(٣) ، إذ كانت إحدى القبائل التي ساهمت في الفتح ، فقد ضمت حملة موسى بن نصير العديد من قادة هذه القبيلة من أمثال عميرة بن المهاجر التجيبي وأخيه عبد الله بن المهاجر ، وقد استقر هذان الأخوان وأتباعهما في الشمال الشرقي من الثغر الأعلى الذي أصبح الموطن الرئيسي لقبيلة تميم في الأندلس ولاسيما سرقسطة ودروقة وقلعة أيوب^(٤) ، ويبدو أن هؤلاء فضلوا الاستقرار في هذه المنطقة بسبب ما تشتهر به من مصادر طبيعية غنية ، كالمالح والفواكه الكثيرة فضلاً عن خصوبة تربتها^(٥).

ومن القبائل العربية التي استوطنت قلعة أيوب قريش منهم من ينتسب إلى بني أمية^(٦) ، وكذلك إلى بني عبد الدار^(٧) ، ومن

(١) البيان المغرب، ١٦/٢ .

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٨ .

(٣) هم بنو أشرس بن كندة وأمهم تميم بنت ثوبان بن سليم من مذحج فنسبوا إليها، دخلوا إلى الأندلس مع موسى بن نصير وسكن قسم منهم سرقسطة وقلعة أيوب، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٠ .

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٠، ٥٠٠؛ التميمي، التميميون في الأندلس، ص ١٣ .

(٥) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٢٤ .

(٦) ابن بشكوال، الصلة، ص ٦٣٧ .

(٧) ابن الأبار، التكملة، ٤٢/٣، ٨٩ .

الأنصار أشارت المصادر إلى أن بعضهم سكن في قلعة أيوب^(١) ، ولكن لم توضح وقت نزولهم بها.

أما القبائل البربرية فيبدو أنها كانت أقل وضوحاً من حيث الانتشار في منطقة قلعة أيوب ، إذ كانت المراكز المأهولة بالبربر تتمثل في المناطق التي تشمل وادي الحجارة Guadalajara ، ومدينة سالم ، وقلعة أيوب ، وشنتبرية Santebria^(٢) ، وويذة Huete^(٣) ، وتيروال^{(٤)(٥)} ، ومن هذه المجموعات التي عاشت في منطقة قلعة أيوب أيوب والتي لم تحدد المصادر أصولهم بدقة بنو شميظ ، وبنو دروقة الذين استقروا مبكراً في ناحية دروقة التي سميت على اسمهم^(٦) ، وتبعد هذه المدينة مسافة قصيرة عن قلعة أيوب ، لذلك لا نستبعد

(١) ابن الأبار، التكملة، ١٤٥/٢، ١١٧/٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٨٥/٣٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٩/٣.

(٢) مدينة أندلسية تعد من أعمال مدينة طليطلة وتقع شرق قرطبة وتتصل بأحواز مدينة سالم، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٩؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٧١.

(٣) مدينة أندلسية من أعمال شنتبرية، وتبعد عن مدينة قونكة ثلاثة مراحل، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢.

(٤) مدينة أندلسية تبعد عن مدينة قلعة أيوب مسافة ١٣١ كم وتقع إلى الشرق الشرق من مدينة بلنسية، ينظر: أرسلان، الحلل السندسية، ١٠٠/٢.

(٥) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٦ وما بعدها؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٨٤.

(٦) العذري، ترصيع الأخبار، ص٤١.

أن استقر قسم منهم فيها.

ظهر اهتمام المسلمين بمدينة قلعة أيوب منذ عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨- ٢٧٣هـ / ٨٥٢- ٨٨٦م)، إذ كان الدافع وراء ذلك عسكرياً للتصدي لأسرة بني قسي^(١) والوقوف بوجهها وإبعاد خطرهما، لذلك قام الأمير ببناء هذه المدينة، وأسكنها التجيبون وولى عليها زعيمهم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن المهاجر التجيبى سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م^(٢)، وقد علق ابن حيان على ذلك بقوله: (وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن أول من اصطنع هؤلاء التجيبون الظاهرين بالثغر الأعلى عندما أشجاه بنو قسي المنتزون به، فهياً عليهم هؤلاء التجيبين واصطنعهم ونوه بهم وبوأهم مدينة قلعة أيوب، وبنائها لهم وحصنها وأدخل فيها زعيمهم

(١) يرجع نسبهم إلى زعيمهم فرتون بن قسي حاكم إقليم شبة، إذ اعتنق الإسلام سنة ٩٤هـ / ٧١٢م وقصد بلاد الشام لمقابلة الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٨٩هـ / ٧٠٥- ٧١٤م) ولم تشر المصادر إلى دورهم ورجالاتهم الذين حكموا الأندلس حتى نهاية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، إذ ذكرت أن مطرف بن موسى بن فرتون بن قسي قتله أهل بنبلونة سنة ١٨٣هـ / ٧٩٩م وبعد هذه المدة أصبح لهم دور سياسي وعسكري في الأندلس حتى نهاية حكمهم سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م، ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢٠٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢؛ ابن حيان، المقتبس (للقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ / ٧٩٦- ٨٤٦م)، ص١١٥؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص١٠٤.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص٤٩.

ووجههم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن المهاجر التجيبي ، وعقد له على قومه وأمره بجمعهم إليه وبنا له حصن مدينة دروقة وغيرها وتعهدهم بالصلوات وأجرى عليهم المعارف عند الغزوات...^(١).

وأضاف العذري إلى رواية ابن حيان من أن الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني عهد لكل واحد من أسرة بني تميم مائة دينار في كل غزوة يقومون بها لمهاجمة أسرة بني قسي بقوله: (لما ثار بنو قسي على الإمام محمد بثغر سرقسطة نوه بأولاد عبد العزيز التجيبي ، وبني لهم قلعة أيوب ، وأدخل فيها عبد الرحمن بن عبد العزيز... ، ونصبهم لمحاربة بني قسي ، وعقد لهم على قومهم ، وأجرى عليهم من العارف كل واحد عند كل غزوة مائة دينار)^(٢). وعلى أثر ذلك فقد عدّ أحد الباحثين مدينة قلعة أيوب من المدن العسكرية خلال تقسيمه مدن الأندلس وأضاف إليها مدينة قلعة رباح ومدينة القليعة^(٣) وغيرها^(٤).

(١) المقتبس (للحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م) ، ص ٣٩.

(٢) ترصيع الأخبار، ص ٤١؛ وللمزيد من التفاصيل حول المواجهات بين بني تميم وبني قسي ينظر: الساعدي، بنو قسي ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، ص ٨٦ وما بعدها.

(٣) مدينة أندلسية تابعة لمدينة شنتبرية اشتهرت بحصنها الذي يسمى بحصن القليعة على ضفة نهر الوادي الكبير وهو يتوسط مدينتي قطنياته ولوزة، العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤٩.

(٤) الدويدار، المجتمع الأندلسي، ص ٢٣٩.

ولم يستمر عبد الرحمن بن عبد العزيز طويلاً بحكم مدينة قلعة أيوب إذ سرعان ما توفي سنة ٢٧٧هـ / ٨٩٠م في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م)^(١) ، وبعد وفاته عين الأمير عبد الله ابنه المنذر مكانه ، إذ تحدث عن ذلك العذري بقوله: (ولما توفي عبد الرحمن بن عبد العزيز خاطب ابنه المنذر الإمام عبد الله بموت أبيه ، وسأله التسجيل له على ما كان بيده ، فسجل له ، والتزم الطاعة ومجاهدة العدو...) ^(٢).

ويبدو أن أسرة بنو تميم المتمركزة في مدينتي قلعة أيوب ودروقة ، قد أصبحت مدينة سرقسطة أيضاً تحت نفوذها ، فقد كانت هذه الأسرة على الطاعة خلال عهد الأمير عبد الله والأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) ولاسيما محمد بن عبد الرحمن التجيبي عامل سرقسطة ، كذلك أخوه المنذر بن عبد الرحمن الذي استمر عاملاً على قلعة أيوب - كما مر ذكره - وابن أخيه يونس بن عبد العزيز بن عبد الرحمن اللذان بايعا الأمير عبد الرحمن الثالث في بداية حكمه سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م^(٣).

أما بخصوص مدينة قلعة أيوب ، فقد ذكر العذري أن الأمير عبد الرحمن الثالث بعد توليته الأندلس جدد للمنذر بن عبد الرحمن التجيبي على مدينة قلعة أيوب بالقول: (ولما ولي أمير المؤمنين عبد

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤٩.

(٢) ترصيع الأخبار، ص ٤٩.

(٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤٢، ٤٩، ٥٣.

الرحمن كتب ببيعته مع الأمينين عبد الله بن يحيى ، ومحمد بن عبيد الله ، من مضر ، المخرجين لأخذ بيعة العرب وغيرهم من رجال الثغر الأقصى ، وجدد أمير المؤمنين عبد الرحمن له التسجيل ،...^(١).

وقد شارك المنذر مع عبد الرحمن الثالث في التصدي لهجمات النصارى ضد المناطق الأندلسية في الثغر الأعلى ، وسيما في غزوة مويش Muez^(٢) سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م ، إذ جهز عبد الرحمن الثالث حملة عسكرية ضد مملكة نافار Navarre ، وتكونت هذه الحملة من جهات عدة من مناطق الأندلس التحقت بها ، وكانت لأسرة بنو تميم النصيب الأكبر ، إذ ساهم فيها محمد بن عبد الرحمن التجيبي حاكم سرقسطة وكذلك المنذر بن عبد الرحمن التجيبي حاكم قلعة أيوب^(٣) ، والتحقت أيضاً بهذه الحملة أسرة بنو قسي بعد تحسن علاقتها بقرطبة ولاسيما محمد بن عبد الله بن محمد بن لب حاكم تطيلة^(٤).

ويبدو أن التحاق هذه الجموع العسكرية بعبد الرحمن الثالث ،

(١) ترصيع الأخبار، ص ٤٩.

(٢) وهو حصن يقع في بلاد نافار (البشكنس)؛ ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ١٦١؛ العلياوي، البشكنس، ص ١١٦.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٣٠؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤٢ - ٤٩.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٣٩.

قد حسن موقفه العسكري ، وصار بإمكانه توظيفها بالشكل المناسب ، فأرسل مجموعة من المقاتلين بقيادة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب بن قسي إلى حصن قلهرة التابع لمملكة نافار ، وكان هذا الحصن يستخدم كقاعدة عسكرية للنصارى يقومون من خلاله بشن غاراتهم على مدن الثغر الأعلى ، وتمكن محمد بن لب من فتح هذا الحصن سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م ، ثم قدم عليه الأمير عبد الرحمن وأمر بتدمير جميع مباني الحصن^(١) كي لا يرجع إليه النصارى مستقبلاً ، بعدها أخذت القوات الإسلامية بالتقدم نحو حصن دي شره Carcar ، فاستغل النصارى ذلك وغادروا المكان وقاموا بالهجوم على القوات الأندلسية ولكنهم تكبدوا خسائر كبيرة^(٢).

ويبدو أن حاكم قلعة أيوب لم يستمر طويلاً ، إذ سرعان ما دب الخلاف بينه وبين مطرف بن ذي النون^(٣) انتهى بمقتله سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م ، وقد أشار إلى ذلك العذري بقوله: (وقعت الفتنة بينه وبين مطرف بن ذي النون فدارت بينهم حروب ، قتل في بعض

(١) ابن حيان، المقتبس (للمقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ١٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٨/٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٨/٢.

(٣) وهم أسرة من أصل بربري سكنوا منطقة الثغر الأوسط وتمكنوا من إقامة دولة لهم في طليطلة للمدة (٤٢٧ - ٤٧٨هـ / ١٠٣٥ - ١٠٨٥م)، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٥/٢ - ١٧٩؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٢٧ - ٢٢٩.

أيامها ، يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة تسع وثلثمائة^(١).
في حين اختلف ابن حيان مع العذري في تاريخ مقتل المنذر ، إذ
جعلها سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م بقوله: (وفيها قتل المنذر بن عبد الرحمن
التجيبى المنزري بمدينة قلعة أيوب من أعمال سرقسطة ...) ^(٢).

وبعد مقتل المنذر بن عبد الرحمن التجيبى عين الأمير عبد
الرحمن الثالث ابنه عبد الرحمن بن المنذر حاكماً على مدينة قلعة
أيوب^(٣) ، وخلال توليته وقعت بينه وبين ملك نافار شانجة بن
غرسية الأول Sancho Garcia I (٢٩٣-٣١٤هـ / ٩٠٥-٩٢٦م) مواجهة
عسكرية أسفرت عن أسر عبد الرحمن بن المنذر وأخيه مطرف ،
فسأل عبد الرحمن ملك نافار شانجة أن يطلق سراح أخيه كي يقوم
هو بدفع ديتهما ، فأجابته شانجة إلى ذلك ، وأطلق مطرف ، إلا أن
مطرف بعد إطلاق سراحه غدر بأخيه عبد الرحمن واستولى على
مدينة قلعة أيوب ، وبقي عبد الرحمن بن المنذر في أسر شانجة
حتى فدى نفسه ، وبعد إطلاق سراحه قدم على الخليفة عبد
الرحمن الناصر في مدينة طليطلة سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م فوصله وكساه^(٤) ،
واشترك معه في حروبه فيما بعد.

ويبدو أن الخليفة عبد الرحمن الناصر قد أبقى مدينة قلعة أيوب

(١) ترصيع الأخبار، ص ٤٩.

(٢) المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ١٩٨.

(٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥٠.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥٠.

بيد مطرف بن المنذر على الرغم من إطلاق سراح أخيه عبد الرحمن ، بل سجل له ذلك سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م ، وقد وصف العذري ذلك بالقول: (وسجل أمير المؤمنين عبد الرحمن لمطرف بن المنذر على قلعة أيوب يوم الخميس لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ، وكان لما انطلق من عند شانجه ،... ، ودخل قلعة أيوب خاطب أمير المؤمنين عبد الرحمن يرغب التسجيل له ، وبعث وفداً من مشايخ قلعة أيوب بكتاب جماعتهم في ذلك ، فعقد سجله في التاريخ المذكور...) (١) ، في حين ذكر ابن حيان ذلك بقوله: (فيها سجل سجل لمطرف بن منذر القرشي على مدينة قلعة أيوب في جمادي الآخرة منها) (٢) ، ويبدو أن الخليفة الناصر تصرف بصورة واقعة عندما أقر لمطرف التجيبي على قلعة أيوب وذلك لعدم حدوث فراغ إداري قد يُستغل من قبل بعض الطامعين فأراد أن يكون ذلك من قبله ، فضلاً عن رغبة أهالي قلعة أيوب بتولية مطرف.

وبعد ذلك قدم مطرف بن المنذر إلى قرطبة في سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م (٣) ، ولعل هذه الزيارة لتأكيد فروض الطاعة ، ثم شارك في سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣م مع الخليفة عبد الرحمن الناصر في إحدى حملات الصوائف ، كما مع حكومة قرطبة سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤م ضد تمرد محمد بن هاشم التجيبي (٤) ، وقد علق العذري على هذه الأحداث بقوله: (... ، وكان

(١) ترصيع الأخبار، ص ٥٠.

(٢) المقتبس (للقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥٠.

(٤) هو محمد بن هاشم التجيبي ولاة الخليفة عبد الرحمن الناصر على مدينة سرقسطة سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م إلا أنه سرعان ما تمرد عليها، ولئن رجع إلى =

أول مبادر بالخروج إلى العسكر في غزاة أمير المؤمنين عبد الرحمن سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وغزا تلك الصائفة وقتل بقله خروجه إلى وادي الحجارة بعد أن وصل وحمل وكسى ، ولما غزا أمير المؤمنين عبد الرحمن سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة إلى سرقسطة خرج إليه مطرف ، ولازم العسكر محاصر لمحمد بن هاشم^(١) .

إلا أن مطرف بن المنذر لم يستمر طويلاً في طاعته لحكومة قرطبة ، إذ أعلن تمرده وانظم لنصرة قريبه محمد بن هاشم التجيبي ، وعلى إثرها جهز الخليفة عبد الرحمن الناصر حملة عسكرية لمواجهة ذلك ، فخرج سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م ، وعند سماع مطرف بذلك استجاش بنصاري ألبه والقلاع^(٢) وخرج بهم على المسلمين ، وقد علق ابن حيان على ذلك يقوله: (وسار الناصر لدين الله بعساكره نحو الثغر الأعلى ، فبدأ بمطرف بن منذر التجيبي ، ... ، صاحب قلعة أيوب ، ظهير قومه على الخلعان ، وأوصلهم لحزب الشيطان ، فكان قد استجاش المشركين من أهل ألبه والقلاع ، فجاءه

=الطاعة بعد ذلك واشترك مع الناصر في موقعة الخندق حيث أسر سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٨م وبعد إطلاق سراحه عينه الخليفة قائداً على منطقة الثغر الأعلى وبقي في منصبه حتى وفاته سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م، ينظر: العنبري، ترصيع الأخبار، ص٤٦ .

(١) ترصيع الأخبار، ص٥٠ .

(٢) وهي منطقة يطلق عليها اسم قشتالة القديمة، تقع في أقصى الشمال إذ كان المسلمون يسيرون إليها في غزواتهم لملة ليون على طول نهر الابر، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ١/ ١٣٥ - ١٣٦؛ ينظر الخارطة أيضاً .

منهم عدد كثير ، فيهم جماعة من وجوههم وفرسانهم ، ساروا معه داخل المدينة ، فانبسطوا على المسلمين من أهلها ، وآذوهم^(١).

ويدو أن النصارى قد اتخذوا عدة أساليب وحشية ضد أهالي قلعة أيوب ، لذلك رأى الخليفة الناصر أن يبدأ بها ، وبعث كتاباً إلى مطرف يدعوه إلى الطاعة ، وعرض عليه الأمان ، فرفض مطرف الاستجابة لهذه الدعوة ، وقد تحدث ابن حيان عن ذلك بقوله: (وبلغ الناصر لدين الله ذلك ، فساءه وزاد في غضبه على مستدعيهم مطرف ، وضاعف جده به ، وبدأه بكتاب معذراً إليه ، وسامه التنبؤ ممن عنده من النصارى ، ولم يرض منه بسواه ، وبذل له على ذلك أمانه وما تمنى من إقراره على عمله وإعلاء منزلته ، ووقع في الكتاب الذي أنفذه بذلك أسطراً بخطه ، ويؤكد له بما بذله له بنفسه ، ويبسط له أن يوثق منه في اتهامه ، فدفع مطرف ذلك كله لحينه ، وأضرب عن مجاوبة الناصر لدين الله ، وأصر على معصيته ، واغتر بمن معه من النصارى ، ونأى بجانبه...)^(٢).

وقبل محاصرة الخليفة عبد الرحمن مدينة قلعة أيوب ، قام التجبييون بإخلاء مواقعهم الأخرى والانضمام إلى قوات مطرف بن المنذر داخل مدينة قلعة أيوب لإسناد قواته ، لأنهم كانوا يتوقعون الهجوم المحتمل عليهم بعد التحذير الذي تلقاه مطرف من الخليفة

(١) المقتبس (للحقيبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ، ص ٣٩٦.

(٢) المقتبس (للحقيبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ، ص ٣٩٦.

الناصر ، فقد أخلى يونس بن عبد العزيز^(١) مدينة دروقة وحكم بن منذر مدينة تورش ، وكذلك انطوى سائر بني منذر ومن معهم إلى قلعة أيوب بعد أن تخلوا عن ثلاثين حصناً وقصبة تابعة لهم ، إلا أن ذلك لم يمنع الخليفة من التقدم إلى قلعة أيوب ومحاصرتها ، وخلال ذلك توافدت إليه الحشود العسكرية الإسلامية من مدينة سرقسطة للوقوف معه ضد المتمرد مطرف بن المنذر وحلفاءه النصارى ، وقد أحاطت قوات الخليفة الناصر بالمدينة من جميع جهاتها ، وكان ذلك في يوم السبت لثلاث عشر بقين من شهر رمضان سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م^(٢) .

ويعد إكمال الاستعدادات العسكرية اللازمة ، حدثت المواجهة العسكرية بين الطرفين وانتهت بانتصار قوات الخلافة وقتل مطرف بن المنذر وانهزام قواته^(٣) ، وقد وصف ابن حيان ذلك بقوله: (وبرز إليهم الغوي مطرف بن منذر ، مسطياً بأنصاره ، كفار أبه ، فوقت بينهم حرب صعبة ، صابر بها الفريقان حتى صرع مطرف على باب بستان له ، كان فيه أهله ، فانهزم أهل عسكره يريدون المدينة ،

(١) وهو عامل مدينة دروقة عينه الأمير المنذر بن محمد خلفاً لأبيه عبد العزيز، وقد بايع الأمير عبد الرحمن الناصر في أول إمارته سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م، فأقره الأمير على ولايته، وقد استعان به الخليفة للقضاء على تمرد محمد بن هاشم التجيبي، وبقي يونس في حكم دروقة حتى سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م عندما بسط الخليفة الناصر نفوذه عليها فهرب يونس إلى سرقسطة ثم إلى قلعة أيوب فظفر به الناصر وقتله، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤٥- ٥٣.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ / ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٣٩٧.

(٣) ابن خلدون، العبر، ٤/ ١٤٥.

وركب الأولياء أكتافهم ، حتى أقحموهم فيها ، وملكوا عليهم أبوابها ، فدخلت عليها من جهاتها ، وجاشت الخيل أعلاها وأسفلها وصرع المحامون عنها في طرقها وأفنيتها ، فذاقوا عجلاً وبال أمرهم ، وقد غدا بها صباح يومهم ذلك ألوف من أهلها ، فأمست وليس بهم غريب ، وصارت للناظرين عبرة^(١).

وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن أفراد من بني تميم ومن معهم من النصارى من الهرب من ميدان المعركة والالتجاء إلى قلعة المدينة للاحتماء بها ، إذ أشار العذري إلى ذلك بقوله: (ولجأ أكثر المشركين إلى التحصن بقلعة أيوب مع بقية أهل مطرف وشيعته ، فحوصروا ثلاثة أيام حتى تقبض عليهم ، وقتلوا عن آخرهم ،...)^(٢).

أما ابن حيان فقد علق على ذلك بقوله: (ونجا حكم بن منذر ، أخوه الخائن مطرف ، ورجال تميم قاطبة ، ومن معه من قوامس كفار ألبه وأهل الصبر من فرسان الطائفيتين إلى ذروة القصبه فامتنعوا بها ،...)^(٣).

ويبدو أن قوات حكومة قرطبة قامت بملاحقتهم ، وتمكنت من الإمساك ببعض منهم ، ووقعهم كأسرى ، ومنهم يونس بن عبد العزيز التجيبي الدروقي ، فكانت أعداد الأسرى من بني تميم والنصارى المتحالفين معهم كبيرة جداً ، فأمر الخليفة الناصر بقتلهم جميعاً^(٤).

(١) المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٥٣٣٠ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٩٧، ٤١١.

(٢) ترصيع الأخبار، ص ٥١.

(٣) المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٥٣٣٠ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٩٧.

(٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٥٣٣٠ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٩٨.

أما البعض الآخر من النصارى ورجال بني تميم ممن تمكنوا من الوصول إلى القصبة والتحصن بها ومنهم حكم بن منذر الذي طلب الأمان من الخليفة الناصر فأعطاه له فقط ، مقابل تشجيع أتباعه من النزول من القصبة المتحصنين بها بعد محاصرتها من قبل قوات الخليفة ، ويبدو أن الخلافة قد وضعت خطة ذكية من أجل استمالتهم ومن ثم الانقباض عليهم وقتلهم ، وقد أوضح ابن حيان تفاصيل ذلك بقوله: (ثم رتب القواد على الممتنعين في القصبة ، وخرج إلى المحلة ، فابتدر حكم بن منذر ، غداة يوم الأحد بعده ، الدعاء إلى الأمان والنزول إلى الناصر لدين الله ، وأصغى لنصيحته ، وفهم عنه من مقدار عدد من حصل في القصبة وسعة الأوقات عندهم ، ما رأى معهم تعجيل شأنهم على تأمين جماعة في أنفسهم وأموالهم وأهليهم ، وإزعاجهم عن الثغر بكليتهم ، وإلحاقهم بالحضرة بحيث تؤمن بوائقهم ، وعلى تأمين خمسين فارساً من قوامس ألبه ووجوه فرسانهم ، وإيصالهم إلى مأمئهم ، والإفراج عن سائر المشركين للنزول على حكمه ، فتمت هذه القضية يوم الاثنين لأحد عشر بقيت من شهر رمضان ، ونزل القوم بجماعتهم عن القصبة عشي هذا النهار ، بمشهد من الناصر لدين الله ، فاجتمعت منهم جملة غليظة ، باكر القعود لهم غداة يوم الثلاثاء في المضرب ، وقد برز لهم في الرواق على بابهم ، معه أولاده وخاصة وزراءه ، وأحضرت الجماعة ، وميَّز منهم آل تميم ومن دخل في الأمان من فرسان المشركين منادى بهم على أسمائهم ، فاستحيوا ،

ثم قدم من سواهم ، فقتلوا عن آخرهم ، وعاثت السيوف فيهم في مشهد عظيم ، أعز الله به الدين ، وأقرَّ عيون المسلمين ، وجدع معاطس الكافرين ، دعا فيهم داعي المنايا ، فأجابوا سراعاً ، وجمعت لها المقادير ، بعد أن كانوا شعاعاً ، واجتمع من رؤوسهم ورؤوس المتولين قبلهم ثلاث مائة رأس ونيف وثلاثون رأساً^(١) .

كانت نتائج فتح مدينة قلعة أيوب كبيرة ، وقد بين ابن حيان ذلك بقوله: (وكان فتح قلعة أيوب عظيم الشأن ، لما اجتمع عليه من خضد شوكة التجييين ، إذ كانت فيهم عدة من فرسان سرقسطة الممدين لهم ، إلى الظفر بخمس مائة فارس من المشركين في دار الإسلام أودوا ، فلم ينج منهم إلا الخمسون المؤمنون من عرضهم ، إلى افتتاح سبع وثلاثين حصناً من حصون الجلالقة في مقام واحد ، وانقطاع المارق محمد بن هاشم ، زعيم الجماعة من الانتصار بأوليائه المشركين ، وما جرى عليه من نقص عدده وقطع عدده ، وانفراده بسالفته)^(٢) .

بعد مقتل مطرف بن المنذر ، ولي الخليفة عبد الرحمن الناصر بدلاً عنه في حكم مدينة قلعة أيوب سليمان بن أحمد بن جودي سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م ، وقد أشار إلى ذلك ابن حيان بقوله: (وسجل لسيمان بن أحمد بن جودي على مدينة قلعة أيوب ، اثر فتحها وقتل مطرف بن منذر المنتزي في شهر رمضان منها)^(٣) ، وبذلك انقطع حكم التجييين لمدينة قلعة أيوب لمدة من الزمن .

(١) المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٥٣٣٠ / ٩١٢ - ٩٤١م) ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

(٢) المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٥٣٣٠ / ٩١٢ - ٩٤١م) ، ص ٣٩٩ ؛ وينظر أيضاً: ابن خلدون ، العبر ، ٤ / ١٤٥ .

(٣) المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٥٣٣٠ / ٩١٢ - ٩٤١م) ، ص ٤١٧ .

وبعد عودة الخليفة الناصر من حملته على مدينة سرقسطة إثر افتتاحها سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م ، عين على مدينة قلعة أيوب محمد بن أصبغ بن حزب الله ، ثم عزله ، وولى عليها عبيد الله بن فهر في ربيع الأول من سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م^(١) ، والراجح أن هذه التغييرات السريعة لحكام مدينة قلعة أيوب يعكس حالة عدم الاستقرار في المدينة ، فضلاً عن عدم قدرة الولاة من غير بني تميم من السيطرة على الأمور فيها بسبب رسوخ قدم الأخيرين هناك.

ولذلك وبعد إعطاء الخليفة الناصر الأمان لحكم بن المنذر- كما مرّ- وثبتت طاعته له ، إذ غزا معه في صائفة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م إلى منطقة جليقية Galicia^(٢) وقد أبلى بلاءً حسناً في هذه الغزوة ، وعلى إثرها قام الخليفة الناصر بتعيينه على مدينة قلعة أيوب سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م ، وكان الخليفة قد أخذ أمّه وزوجته كرهائن عنده في وقت سابق ، إلا أنه قام بإطلاق سراحهم بعد تعيينه ، كما وهبه إحدى الدور هناك ، وقد أشار العذري إلى ذلك بقوله: (وغزا حكم بن منذر مع أمير المؤمنين عبد الرحمن في صائفة سنة سبع وعشرين وثلاثمائة إلى جليقية ، وأبلى البلاء العظيم ، وقام المقام

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥١.

(٢) وهي منطقة تقع في أقصى الشمال الغربي من الأندلس، وتحاذي في حدودها من جهة الغرب ساحل المحيط الأطلسي وخليج بسكايّة من جهة الشمال، وتجاورها من جهة الشرق والجنوب بلاد البشكنس، ومن أشهر مدنها مدينة شنت ياقب، ولك، وأشتوريس، وغيرها، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٦٩؛ ينظر الخارطة أيضاً.

الحمود، ... ، ولما قفل أمير المؤمنين عبد الرحمن من تلك الغزاة
وقدم معه حكم بن منذر، رأى عزل بكر بن عبيد الله بن فهر^(١)
عن قلعة أيوب، وأمر بالتسجيل لحكم بن المنذر عليها، وذلك
لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثمان وعشرون وثلثمائة، وكان
أمير المؤمنين قد ارتهن عنه وثقة بطاعته عند صدره من سرقسطة
سنة ست وعشرين وثلثمائة أمه وزوجته وولده، ووهبه دار محمد
بن إسحاق، فلما سجل له على قلعة أيوب أطلق رهائه إليه^(٢).

وكان الخليفة الناصر قد أخذ في السنة نفسها (أي ٣٢٨هـ/
٩٣٩م) عهداً على حكم بن المنذر حاكم قلعة أيوب، وكذلك على
محمد بن موسى بن عبد الملك بن طويل حاكم مدينة وشقة
بضرورة الالتزام بالطاعة وعدم التمرد مرة أخرى، وقد أشار ابن
حيان إلى ذلك بقوله: (وفي غرة ربيع الآخر منها وصل إلى قرطبة
موسى بن محمد بن عبد الملك الطويل، صاحب مدينة وشقة من
الشعر الأعلى مستألفاً للناصر لدين الله، ...، وعقد بينه وبين حكم بن
منذر صاحب قلعة أيوب عقداً في أحواز أعمالهما ومنتهى حدودهما،
مع تجديد البيعة عليهما، صيرها حجة عليهما ولهما، بعد أن أحلف
كل واحد منهما في المسجد الجامع بقرطبة خمسين خمسين يميناً،
بمخضرم قاضي الجماعة بها، والحكام والفقهاء، والعدول من أهلها،

(١) ذكره ابن حيان باسم وليد بن عبد الله بن فهر، ينظر: المقتبس (للحقبية

٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٦٣.

(٢) ترصيع الأخبار، ص ٥٧.

وعشهد معن بن محمد قاضي سرقسطة على التزامهما الطاعة والوفاء بشروطها ، والتصحيح في السر والعلانية ، والانتهاء إلى شروط العدل الذي عقد بينهما ، ثم انطلقا لسبيلهما ...^(١).

استمر حكم بن المنذر التجيبي في حكم مدينة قلعة أيوب حتى وفاته سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م ، وعين الخليفة الناصر خلفاً لابنه العاصي بن حكم التجيبي ، وبقي الأخير في حكمها حتى سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م^(٢).

ويبدو أن أحد أبناء العاصي بن حكم قد خلف والده بعد وفاته سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م في منصبه والياً على مدينة قلعة أيوب ، إذ أشار ابن حيان إلى أن أولاد العاصي بن حكم التجيبي (حكم ، وأحمد ، وعبد العزيز ، ولب) قدموا إلى الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) في قرطبة في شهر رجب من سنة ٣٦١هـ/٩٧١م (...) ، فأدنى الخليفة المستنصر بالله مكان الفتية أولاد العاصي ، وكرم مثواهم وأقرهم على أحوالهم ...^(٣).

وفي عهد الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م) حدث خلاف بين الحاجب محمد بن أبي عامر^(٤) (٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-

(١) المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٥٣.

(٢) العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٥٢.

(٣) المقتبس (للقبلة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٤م)، ص ٧٥.

(٤) هو محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، دخل جده عبد الملك مع طارق بن زياد، ونزل بالجزيرة، وخدم منهم أبو عامر بن الوليد وابنه عامر في الدولة الأموية، ينظر: ابن =

١٠٠١م) وبين قائد الجيش غالب بن عبد الرحمن ، وتطور الخلاف إلى صراع عسكري بين الاثنين^(١) ، نتج عنه قيام تحالف النصارى مع القائد غالب بن عبد الرحمن ضد محمد بن أبي عامر ، وكانت مملكة نافار بقيادة أحد أمرائها وهو راميرو بن ملك نافار شانجه غرسيه الثاني (Sancho Garci II ٣٥٩-٣٨٥هـ/٩٦٩-٩٩٥م) ، أحد المشاركين في هذا التحالف ، إضافة إلى ملك ليون راميرو الثالث (Ramiro III ٣٥٥-٣٧٢هـ/٩٦٥-٩٨٢م) الذي أمد القائد ببعض قواته^(٢).

وهكذا فقد استغل النصارى الخلافات الداخلية التي نشبت بين

=بسام، الذخيرة، ٥٦/٧؛ ابن الأبار، التكملة، ٢٨٧/١؛ الحلة السيرة، ٢٦٨/١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٦٣/٢؛ ابن خلدون، العبر، ١٨٩/٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢١٧؛ المقرئ، نصح الطيب، ٣٩٩/١.

(١) بعد أن تمكن محمد بن أبي عامر من التخلص من بعض مناوئيه وعلى رأسهم الوزير جعفر بن عثمان المصحفي، لم يبق أمامه منافس غي القائد غالب بن عبد الرحمن والد زوجته الذي كان يتمتع بسمعة في ميدان القيادة العسكرية على مستوى عموم الأندلس، لذا وجد المناوؤون لسياسة ابن أبي عامر في غالب الرجل المناسب للمقاومة، ولهذا عمد محمد بن أبي عامر إلى منافسة غالب برجل لا يقل عنه شئناً وهو جعفر بن علي بن حمدون شدة وبأساً فاستدعاه مع قواته من المغرب ومنحه لقب وزير وجعله من خاصته وأمره على جيش الحضرة، مما أثار غالب بعد أن تنبه إلى ما يدبره ابن أبي عامر وما يهدف إليه، وتطور الخلاف بين الاثنين وانتهى إلى معركة قتل فيها القائد غالب بن عبد الرحمن سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٧٨/٢ - ٢٧٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٦٠/٢ - ٦٥.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٦٠/٢ - ٦٣.

المسلمين لتوسيع نفوذهم على حساب المناطق الإسلامية ، فقد تمكنوا خلال هذه الأحداث من السيطرة على بعض مدن الثغر الأعلى الأندلسي مثل أنتيسة Atienza^(١) وقلعة أيوب ، ولا يستبعد أن يكون ذلك بالتعاون مع القائد غالب بن عبد الرحمن الذي تحالف معهم ، وربما كان ذلك ثمن مساعدتهم له ، ومن جانبه ، ومن أجل القضاء على هذا التحالف سار محمد بن أبي عامر لمواجهتهم ، ووقف التجيبيون من حكام قلعة أيوب إلى جانبه ، ووقع اللقاء بين الطرفين أمام حصن شنت بجنـت San Vicent على مقربة من أنتيسة ، وحدثت بينهما معركة شديدة سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م انتهت بمقتل القائد غالب بن عبد الرحمن^(٢).

بعد مقتل غالب دبّ الخوف في قواته والنصارى المتحالفين معه ، إذ طاردتهم قوات ابن أبي عامر ، وقد قتل عدد كبير من النصارى ، وكان من بين القتلى أمير نافار راميرو بن شانجه غرسيه الثاني^(٣). وقد عرفت هذه الغزوة عند العذري باسم غزاة النصر ، واستمرت من أروع خلون من ذي القعدة سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م إلى ثمان

(١) مدينة أندلسية تقع بالقرب من قلعة أيوب، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٧٧.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٧٧؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/ ٢٧٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٦٣ - ٦٤.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/ ٢٧٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٦٣ - ٦٤؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ٢/ ١١٥ - ١١٦.

بقين من محرم سنة ٣٧١هـ / ٩٨٠م ، أي استغرقت ثمانية وسبعين يوماً ، وتم خلالها إعادة فتح قلعة أيوب وأنتيسة مرة أخرى بعد أن كانت قد سقطت بيد النصارى^(١) ، كما أسلفنا.

أما مؤلف مجهول فقد اسماها بغزوة قلعة أيوب بقوله: (الثالثة عشرة غزوة قلعة أيوب ، فتحها وسبى أهلها وانصرف)^(٢).

وبعد أن استرجع ابن أبي عامر قلعة أيوب ولى عليها عبد العزيز بن حكم بن المنذر التجيبي تمشيناً لجهوده ووقوفه إلى جانبه في صراعه ضد غالب بن عبد الرحمن والنصارى^(٣) ، ما يعني أن التجبيين حكام قلعة أيوب استمروا في ولائهم لحكومة قرطبة طيلة القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

وبعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م^(٤) ، تمزقت إلى طوائف ودويلات حيث(تناثرت أشلائها ، وتعددت الرياضات في أنحاءها ، لا تربطها رابطة ، ولا تجمع كلمتها مصلحة مشتركة ؛ لكن تفرق بينها بالعكس ، منافسات وأطماع شخصية وضيعة ، وتضطرم بينها حروب أهلية صغيرة ، والأندلس خلال

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٧٧.

(٢) تاريخ الأندلس، ص ٢٢٨.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣١.

(٤) ينظر التفاصيل عن سقوط الخلافة الأموية في الأندلس: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٦٦- ٢٦٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ١/٣١٧- ٣٢١؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٠٩- ٢١٧.

ذلك كله تفقد مواردها وقواها القديمة تباعاً ، ويحدق بها خطر الفناء من كل صوب^(١) ، وكان نصيب الثغر الأعلى الأندلسي أن استقل بنو هود^(٢) بسرقسطة ، وبنو ذي النون^(٣) بطليطلة ، وكانت مدينة قلعة أيوب تابعة إلى سرقسطة ، أي ضمن أملاك بني هود ، وقد دخلت الأستراتان في صراع مرير ، دار بين سليمان بن محمد بن هود حاكم سرقسطة(٤٣١-٤٣٨هـ/١٠٣٩-١٠٤٦م) والمأمون بن ذي النون حاكم طليطلة(٤٣٥-٤٦٧هـ/١٠٤٣-١٠٧٤م) ، وكانت مجموعة المدن والحصون الواقعة بين طليطلة وسرقسطة موضع الاحتكاك بين الجانبين ، إذ دارت مواجهات عنيفة في سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م وما بعدها ، وقد استعان كلا الطرفين بحكام الممالك النصرانية مقابل أن يدفعوا لهم الجزية ، فتحالف ابن هود مع ملك قشتالة Castilla فرناندو الأول Fernando I (٤٢٦-٤٥٨هـ / ١٠٣٤-١٠٦٥ م) ، وتحالف المأمون بن ذي النون مع ملك نافار غرسيه Garcia (٤٢٦-٤٤٦هـ / ١٠٣٤-١٠٥٤م) ، واستمر ملكا قشتالة ونافار يعملان على توسيع هذا الخلاف ، فيغير

(١) عنان، دول الطوائف، ص ١٤.

(٢) ترجع هذه الدولة إلى مؤسسها سليمان بن هود الجذامي الذي أسس دولة له في سرقسطة سنة ٤٣١هـ / ١٠٣٩ م واستمرت حتى سقوطها بيد المرابطين سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٠/٢ - ١٧٩.

(٣) ترجع هذه الأسرة إلى إسماعيل بن ذي النون الذي أسس دولة طليطلة سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م واستمرت حتى سقوطها بيد الفونسو السادس سنة ٣٧٨هـ / ١٠٨٥م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٦/٢ - ١٨٤.

الأول على أراضي طليطلة بجانب ابن هود ، ويغير الثاني على أراضي سرقسطة لحساب ابن ذي النون ، ولم ينتهي هذا الصراع بعد موت ابن هود سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م^(١).

وقسم سليمان بن هود قبيل وفاته سرقسطة وأعمالها بين أولاده الخمسة ، فقد اختص أحمد بمدينة سرقسطة ، ويوسف المظفر بمدينة لاردة Lerida^(٢) ، ولب بمدينة وشقة ، والمنذر بمدينة تطيلة ، ومحمد بمدينة قلعة أيوب ، واستقل كل واحد منهم بمدينته وأعمالها^(٣).

ويبدو أن هذا التقسيم لم يكن مرضياً لبعضهم ، فكان سبب الخلاف والصراع فيما بينهم ، إذ كان أحمد صاحب سرقسطة والملقب بالمقتدر أشد أخوته طمعاً إلى انتزاع ما في أيديهم ، وقد تمكن فعلاً أن يستولي على مدن وشقة وتطيلة وقلعة أيوب ، وأن يُودِعَ إخوته المنذر ولب ومحمد في السجن^(٤).

واستطاع يوسف المظفر صاحب مدينة لاردة أن يقف ضد أطماع أخيه أحمد المقتدر ، لاسيما بعد أن خرجت معظم مدن الثغر

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٦٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/٢٢٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧١/٢.

(٢) مدينة قديمة تقع في الثغر الأعلى الأندلسي، وتشتهر بالككتان، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٧.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٤٢/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧١/٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٥٥/٥؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٦٢؛ العمائرة، مراحل سقوط المدن الأندلسية، ص١٥٦.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/٢٢٢-٢٢٣.

الأعلى عن طاعة الأخير ، ولم يبق بيده سوى سرقسطة ، وعلى ما يبدو فقد تمكن أحمد المقتدر فيما بعد من الانتصار على أخيه يوسف وإخضاع مدن الثغر الأعلى تحت سيطرته^(١).

وبعد وفاة أحمد المقتدر بن هود سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م ، قسمت دولته بين ولديه يوسف المؤتمن وأخيه المنذر بن أحمد بن هود ، وقد اختص المؤتمن بسرقسطة وأعمالها بما في ذلك قلعة أيوب ، أما المنذر فقد اختص بالجانب الشرقي من سرقسطة وفيه ثغر تركونة^(٢) Tarragone ولاردة ودانية^(٣) Denia^(٤).

ولم يدم حكم المؤتمن طويلاً في سرقسطة وأعمالها ، إذ توفي سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م فخلفه في الحكم ولده الملقب بأحمد المستعين ، وبقي الجانب الشرقي بيد عمه المنذر^(٥).

وبعد عبور المرابطين Almoravides ، Los^(٦) إلى الأندلس سنة

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ٢٢٣- ٢٢٤؛ عنان، دول الطوائف، ص ٢٦٢- ٢٦٣.
(٢) مدينة قديمة تقع في الشمال الشرقي من الأندلس على البحر المتوسط بينها وبين لاردة خمسون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٩٢.
(٣) من مدن شرق الأندلس، ولها سور وتشتهر بالكروم، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٢٣١- ٢٣٢.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٦ هامش (١).

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٦.

(٦) يرجع تأسيس الدولة المرابطية إلى قبيلة لمتونة البربرية، إحدى بطون صنهاجة صنهاجة من البرانس، وقد قامت دعوة المرابطين سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م على أساس العقيدة الدينية الإسلامية على يد عبد الله بن ياسين الجزولي، وقد تزعمت قبيلة لمتونة الجهاد لهذه الدعوة في بلاد المغرب أولاً ثم الأندلس بعد ذلك، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٩١- ٢٩٦؛ ابن عذاري،

٤٨٣هـ/١٠٩٠م وهو العبور الثالث تمكنوا من السيطرة على العديد من المدن الأندلسية^(١) ولم يبق سوى مدينة سرقسطة وأعمالها بما فيها مدينة قلعة أيوب ، والتي كانت تحت حكم المستعين بن هود ، ويبدو أن الأخير قد استعان بالنصارى من اجل الحفاظ على دولته من الخطر الجديد المتمثل بالمرابطين مقابل دفع الجزية لهم ، وقد أشار ابن الكردبوس إلى ذلك بقوله: (وتملك المرابطون جميع جزيرة الأندلس سوى سرقسطة بلد المستعين بن هود ، فإنها بقيت مدة بيده ، لانتزاحه وبعده ، واعتضاده بجيرانه الروم بما دفع لهم من الجزية)^(٢).

ويبدو أن المرابطين حاولوا فيما بعد السيطرة على مدينة قلعة أيوب التابعة لمدينة سرقسطة ، ودخلوا في مواجهة عسكرية مع النصارى المواليين للمستعين بن هود ، وألحقوا بهم دماراً كبيراً ، إلا أنهم لم يتمكنوا من دخول المدينة ، وقد أشار إلى ذلك ابن الكردبوس بقوله: (ثم خرج القائد ريغاله^(٣) من المرابطين غازياً إلى قلعة أيوب ، فالتقى بطائفة من الروم فهزمهم هزيمة شنيعة ، واستباح محللتهم المنيعة ، وسبى وغنم ، وصدر وقد سلم)^(٤).

-
- البيان المغرب، = ٧/٤ = ١١-؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٢٢- ١٢٧.
(١) للمزيد من التفاصيل حول ذلك، ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص ١٦٩ وما بعدها؛ المراكشي، المعجب، ص ٩٨- ١٠٠.
(٢) تاريخ الأندلس، ص ١١٠.
(٣) لم نجد له ترجمة.
(٤) تاريخ الأندلس، ص ١١١.

وخلال تلك المدة واصلت مملكة أراغون^(١) Aragon الإسبانية توسعها على حساب الثغر الأعلى الأندلسي (سرقسطة وأعمالها) وحاول ملكها الفونسو الأول المحارب Alfonso el Batallador (٤٩٩-٥٢٩هـ / ١١٠٥-١١٣٤م) السيطرة على مدينة سرقسطة وأعمالها ، فسارت قواته نحوها ، وأسرع المستعين بن هود لإنجادها ، وحدثت بين الجانبين الإسلامي والنصراني معركة شديدة قرب مدينة بلتييره Valtierra^(٢) ، هزم فيها المسلمون وقتل المستعين بن هود وذلك في سنة ٥١٠هـ / ١١٠٧م^(٣).

وعلى الرغم من ذلك الانتصار ، لم تستطع القوات النصرانية من دخول سرقسطة ، إذ أنه بعد مقتل المستعين خلفه في حكم مدينة سرقسطة وأعمالها ابنه عبد الملك الملقب بعماد الدولة^(٤) ، وخلال هذه المدة تمكن المرابطون من دخول مدينة سرقسطة سنة

(١) هي إحدى مدن مناطق شرق الأندلس، تتاخم بلاد الغال في الشمال، وقطلونيا في الشرق كانت مقراً يقطنه النصراني الأسبان، وأصبحت إمارة وفيما بعد أصبحت مملكة سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م بعد اتحاد الإماراتين (سوبرابي ورياجريا) في مملكة واحدة باسم مملكة أراغون، ينظر: غريال، الموسوعة الميسرة، ص١٠٨؛ أدهم، المعتمد بن عباد، ص١٠٩.

(٢) مدينة بالأندلس من أعمال مدينة شنتبرية، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٨٩.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٧٤؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٨٠-٢٨١؛ وذكر القلقشندي بأن المستعين بن هود قتل شهيداً سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م في المعركة أعلاه، ينظر: صبح الأعشى، ٥/٢٥٥.

(٤) ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص٧٣-٧٤؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٨١.

٥٠٣/١١٠٩م وأصبحت جزءاً من أملاكهم^(١) ، وبذلك انتهى الدور السياسي لبني هود في مدينة سرقسطة وأعمالها بما فيها قلعة أيوب . بعد ذلك دخل المرابطون في سلسلة من العمليات العسكرية ضد الأسبان ، ولاسيما مملكة أراغون ، ويبدو أن سببها الأساسي هو الموقع المهم لمدينة سرقسطة وأعمالها ، كونها القاعدة العسكرية الأخيرة للمسلمين في منطقة الثغر الأعلى ، تمكن من يحتفظ بها إدارة العمليات العسكرية في معظم تلك المنطقة بنجاح ، وهو ما أدرك الأسبان حقيقته ، إذ شعروا بالقلق إزاء حكمها من قبل المرابطين باعتبارها معسكراً للجيش المرابطي يهدد سيادتهم^(٢) . ومن أجل السيطرة على منطقة الثغر الأعلى ، وإحداث ثغرة فيه ، قام ملك أراغون الفونسو الأول المحارب بمهاجمة مدينة تطيلة سنة ٥١١هـ/١١١٧م ، لأنها كانت القاعدة المتقدمة للمسلمين باتجاه مناطق النصرى ، واستطاع فعلاً من السيطرة عليها وانتزاعها من المسلمين^(٣) . ويسقط مدينة تطيلة انهار حصن سرقسطة الأمامي التي كانت تعد خطاً دفاعياً قوياً عنها^(٤) ، وأصبحت قواعد الثغر الأعلى مهددة أمام قوات الفونسو المحارب الذي سيطر بعدها مباشرة أي في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م على مدينة سرقسطة بحملة صليبية مكونة من قوات

-
- (١) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٤٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٥٤ - ٥٥؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٧٤ .
(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٨٧ - ٨٩ .
(٣) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٤٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٥٤ - ٥٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١/٤١٢ - ٤١٧ .
(٤) العلياوي، الحملات الصليبية، ص١٠٢ .

أسبانية وأوربية مشتركة^(١) ، بعدها سقطت مدينة روطة Rueda في السنة نفسها^(٢) ، ثم تابعت بقية أعمال الثغر الأعلى بالسقوط الواحدة تلو الأخرى ، ففي سنة ١١١٩م/٥١٣هـ سيطر الفونسو على مدينة طرسونة Tarazona ، ثم سار إلى مدينة برجة Berja^(٣) وسيطر عليها^(٤) ، كما فرض سيطرته على مدينة قلعة أيوب في السنة نفسها ، وكانت من أمنع ما بقي من معقل الثغر الأعلى ، وقد علق ابن أبي زرع على ذلك بقوله: (وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمئة تغلب العدو الفونسو الأول ملك أراكون على بلاد شرق الأندلس واستولا على أكثرها ، وملك قلعة أيوب التي ليس في بلاد الشرق أمنع منها ،...)^(٥).

ولعل سقوط مدينة قلعة أيوب والقواعد الإسلامية الأخرى مكنت ملك أراغون الفونسو الأول المحارب من أن يوطد حدود مملكته ويوسع رقعتها ، وأصبحت معظم مناطق الأندلس الأخرى مهددة بالسقوط أيضاً^(٦).

(١) ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص١٦٣؛ السلاوي، الاستقصا، ٦٧/٢؛ العليايوي، الحملات الصليبية، ص١٠٢ وما بعدها

(٢) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢٤٦/٢ هامش (٢).

(٣) أحدى مدن الثغر الأعلى وأسمائها مؤلف مجهول بوجه، تاريخ الأندلس، ص١٠٩؛ ينظر أيضاً: العذري، ترصيع الأخبار، ص٣٣.

(٤) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص١٠٢؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص٢٥٠.

(٥) الأنييس المطرب، ص١٦٣؛ ينظر أيضاً: أرسلان الحلل الهندسية، ١٠٥/١؛ مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص١٦.

(٦) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص١٠٢، ١٢٥.

ثالثاً: الحركة الفكرية في قلعة أيوب

دام حكم المسلمين لمدينة قلعة أيوب أكثر من أربعة قرون ، ومنذ نزولهم إليها تحولت وبسرعة إلى مدينة لها مكانة مهمة في منطقة الثغر الأعلى كونها تشكل أحد القواعد الرئيسة القريبة على خطوط التماس مع النصارى ، فشجعت الدولة السكن فيها ، وشحنتها بالرجال والمقاتلة كونها أصبحت من مدن الثغر المتقدمة لاسيما من منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بعد اشتداد ساعد الدويلات الاسبانية النصرانية التي أخذت تترصد بالمسلمين في حدودهم الشمالية.

والثغر لغة هو(ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان)^(١) ، ولذلك تطلب أن يحشد بالمقاتلين المرابطين فيه ، وغالباً ما كان المرابطون من الجند ينزلون الثغور مع عوائلهم^(٢) ، وقد ترتب على ذلك أن يحاط المكان بالسور للمحافظة على السكان ولتقوية وسائل الدفاع ضد العدو^(٣) ، إضافة إلى الحصون المتقدمة التي تعد نقاط إنذار مبكر للمدينة^(٤) ، وهو ما جعلها تأخذ شكلها التمدني

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٣٩٧/٢ (مادة ثغر).

(٢) ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص٣٩.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٧.

(٤) الحججي، التاريخ الأندلسي، ص٣٠٥.

وخصوصيتها السكانية ، فنجد في المصادر إشارات كثيرة إلى أهل قلعة أيوب والنسبة إليها قلعي^(١) أو ثغري^(٢) ، وهو ما يعكس خصوصيتها عن غيرها.

ومما ساعد على نشاط الحركة الفكرية فيها أنها حكمت من قبل أمراء ، وإن كانوا تابعين في أغلب الأحيان إلى حكومة قرطبة ، إلا أنهم توارثوا الحكم فيها ، ونعني بذلك أمراء بني تميم الذين توارثوا حكم مدينة قلعة أيوب لمدة طويلة ، وما يحمله ذلك من تشجيع أولئك الأمراء المحليين للشعراء والعلماء وإغداق الأموال لتزيين بلاطهم وإعلاء شأنهم ، فضلاً عن المجاهدين من المطوعة الذين كانوا يقصدونها للجهاد.

وقد أسهم أهالي قلعة أيوب في الآداب والعلوم ، فكان منهم محدثون وقرّاء ولغويون وشعراء وزهاد ، ولعل الصفة التي تكاد تجمع أغلب أولئك هي أنهم كانوا مجاهدين في سبيل الله دافعوا عن بلدهم ومدينتهم وبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل ذلك ، نذكر منهم:

١- إبراهيم بن لب بن إدريس التجيبي من أهل قلعة أيوب ، كان متقدماً في علم العدد والفرائض والهندسة وعلم الفلك والنجوم ، وله حظ في الأدب والعربية ، وكان يدرس النحو والأدب في جامع طليطلة ، وتوفي سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م^(٣).

(١) ابن الأبار، التكملة، ١٥/٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٧٠/٢٥.

(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٢٤/٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢١٥/٢٧.

(٣) القفطي، أنباه الرواة، ٢١١/١؛ ابن الأبار، التكملة، ١١٨/١.

٢- إسماعيل بن أبي الفتح ، من أهل قلعة أيوب ، يكنى أبا القاسم ، كان فقيهاً ومن أهل العلم والتقدم في الفتوى ، وتوفي في نحو سنة ١١٠٦/٥٥٠م^(١).

٣- إسماعيل بن يونس الموري من قلعة أيوب ، يكنى أبا القاسم ، اشتهر بالحديث ، حدث عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن قاسم الثغري^(٢) وغيره ، حدث عنه أبو عمرو المقرئ^(٣) وغيره^(٤).

٤- سعيد بن فتح بن عبد الرحمن بن عمر الأنصاري من أهل قلعة أيوب ، يكنى أبا الطيب ، اشتهر بالقراءات ، وكان عارفاً وضابطاً لها ، وتصدر للإقراء بجامع مرسية Murcia ، لأنه غادر بلده قلعة أيوب بعد سقوطها بيد النصاري ، وتوفي ١١٢١/٥٥٥م أو ١١٢٢/٥٥٦م^(٥).

(١) ابن بشكوال، الصلاة، ص١٠٦.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال من أهل قرطبة له رحلة إلى المشرق، غلب عليه مذهب الظاهر، توفي سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م، ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٨٠-١٨١.

(٣) هو عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو المقرئ كان إمام وقته في علم القراءات فضلاً عن انه محدث وأديب له رحلة إلى المشرق، وتوفي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٧٣-٢٧٣؛ الضبي، بغية الملتبس، ص٣٨٢-٣٨٣.

(٤) ابن بشكوال، الصلاة، ص١٠٣.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ٤/١١٧؛ معجم القاضي أبي علي الصديقي، ص٣٠٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٥/٣٨٥.

٥- سعيد بن يوسف بن يونس الأموي ، من أهل قلعة أيوب ،
يكنى أبا عثمان ، اشتهر بالحديث ، له رحلة إلى المشرق روى فيها
عن أبي بكر محمد بن عمار الدمياطي^(١) وغيره ، حدث عنه
الصاحبان^(٢) ، وتوفي في عقب ذي الحجة سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م^(٣).

٦- عبد الرحيم بن عبد الجبار بن يوسف بن عبد الرحيم بن
أحمد التجيبي من أهل قلعة أيوب ، يكنى أبا محمد ، خرج منها
بعد سقوطها بيد النصارى وسكن مرسية ، اشتهر بالقراءات وتصدر
للإقراء بها ، ولد بقلعة أيوب سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وتوفي بمرسية في
حدود سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م^(٤).

٧- عبد العزيز بن عبد الله بن هذيل العبدي من أهل قلعة
أيوب ، يكنى أبا يونس ، محدث حدث بصحيح البخاري
بسرقسطة وكان أيضاً فقيهاً أديباً ، وكان حياً سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م^(٥).

٨- عبد الله بن أيوب الأنصاري ، من أهل قلعة أيوب ، يكنى

(١) أبو بكر محمد بن يحيى بن عمار من أهل دمياط بمصر محدث ثقة توفى
سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٤٨/١٢.

(٢) الصاحبان هما الحافظان أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة
الأموي الطليطلي المعروف بابن ميمون ، ورفيقه ونظيره أبو إسحاق بن
شنظير، من مشاهير علماء الأندلس، توفى الأول سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، وتوفى
الثاني سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٩٤/٣.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص ٢٠٦- ٢٠٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤٢/٢٧.

(٤) ابن الأبار، التكملة، ٥٩/٣.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ٨٩/٣.

أبا محمد ، ويعرف بابن خدوج ، فقيه حافظ على مذهب مالك ، استوطن غرناطة Granada وسكنها بعد سقوط بلده ، له تواليف منها كتاب في الفقه سماه: المنوطة على مذهب مالك ، في ثمانية أسفار ، توفي سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م^(١).

٩- عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن محمد بن قاسم بن حزم الأنصاري من أهل قلعة أيوب تولى القضاء بعد أبيه عبد الله بن عبد الله -صاحب الترجمة أدناه- يكنى أبا محمد ، كان قليل العلم ، توفي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م^(٢).

١٠- عبد الله بن عبد الله بن محمد بن قاسم بن حزم الأنصاري من أهل قلعة أيوب ، ولي قضاء بلده قلعة أيوب أربعين سنة ، وكان له مجلس في جامع بلده ، توفي سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م^(٣).

١١- عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري ، من أهل قلعة أيوب ، يكنى أبا محمد الثغري ، له رحلة إلى المشرق ، ثم رجع إلى بلده وولي القضاء بها ، ثم استعفى ولزم العبادة والجهاد ، قال القاضي عياض: (كان رجلاً صالحاً فاضلاً زاهداً منقطع القرين ، وكان بطلاً شجاعاً... كان يقف وحده للفئة... يذكر عنه أهل جهته في هذا الباب ، مقامات مشهورة ، منها: أن العدو قصد بلدهم في نحو ثلاثة آلاف فارس ، وكان قائد القلعة

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٣٠٩؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ١/٤٤٤.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٢/٢٤٥.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٢/٢٤٢.

شجاعاً أيضاً ، فاجتمعوا فقال أبو محمد: معنا خمسمائة فارس ،
وأنت تعدّ بخمسمائة فارس ، وأنا بخمسمائة فارس ، فقد وجب
علينا لقاءهم بنص الكتاب ، فأطاعه الناس وبدروا إليهم ، فظهروا
عليهم وانهزم العدو ، وتحكموا فيهم قتلاً وغنيمة^(١) توفي في حدود
سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م^(٢).

١٢- عبد الله بن هذيل العبدي من أهل قلعة أيوب ، يكنى أبا
يونس ، قال ابن الأبار: محدث روى عنه أبو الحسين عبد الله بن
مروان بن حفصيل^(٣).

١٣- محمد بن أحمد الكفيف من أهل قلعة أيوب ، يكنى أبا
عبد الله ، محدث وله رواية وكان معاصراً لابن الأبار
(ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)^(٤).

١٤- محمد بن سليمان بن سيداري الكلابي الوراق من أهل
قلعة أيوب ثم سكن بلنسية ، ويعرف بالقلعي ، محدث روى عن
أبي بكر بن العربي ، خرج من بلده قلعة أيوب بعد تغلب النصاري
عليها ، وكان وراقاً وله دكان يبيع فيه الكتب ، وتوفي ببلنسية سنة
٥٤٨هـ/١١٥٣م^(٥).

(١) ترتيب المدارك، ٢٦/٧.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٠٢- ٢٠٣؛ القاضي عياض، ترتيب
المدارك، ٢٧/٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢١٥/٢٧- ٢١٦.

(٣) التكملة، ٢٤٣/٢.

(٤) التكملة، ٣٠٥/١.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ١٥/٢.

١٥- محمد بن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن عبد الحميد التجيبي ، من أهل قلعة أيوب ، يكنى أبا عبد الله ، كان فقيهاً على مذهب مالك ، له كتاب سماه الانتصار ، كما كان له حظ في الشعر^(١).

١٦- محمد بن عبد الله بن محمد بن خلف بن علي بن قاسم الأنصاري من أهل قلعة أيوب كان جده قاضياً فيها ، سكن بلنسية اشتهر بالقراءات والتفسير والعربية والأدب ، وكان زاهداً له ميل إلى التصوف ألف كتاب نسيم الصبا في الوعظ وكتاب بغية النفوس الزكية في الخطب الوعظية ، سمع منه ابن الابار وأجاز له كتبه ، وتوفي سنة ١٢٤٢هـ/١٢٤٢م^(٢).

١٧- محمد بن قاسم بن حزم ، من أهل قلعة أيوب ، يكنى أبا عبد الله ، محدث له رحلة إلى المشرق ، ثم رجع إلى بلده وتوفي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م^(٣).

١٨- محمد بن نصر من أهل قلعة أيوب ، يكنى أبا عبد الله ، كان حافظاً للأخبار والأشعار ، عالماً باللغة والنحو ، خطيباً بليغاً ، وكان صاحب صلاة قلعة أيوب ، توفي في حدود ٣٤٥هـ/٩٥٦م^(٤).

١٩- يحيى بن محمد بن حسان القلعي من قلعة أيوب ، اشتهر

(١) ابن الابار، التكملة، ٣٤٩/١.

(٢) ابن الابار، التكملة، ١٤٤/٢ - ١٤٥.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٤٤.

(٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٤٤.

بالقراءات ، له رحلة إلى المشرق ، ثم تصدر للإقراء ببلده قلعة أيوب ، وتوفي سنة ٥١٢هـ/١١١٨م^(١).

٢٠- يوسف بن يونس الأموي ، من أهل قلعة أيوب ، يكنى ، أبا عمرو. ويعرف: بالموري ، له رحلة إلى المشرق أخذ فيها عن أبي حفص عمر بن عراق^(٢) وغيره ، وأخذ ببلده عن القاضي أبي محمد عبد الله بن قاسم وغيرهم ، حدث عنه الصحبان ، وأبو عمرو المقرئ^(٣).

(١) ابن الأبار، التكملة، ١٦٨/٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤٥/٣٥ - ٣٤٦.

(٢) عمر بن عراق المصري اشتهر بعلم القراءات توفي سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م، النعماني، وفيات المصريين، ص ٣٧.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص ٦٣٧.

الغائمة

حكم المسلمون مدينة قلعة أيوب أكثر من أربعة قرون(٩٤-٥١٣هـ/٧١٢-١١١٩م) ، وهي من المدن المحدثّة في الإسلام ، فتح منطقتها المسلمون من قبل القائد موسى بن نصير ، واستوطنها عدد من القبائل العربية والبربرية إلا أن أشهرهم بنو تميم الذين أصبح لهم حكم المنطقة لمدة طويلة فكانوا محور النشاط السياسي بسبب علاقاتهم المتذبذبة بين جيرانهم النصارى وحكومة قرطبة.

ظهرت الأهمية العسكرية لقلعة أيوب منذ القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي بعد اشتداد ساعد الدويلات النصرانية ووقوع المدينة في منطقة الثغر الأعلى قرب الحدود مع الدويلات النصرانية الاسبانية ، فتحوّلت إلى رباط للجهاد قصده الكثير من المتطوعة وهو ما أسهم في نشاط الحركة الفكرية فيها.



مدينة طلييرة الأندلسية

Talavera

٩٤ - ٤٧٧هـ / ٧١٢ - ١٠٨٤م

أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة طليبة Talavera

طليبة مدينة أندلسية ضبطتها المصادر بالقول: إنها بفتح أوله وثانيه ، وكسر الباء الموحدة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ، وراء مهملة^(١) ، وهي من أعمال مدينة طليطة Toledo وتوابعها^(٢) ، ضمن منطقة الثغر الأوسط الأندلسي^(٣) ، وتقع إلى الشمال قليلاً باتجاه الغرب من مدينة طليطة إذ تبعد عنها مسافة سبعين ميلاً^(٤) على الضفة اليمنى لنهر تاجه Rio Tajo^(٥) ، وعلى مسافة ١٣٥ كم من مدينة مجريط Magerit (مدريد)^(٦) ، وهي الآن تقع في منطقة كاستيا لا

-
- (١) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٩١؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ٢/٨٩٠.
 - (٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٠؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٩١؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ٢/٨٩٠؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٣٢٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٩٥.
 - (٣) المراكشي، المعجب، ص٢٢٦.
 - (٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٥؛ والميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٩٥؛ فيما قال ابن حيان: إن طليبة تقع على مسافة خمسين ميلاً من طليطة، ينظر: المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص٢٧٩.
 - (٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٥١؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٩١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٥.
 - (٦) أرسلان، التحلل السندسية، ٢/٤٣.

منتشا ومن أكبر مدن طليطلة^(١) ، وفي الحقبة الإسلامية لعبت المدينة دوراً ثغرياً مهماً ، فالبكري ذكر أنها (أقصى ثغور المسلمين وباب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين)^(٢) ، فيما قال ابن غالب: إنها (كانت حاجزاً بين المسلمين والمشركين)^(٣) ، وأشار ياقوت إلى أنها (كانت حاجزاً بين المسلمين والإفرنج إلى أن استولى الإفرنج عليها ، فهي في أيديهم إلى الآن فيما أحسب ...) ^(٤).

وقد وصفتها المصادر بأنها مدينة قديمة أزلية ، فقال الإدريسي عنها: إنها (أزلية العمارة قديمة الآثار)^(٥) ، وقال الزهري: إنها (من بناء بناء القوط Visigoths الغربيين)^(٦) ، فيما قال ياقوت إنها مدينة كبيرة قديمة البناء^(٧) ، وذكر القزويني أنها مدينة قديمة بقرب طليطلة^(٨) ، ونعتها الحميري بالقول: إنها قديمة أزلية^(٩) ، وهذه العبارات تدل على أنها كانت موجودة قبل الإسلام.

بنيت مدينة طلبيرة على جبل الشارات Sierra Morena الذي

1) Wikipedia. org

- (٢) المسالك والممالك، ٩٠٨/٢؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.
- (٣) فرحة الأنفس، ص ٢٠.
- (٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١.
- (٥) نزهة المشتاق، ٥٥١/٢.
- (٦) الجغرافية، ص ٨٥.
- (٧) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١.
- (٨) آثار البلاد، ص ٥٤٥.
- (٩) الروض المعطار، ص ٣٩٥.

يتمد من مدينة طرطوشة Tortosa^(١) في الشمال الشرقي وينتهي عند عند لشبونة^(٢) في الغرب على المحيط الأطلسي وهو يقسم شبة الجزيرة الأيبيرية إلى قسمين^(٣)، والذي أقيمت عليه العديد من مدن الثغر الأوسط أشار إليها الإدريسي بقوله: (إقليم الشارات وفيه طليبة وطليلة ومجريط^(٤) والفهمين^(٥) ووادي الحجاره^(٦) واقليش^(٧) واقليش^(٧) ووبذة^(٨))^(٩)، وقد وصف القزويني موقعها الجبلي بقوله:

(١) مدينة أندلسية على ساحل البحر المتوسط إلى الشمال من بلنسية بمائة وعشر وعشر ميل، وهي على سفح جبل ولها سور، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٣٩١.

(٢) مدينة أندلسية على ساحل المحيط الأطلسي عند مصب نهر تاجه، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢.

(٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٤٦.

(٤) مدينة أندلسية بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط قال عنها الإدريسي: (وهي مدينة صغيرة وقلعة منيعة معمورة وكان لها في زمن الإسلام مسجد جامع وخطبة قائمة)، نزهة المشتاق، ٥٥٢/٢.

(٥) مدينة أندلسية قرب طليطلة، قال عنها الحميري: (مدينة متحضرة حسنة حسنة الأسواق والمباني، وفيها بشر ومسجد جامع وخطبة قائمة، وملكها الروم لما ملكوا طليطلة)، الروض المعطار، ص٤٤٣.

(٦) مدينة أندلسية، قال عنها الحميري: (تعرف بمدينة الفرج بالأندلس، وهي بين الجوف والشرق من قرطبة، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً)، الروض المعطار، ص٦٠٦.

(٧) مدينة أندلسية من أعمال شنت برية، وقيل من أعمال طليطلة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٣٨.

(٨) مدينة أندلسية قرب طليطلة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٩٣.

(٩) نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢.

إنها (مبنية على قلّة جبل عظيم)^(١) ، والقلّة لغة هو رأس كل شيء^(٢) ، وهذا يعني أنها أنشئت على رأس الجبل ، وبنيت فيها قلعة وأحيطت بسور لزيادة تحصينها ، وقد امتدحت المصادر حصانتها ، فقال الإدريسي: (هي مدينة كبيرة وقلعتها أرفع القلاع حصناً ومدينتها أشرف البلاد حسناً)^(٣) ، وقال ابن غالب: (هي منيعة الأسوار ، عالية المنار)^(٤).

أما عن مياهها ، فإن موقعها على نهر تاجه زاد من موقعها حصانة ، ومن شكلها بهاء وجمالاً ، ومن أرضها خصوبة ، وقد وصف ابن حيان نهر تاجه عند مروره بمدينة تليطلة وطلبيرة بقوله: إن هذا النهر عندما يصل على (نحو ستين ميلاً من تليطلة فتضغطه هناك جبال إلى مضيق يسمى قلاقق بين جبلين فتصير سعته هناك نحو سبعة أذرع ، وعمقه ما لا يعلمه إلا الله ، عز وجل ، فينحدر بين ذينك الجبلين على شئعة عمقه من الانصباب يُسمع لانهاداره أصوات هائلة على بعد مكانه ، ثم يتسع بعد نفوذه من تلك الضيقة ويتسرح جريانه ، إلى أن يأتي باب تليطلة من جهة مشرقها الصيفي ، فيتعطف إلى جنوبها وينضغط هناك تحت قنطرتها ذات القوس الواحد الهائلة الصنعة ، ثم يمر فيستدير جوالياً

(١) آثار البلاد، ص ٥٤٥؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.

(٢) الفراهيدي، العين، ٢٥/٥ (مادة قل).

(٣) نزهة المشتاق، ٥٥١/٢؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.

(٤) فرحة الأنفس، ص ٢٠.

جنوبها كله إلى مغاربها الشتوية ، ويصير حوالها قريباً من ثلثي دائرة ، ثم يأخذ نحو مغاربها الصيفية ، فيمر بمدينة طليبرة و(١)بجنوبها...^(١) ، وبسبب قوة جريان الماء في وادي النهر فاستغله السكان هناك في تدوير الأرحاء^(٢) ، فأشارت المصادر إلى أن لطلبيرة أرحاء كثيرة على نهر تاجه^(٣) وذكر القزويني أن (من عجائبها عين ينبع منها ماء كثير ، يدور عليه عشرون رحاً)^(٤) ، ووفرة المياه في أراضيها ربما ساعد على قيام زراعة في بعض جهاتها ، إذ أشار الإدريسي إلى ذلك عند وصفه لها بقوله: (ولها عمل واسع المجال وإقليم شريف الحال ومزارعها زاكية وجهاتها حسنة مرضية)^(٥).

ارتبطت مدينة طليبرة بباقي مناطق الأندلس بشبكة من الطرق ، الأول ذلك الذي يشق وسط البلاد والذي يخرج من قلعة رباح Calatrava حتى يصل إلى طليبرة ، ذكره الإدريسي بالقول: (ومن قلعة رباح^(٦) في جهة الشمال إلى حصن البلاط^(٧) مرحلتان ومن

-
- (١) المقتبس (لحقيبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
 - (٢) الأرحاء من رحى، والأرحاء المائية أي الطواحين المائية التي تدار به، ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٠/١٣٦ (مادة موه).
 - (٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٥١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.
 - (٤) آثار البلاد، ص ٥٤٥؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.
 - (٥) نزهة المشتاق، ٢/٥٥١.
 - (٦) قال عنها ياقوت: (مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة استولى عليها الإفرنج منذ سبعين سنة أو نحوها، وهي غربي طليطلة وبين المشرق والجوف من قرطبة)، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٢٥.
 - (٧) قال ياقوت: هو حصن بالأندلس من أعمال شنت برية، الأندلس من معجم=

حصن البلاط إلى مدينة طلبيرة يومان^(١)، والثاني الذي يسير مع وادي نهر تاجه ويكون اتجاهه من الشرق إلى الغرب، وهو بعد أن يخرج من طليطلة يتجه (إلى طلبيرة ثم إلى المخاضة ثم إلى القنطرة^(٢)) ثم إلى قنيطرة محمود ثم إلى مدينة شنترين^(٣) ثم إلى لشبونة^(٤)، أما الثالث فهو الذي يربط طلبيرة بطليطلة ولعل هذا الطريق كان سالكاً طيلة السنة لارتباط المدينتين إدارياً لأنها من توابعها، ومسافة هذا الطريق عند ابن حوقل مسيرة ثلاثة أيام^(٥)، وعند ابن حيان خمسين ميلاً^(٦)، وعند الإدريسي سبعين ميلاً^(٧)، أما الطريق الرابع

معجم = البلدان، ص ٨١.

(١) نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢.

(٢) حصن بالأندلس قال عنه الحميري: (حصن بينه وبين ماردة يومان، وهو حصن منيع على نهر القنطرة، وأهله متحصنون فيه، ولا يقدر لهم أحد على شيء، والقنطرة لا يأخذها القتال إلا من بابها فقط، والقنطرة هذه قنطرة عظيمة على قوس من عمل الأول في أعلاها سيف معلق لم تغيّره الأزمنة ولا يدري ما تأويله)، الروض المعطار، ص ٤٧٣.

(٣) مدينة أندلسية قرب لشبونة على نهر تاجه، قال عنها الإدريسي: (مدينة شنترين على جبل عال كثير العلو جدا ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها وبأسفلها روض على طول النهر وشرب أهلها من مياه عيون ومن ماء النهر أيضا ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ومباقل وخير شامل ومن مدينة شنترين إلى مدينة بطليوس أربع مراحل) نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢.

(٥) صورة الأرض، ص ١١٦.

(٦) المقتبس (للقنطرة ٣٠٠ - ٥٣٣/هـ - ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٢٧٩.

(٧) نزهة المشتاق، ٥٥١/٢.

فهو الطريق الغربي والذي يمر بمدن غرب الأندلس ثم يحاذي مدينة طليبة حتى يصل إلى طليطة وهو الطريق الذي سلكه موسى بن نصير عند دخوله الأندلس والذي يبدأ من: (سبتة^(١))، الجزيرة الخضراء Algweiras^(٢)، مدينة شذونة Medinasidonia^(٣)، قرمونة Carmona^(٤)، إشبيلية Sevilla، لفنت Alicante^(٥)، ماردة Merida^(٦)، طليبة، طليطة^(٧) وقد أشار إلى هذا الطريق معظم

(١) مدينة بالمغرب، قال عنها الإدريسي: (مدينة سبتة فهي تقابل الجزيرة الخضراء وهي سبعة جبال صفار متصلة بعضها ببعض معمورة طولها من المغرب إلى المشرق نحو ميل)، نزهة المشتاق، ٥٢٨/٢

(٢) قال عنها ياقوت: (مدينة مشهورة بالأندلس، وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة)، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٠٨.

(٣) قال عنها ياقوت: (مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال أعمال الأندلس، وهي منحرفة عن موزور إلى الغرب مائلة إلى القبلة)، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٥٦.

(٤) وهي مدينة أندلسية يتصل عملها بعمل إشبيلية، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢٥

(٥) وهي مدينة تقع في غرب الأندلس من عمل ماردة، ينظر: ابن عذري، البيان المغرب، ٥٢/٢.

(٦) وهي مدينة من نواحي الأندلس بين الغرب والجوف، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٣.

(٧) الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ٨٣.

المصادر^(١) ، وتعكس تعدد الطرق المؤدية إليها-على الرغم من وعورة منطقتها-أهميتها العسكرية كونها واحدة من أهم ثغور المسلمين في الأندلس المواجهة لجليقية Galicia النصرانية.

على الرغم من أن مدينة طليبة تعد من أعمال مدينة طليطلة ومن حصونها الدفاعية المهمة ، إلا أنه في الوقت نفسه عملاً قائماً بذاته^(٢) ، ولها العديد من النواحي التابعة لها ومنها:

١- السند ، قال ياقوت: ناحية من أعمال طليبة^(٣) ، وأشار إليها ابن غالب بالقول: إنها من مدائن طليطلة وطيبة^(٤).

٢- باشك ، بفتح الشين ، ذكرها كل من ابن غالب وياقوت من أعمال طليبة^(٥).

٣- حصن سكتان ، وهو أحد الحصون التابعة إلى مدينة طليبة إلى الغرب منها^(٦).

(١) ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٥؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥-٣٦؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٤-٢٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣/٢-١٦؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٥٥؛

(٢) ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠- ٣٣٠هـ/٩١٢- ٩٤١م) ص٣٣١.

(٣) الأندلس من معجم البلدان، ص١٤٨.

(٤) فرحة الأنفس، ص٢٠.

(٥) فرحة الأنفس، ص ٢٠؛ الأندلس من معجم البلدان، ص١٤٨؛ ينظر أيضاً: البغدادى، مرصد الاطلاع، ١٥٣/١.

(٦) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢- ٢٦٧هـ /٨٤٦- ٨٨٠م)، ص٣٣٠؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص١٩٦ وأسماء حصن سكيان.

٣- الفحص ، قال ياقوت: ناحية كبيرة من أعمال طليطلة ثم من عمل طليطلة^(١) ، وأضاف قائلاً: (سألت بعض أهل الأندلس: ما تعنون به؟ فقال: كل موضع يُسكن سهلاً كان أم جبلاً بشرط أن يُزرع نسيمه فحصاً)^(٢) ، وعلى هذا فإن هذه المنطقة من طليطلة تشتهر بالزراعة.

٤- وقّش ، بفتح الواو وتشديد القاف ، قرية بنواحي طليطلة^(٣) ، وهي على بريد من طليطلة^(٤) ، وقال الصفدي هي على اثني عشر ميلاً منها^(٥).

(١) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠١؛ ينظر أيضاً: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٠.

(٢) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠١.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٥٧.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٤/١٦٥.

(٥) الواقي بالوفيات، ٢٦/٦٢.

ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة طليطلة

أشارت معظم المصادر إلى أن طليطلة مدينة قديمة^(١) ، وهذا يعني أنها كانت موجودة قبل الإسلام ، وأضاف الزهري إلى أنها من بناء القوط^(٢) الذين حكموا في أسبانيا للمدة (٤١٠-٧١٠م)^(٣) ، ولم نحصل في المصادر المتوفرة لدينا عن تاريخها قبل الإسلام ، ولكنها كانت معروفة عند الفتح الإسلامي.

إذ أن طارق بن زياد عندما عبر إلى شبه الجزيرة الأيبيرية Iberia سنة ٧١٠هـ/٧١٠م وبعد انتصاره على الملك لذريق في معركة شذونة توجه مسرعاً نحو العاصمة طليطلة ثم توجه شمالاً حتى مدينة وادي الحجارة Guadajara ثم عاد أدراجه إلى طليطلة وذلك سنة ٧٩٣هـ/٧١١م وبقي بها طوال العام بانتظار موسى بن نصير^(٤) ، أما موسى فإنه لما عبر سلك غير الطريق الذي سلكه طارق حيث توجه

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥١/٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.

(٢) الجغرافية، ص ٨٥.

(٣) حتاملة، ايبيريا، ص ٢٠٨.

(٤) ينظر عن عمليات طارق حتى طليطلة: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٤؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٥- ٣٦؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ٣٩- ٤٤.

غرباً لحماية الجانب الأيسر ، وللإشغال العدو بفتح جبهة جديدة ، فلما فتح ماردة سار منها إلى طليطلة وطلب من طارق الخروج لملاقاته ، وقيل إن طارق حينما توجه غادر موسى ماردة خرج لملاقاته تعظيماً له ومبادرة منه فكان اللقاء قرب طليطلة^(١) في شوال من سنة ٧١٢/٥٩٤م ، وذكر مؤلف مجهول أن اللقاء كان في طلبيرة بموضع منها يقال له بابد^(٢) ، ويقال كان في مكان يدعى المعرض Almaraz بين نهري تاجه والتيتار Tietar^(٣) ، وحسب هذه الرواية أنه في ذلك المكان التقى موسى مع لذريق ، الذي كان فرّاً إلى هذه المنطقة بعد هزيمته في معركة شذونة أمام طارق سنة ٩٢هـ / ٧١٠م ، وتمكن موسى فيها من قتل لذريق ثم التقى بمولاه ودخلا طليطلة سنة ٧١٢/٥٩٤م^(٤).

إن خروج طارق من طليطلة غرباً لملاقات موسى بعد مغادرة الأخير ماردة لابد أن يكون قد صاحبه عملية تأمين الطريق الغربي المخاذي لنهر تاجه ، كما أن لقاءهما في طلبيرة يعني أنها أصبحت آمنة عسكرياً ولهذا بعد اللقاء توجهوا نحو طليطلة ، كما يعني أيضاً أن طريق طارق ذهاباً لوحدته وإياباً مع موسى كان عبر طلبيرة ، وهو

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص٤٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب،

١٦/٢؛ المقري، نضح الطيب، ١/٢٧١.

(٢) أخبار مجموعة، س٢٦- ٢٧.

(٣) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٣٨.

(٤) مؤنس، فجر الأندلس، ص١٥٨- ١٥٩.

ما يرجح أن فتحها كان في ذلك الأثناء ، أي في النصف الثاني من سنة ٧١٢هـ/٧١٢م.

كانت خطة طارق بن زياد تقضي أنه إذا فتح منطقة ترك فيها بعض من يرغب نزولها لعمارتها وحماتها ، وقد أشار المقرئ إلى ذلك عند حديثه عن فتح جليقية Galicia بقوله: (... ، وكان العرب والبربر كلما مرّ قوم منهم بموضع استحسوه حطّوا به ونزلوه قاطنين ، فاتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس ، وخذل الشرك...^(١) ، وهذا يعني أن كلاً من العرب والبربر قد نزلوا أول الأمر المنطقة وقاموا بعمارتها بمحض إرادتهم ، وعلى الرغم من عدم ورود تفاصيل إلا أنه يمكن القول إن بعضاً من القبائل العربية سكنت شمال طليطلة مثل الأنصار(الأوس والخزرج) ولاسيما مدينة وادي الحجارة^(٢) ، كما نزلها أفراد من قبيلة باهلة^(٣) ، كما نزل مجموعة من بني تميم قرية الزباقرة(نسبة إلى الزبرقان بن بدر التميمي^(٤)) الواقعة إلى الشمال من مدينة طليطلة ومكثوا بها حتى تغلب عليهم النصارى فانتقلوا

(١) نفع الطيب، ٢٧٦/١.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٤١.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٦.

(٤) الزبرقان، واسمه الحصين بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب التميمي، قيل له الزبرقان لحسنه، والزبرقان القمر، وقد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قومه سنة ٦٣٠هـ/٦٣٠م وأسلم، وكانت وفاته في حدود سنة ٦٤٥هـ/٦٦٥م، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ١٥٣/٢.

إلى طلبيرة^(١)، وتحدثت المصادر عن سكن عدد من الأنصار لطلبيرة منهم محمد بن إبراهيم الأنصاري^(٢) وفتوح بن عبد الرحمن الأنصاري^(٣) ومحمد بن أحمد بن حزم الأنصاري^(٤)، ونصر بن أنس بن علي الأنصاري^(٥)، وعبد الله بن محمد بن غلبون الأنصاري^(٦). وكانت قبيلة تذيب من القبائل العربية التي دخلت الأندلس واستقر قسم منهم في طلبيرة، نذكر منهم عثمان بن عيسى التجيبي^(٧)، ومن القبائل القيسية الشامية نزل طلبيرة منهم عبد ربة ربة بن جهور القيسي^(٨) وعيسى بن إبراهيم القيسي^(٩)، ومرزوق بن بن فتح القيسي^(١٠). كما دخل عدد من بني كنانة الأندلس^(١١)، واستقر بعضهم في

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢١٩.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ص ٤١٦؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ٢/٢٦٣

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص ٤٤١.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٢٥.

(٥) ابن بشكوال، الصلة، ص ٦٠١.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٦/٥٢٠.

(٧) ابن بشكوال، الصلة، ص ٣٨٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٩/٦؛ ابن فرحون،

الديباج المذهب، ٢/٨٤

(٨) ابن بشكوال، الصلة، ص ٣٦٩؛ ابن الأبار، التكملة، ١/١٢٢.

(٩) ابن بشكوال، الصلة، ص ٤١٦.

(١٠) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٩٦.

(١١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٨٩.

طلبيرة ، منهم هشام بن أحمد الكناني الذي كان يسكن قرية وقش من أعمال طلبيرة^(١) ، كذلك أحمد بن عبد الرحمن القشي الكناني^(٢) ، وأشار مؤنس إلى أن استقرار العرب في مناطق غرب الأندلس كان بنفس اتجاه خط سير موسى بن نصير ، الذي يستمر من إشبيلية حتى بطليوس Badajoz ثم نواحي طلبيرة وطليلة ، إذ أن أغلب جنده من العرب^(٣) .

وكان وادي نهر تاجه من أهم مناطق استقرار القبائل البربرية ، إذ امتدت مناطق استقرارهم من شمال طليلة وطلبيرة حتى ماردة^(٤) ، وكان غالبيتهم من البرانس^(٥) ، وإلى الشمال من طلبيرة في حصن سكتان كان يسكن مجموعة من بربر برانس كتامة وكانوا في عدد كثير ولهم بأس وشدة^(٦) ، كما أن امتلاك بني ذي النون الذين ينتمون إلى بربر هواة وتكوينهم دولة في طليلة

(١) ابن بشكوال، الصلة، ص ٦١٧؛ ابن العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ١/١٨٩؛ ١٨٩/١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤/١٦٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٦/٦٢.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٥٧؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ١/١٦٤.

(٣) فجر الأندلس، ص ٤١٣.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٦٩.

(٥) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٦٩.

(٦) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٢٢.

شملت مناطق واسعة من أواسط الأندلس^(١) ومن ضمنها طلبيرة كان أحد العوامل التي ساعدت على انتشار البربر في المنطقة ، كما أشار ابن بشكوال إلى أن خلف بن نصر المغيلي من أهل طلبيرة^(٢) ولعله سكنها مع مجموعة من أبناء قبيلته ، وأشار مؤلف مجهول إلى أن البربر في جليقية وأسترقة Astorga وماردة وطلبيرة كانوا يشكلون مجامع كبيرة قبيل الفتنة في عصر الولاة^(٣) ، وكانوا أمراء في الثغر^(٤) ، مما يدل على الأعداد الكبيرة التي كانوا يشكلونها هناك ، وفي سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م عندما ثار البربر في مدينة تاكرنا Takoronna أرسل إليهم الأمير هشام بن عبد الرحمن(١٧٢-١٨٠هـ /٧٨٨-٧٩٦م) جيشاً وقتل الكثير منهم مما دفع الباقون إلى الفرار إلى طلبيرة وترجيبة Trujillo^(٥) ، مما ساهم في زيادة أعدادهم في طلبيرة.

بعد انتهاء مرحلة الفتح عمل المستوطنون من العرب والبربر على فلاحه الأرض وأعمارها فكان منهم من تولى الفلاحة بنفسه فيما سكن آخرون في العواصم والقرى واشتغلوا بالإشراف على

(١) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٣٣.

(٢) الصلة، ص١٥٨.

(٣) أخبار مجموعة، ص٤٣.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٤/٢؛ وترجيبة مدينة أندلسية من أعمال ماردة،

ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٠٣.

المزارعين من أهل البلاد وهو ما أدى إلى الإسراع في عمارة الأرض بعد انتهاء الفتح^(١) ، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً ، إذ أن المستقرين الأوائل الذين استوطنوا في حوض نهر دويرة Rio Duero سواء من العرب أم البربر قد تركوا المنطقة بعد مدة وجيزة وبالتحديد خلال عهد الولاية(٩٥-١٣٨هـ / ٧١٣ - ٧٥٥م) وذلك بسبب ما أصاب المنطقة من اضطرابات دفعت بهم إلى الهجرة وترك أماكنهم.

كان مفتاح الفتنة التي أدت إلى نزوح المستوطنين (العرب والبربر) من الثغر الشمالي الغربي من الأندلس هو ثورة البربر في المغرب سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩م^(٢) ، فكان من أهم نتائجها على الأندلس وثغوره أن ثار بربر الأندلس (في السنة أعلاه) ولاسيما البربر القاطنين في جليقية وأخرجوا العرب من بين أظهرهم ، وفي ذلك يقول مؤلف مجهول: (فُقُضِيَ أن بربر الأندلس ، لما بلغهم ظهور بربر العدو على عربها وأهل الطاعة ، وثبوا في أقطار الأندلس ، فأخرجوا عرب جليقية وقتلوهم ، وأخرجوا عرب أسترقة ، والمدائن التي خلف الدروب ، فلم يرعُ ابن قطن^(٣) إلا فلهم قد قدم عليه ، وانضم عرب الأطراف كلها

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٦٠.

(٢) ينظر عن ثورة البربر في المغرب سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩م: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٤٦- ٢٤٨؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٦٢- ١٦٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١/ ٥٢- ٥٤.

(٣) عبد الملك بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر الفهري، أمير الأندلس، تولى الولاية الأولى بعد عبد الرحمن الغافقي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي الأمير يافريقية (١١٤- ١١٦هـ / ٧٣٢- ٧٣٤م) أما ولايته الثانية فكانت

إلى وسط الأندلس ، إلا ما كان من عرب سرقسطة Saragosa
وغيرهم ، فإنهم كانوا أكثر من البربر ، فلم يهجم عليهم البربر ، فأخرج
عليهم عبد الملك جيوشاً فهزموها وقتلوا العرب في الآفاق...^(١).

إن النص أعلاه ذو أهمية كبيرة بالنسبة للوجود العربي والبربري
في جليقية وما بين نهري دويرة وتاجه والتي تقع بينهما مدينة
طلبيرة ، ويفهم من النص أعلاه عدة أمور منها:

- ١- إن العرب في المناطق أعلاه كانوا أقل من البربر.
- ٢- إن العرب نزحوا من مناطقهم في ذلك الثغر-إلا ما كان من
عرب سرقسطة - واتجهوا جنوباً فتمركزوا في وسط الأندلس.
- ٣- لم يتمكن العرب من الرجوع إلى مناطقهم بعد ذلك ، يقول
مؤنس: وبهذا لم تبق منهم في هذه الناحية بقية ، ولم يعد العرب إلى
الاستقرار في المدائن خلف الدروب بعد ذلك وكان ذلك آخر عهدهم
بها^(٢).

إن إخراج العرب من جليقية وما بين نهري دويرة وتاجه على يد
شركائهم في الفتح ، أشعل نار الفتنة بين العرب والبربر في الأندلس ،
مما كان له نتائج سلبية على الوجود الإسلامي(العرب والبربر) في
مناطق الثغر المشار إليها أعلاه ، فليت البربر بفعلتهم هذه أقاموا بمواضع

سنة ١٢٣هـ / ٧٤٠م حتى سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م، وقتل بالأندلس سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م.=

=الحميدي، جنوة المقتبس، ص٢٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٨.

(١) أخبار مجموعة، ص٤٢.

(٢) فجر الأندلس، ص٣٩١.

العرب وعمروها ، ولكنهم فعلوا العكس ، فتركوا مناطقهم وراء ظهورهم وعزموا على القضاء على العرب جملة وطردهم من الأندلس ، فحشدوا (...من جليقية ، واسترقة ، وماردة ، وطلبيرة ، فأقبلوا في شيء لا يحصيه عدد ، حتى أجازوا نهراً يقال له: تاجة ، يريدون عبد الملك...) ^(١) وهكذا ، اتجهوا جنوباً في هيجة غير محسوبة على مستقبل البلاد التي فتحوها ، والتقوا مع العرب بقيادة عبد الملك بن قطن الذي استعان بمن تبقى من عرب العدو المغربية وكانوا بقيادة بلج القشيري ^(٢) في جند من أهل الشام ، فكانت معركة وادي سليط Guazalete من أرض طليطلة سنة ١٢٤هـ/٧٤١م التي انهزم فيها البربر ، وفي ذلك يقول مؤلف مجهول: (... ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأقبل أهل الشام عليهم حنقين ، فقاتلوا قتال مستبسلين ، فمنحهم الله أكتاف البربر ، وقتلوهم قتلاً ذريعاً أفنوهم به ، فلم ينج منهم إلا الشريد) ^(٣) وعلق ابن عذاري على ذلك بقوله: (... ، فكانت هزيمتهم العظمى هنالك بوادي سليط من حوز طليطلة ، بعد أن زحف عبد الملك وبلج إليهم بعرب الأندلس ، حاشا عرب سرقسطة وثغورها. وزحف البربر بأجمعهم ، فهزمهم العرب ، وقتلوا منهم في الهزيمة الآفاً) ^(٤).

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٤٣.

(٢) بلج بن بشر القشيري ابن عمّ كلثوم بن عياض القشيري. الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٧٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١/٥٤.

(٣) أخبار مجموعة، ص ٤٤؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٣١.

(٤) البيان المغرب، ٢/٣١.

كانت لمعركة وادي سليط سنة ١٢٤هـ/٧٤١م آثار سيئة على الوجود الإسلامي في مناطق الثغر الأعلى الغربي ، فالبربر بعد أن أخرجوا العرب ، انشغلوا هم بالحروب مع العرب ، ولم يعودوا يمارسوا نشاطهم هناك ، فكانت النتيجة أن خرب الزرع وأهملت الأرض ، ولم يستطع المزارعون من أهل البلاد من مواصلة عملهم في حقولهم بسبب الحروب بين شركاء الفتح (العرب والبربر) فهبت على البلاد سنوات من المجاعة بسبب نقص الزرع وفراغ الأرض من سكانها ، فاستغل النصارى ذلك أحسن استغلال من أجل سد الفراغ الذي أحدثه الفراغ السكاني في المنطقة ، وقد أشار مؤلف مجهول إلى ذلك قائلاً: (فأعقبهم الله بالجوع والقحط ، فجاءت الأندلس سنة ثنتين ، ثم استخلفت سنة ثلاث عاماً سعيداً ، فثار أهل جليقية على المسلمين ، وغلظ أمر علع يقال له: بلاي ،... ، فخرج من الصخرة وغلب على كورة وأستوريس ، ثم غزاه المسلمون من جليقية ، وغزاه استرقه زماناً طويلاً ، حتى كانت فتنة أبي الخطار^(١) وثوابة^(٢) ، فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين هزمهم وأخرج

(١) هو أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ولي الأندلس بعد قتل عبد الملك بن قطن ومبايعة أهلها ثعلبة بن سلامة، وكانت توليته من قبل والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م وعزل سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م، ثم قتل في الحرب التي جرت بين القيسية واليمانية في موقعة شقندة سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م. ينظر ترجمته: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٧٧. ١٧٨؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١/٦٦٦.

(٢) هو ثوابة بن سلامة الجذامي ولي الأندلس أكثر من سنة وذلك سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٥٨؛ ابن عناري، البيان

عن جليقية كلها ، وتنصر كل مذذب في دينه ، وضعف عن الخراج ، وقتل من قتل ، وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى استرقة ، حتى استحکم الجوع ، فأخرجوا أيضاً المسلمين عن أسترقة وغيرها ، وانضم الناس إلى ما وراء الدرب الآخر وإلى قورية وماردة في سنة ست وثلاثين ، واشتد الجوع فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا وريف لبربر ممتارين ومرتحلين ، وكانت إجازتهم من وادي بكورة شذونة ، يقال له: وادي برباط ، فتلك السنون تسمى: سني برباط^(١).

ويعلق مؤنس على النص أعلاه بالقول: إنه على الرغم من بعض الأخطاء في تحديد التواريخ ، ولكنه يصور الحالة في منطقة الثغر الأوسط الغربي الأندلسي أحسن تصوير ، وقد استغل النصارى ذلك استغلالاً كاملاً ، فلم يدعوا وسيلة يمكنهم فيها من النيل من المسلمين إلا ابتدروها ، ولو لم تشملهم المجاعة لكان بلاؤهم أشد وأبعد^(٢) ، وبشكل مقتضب أشار ابن الأثير إلى ذلك بقوله: (ثم توالى القحط على الأندلس وجلا أهلها عنها وتضعضت إلى سنة ست وثلاثين ومائة)^(٣).

وقد توج النصارى تلك الأحداث أن قاموا باجتياح المنطقة الواقعة بين نهري دويرة وتاجة وتمكنوا من الاستيلاء عليها وإخراج

المغرب، ٣٥/٢.

(١) أخبار مجموعة، ص ٦١- ٦٢.

(٢) فجر الأندلس، ص ٣٩٣.

(٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٨٥.

من تبقى من المسلمين منها ، وقد أشار ابن الأثير في حوادث سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م إلى ذلك بقوله: (في هذه السنة هلك أذفنش ملك جليقية وملك بعده ابنه تدويلية - وكان أشجع من أبيه وأحسن سياسة للملك وضبطاً له- وكان ملك أبيه ثماني عشرة سنة^(١) ، ولما

(١) هناك بعض الاختلاف عن هذه الرواية عند ابن الخطيب إذ أشار إلى أن أول من ملك من النصراري في عهد الإسلام في الأندلس هو بلاية (بلاي) الذي تحصن في أرض أشتوريش مع عدد قليل من الرجال ودافع عن جهته، فقدمه أهل تلك الجهات ملكا وذلك سنة ٩٩هـ/٧١٧م ودام ملكه ثلاث عشرة سنة، ملك بعده ابنه أقبلة لمدة عامين ثم قتله دب بالصيد، ولي بعده صهره دون الفنش بن الروز دون بطرة (وهو أذفونش، أذفنش أعلاه) وذلك سنة ١١٤هـ/٧٣٢م ودام ملكه تسع عشرة سنة فلما هلك ملك ابنه فريولة (لعله تدويلية عند ابن الأثير) وذلك سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م، قال: وفي عهده دخل عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، ولما هلك فريولة ملك بعده أخوه ابن بلية واستولى على أرض أشطوريش وغلبيسية وأرض برتقال، وبعض ليون وكان ملكا كبيرا وكانت ولايته سنة ١٤٨هـ/٧٥٥م، أعمال الأعلام، ٢/٢٧٧ - ٢٧٨؛ أما قائمة ابن خلدون فهي تختلف عما ذكره ابن الأثير وابن الخطيب إذ قال: إنهم ملكوا عليهم ابن ناقلة فأقام ملكا تسع عشرة سنة وهلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وولي ابنه قافلة سنتين ثم هلك، فولوا عليهم اذفونش بن بطرة وكان مهلكه سنة اثنتين وأربعين ومائة، وولي بعده ابنه فريولة إحدى عشرة سنة فاسترجع مدينة لك وبرتغال وسمورة وسمنقة وشقوبية وقشتالة بعد أن كانت للمسلمين في الفتح وهلك سنة ثمان وخمسين ومائة، تاريخ، ٤/١٨٠. وواضح أن هناك اضطراباً في بعض التواريخ والأسماء بين القوائم الثلاثة، راجع مناقشة ذلك: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٨٩ - ٣٩٥؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، العصر الأول، ص ٢١٣ - ٢١٦.

ملك ابنه قوي أمره وعظم سلطانه وأخرج المسلمين من ثغور البلاد وملك مدينة لك. ويرتقال^(١). وشلمنقة وشمورة وأيلة وشقوية وفشتيالة^(٢)؛ وكل هذه من الأندلس^(٣)، وهكذا انحدرت حدود الأندلس الإسلامي إلى الخط الممتد من قلمرية Coimbra غرباً مروراً بقورية Coria وطلبيرة وطليلة على نهر التاجه إلى وادي الحجارة وطليلة Tudela وبنبلونة Pamplona^(٤)، إن التطورات أعلاه جعلت مدينة طلبيرة تتحول إلى مدينة ثغرية وباب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين^(٥).

إن تاريخ مدينة طلبيرة منذ الفتح حتى سقوطها بيد النصارى تأثر بعاملين مهمين، أولهما قربها من مدينة طليطلة، ذلك أن الأخيرة كانت مصدر قلق كبير للسلطة في عصري الإمارة (١٣٨-

(١) قال البكري: برتقال مدينة بالأندلس تقع عند مصب آنه على البحر المحيط، المسالك والممالك، ١/١٨٠؛ وقال الإدريسي: البرتقال بلاد تضم عدة مدن وعرض أرضها مسيرة يوم، نزهة المشتاق، ٢/٧٢٥، ٧٣١.

(٢) قال الحميري: قشتالة من الأعمال الأندلسية قاعدته قشتالة، سُمي العمل بها، وقالوا ما خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الجنوب يسمى أشبانيا، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة، الروض المعطار، ص ٤٨٣؛ ينظر أيضاً: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٧٢٥.

(٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٩٣؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام، ق ١، العصر الأول، ص ٢١٥.

(٤) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٦٢؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٣٥.

(٥) البكري، المسالك والممالك، ٢/٩٠٨.

٣١٦هـ/٧٥٥ - ٩٢٨م) والخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨ - ١٠٣٠م) ، وأحسن
تعليل لسلوك أهل طليطلة وكثرة ثوراتهم جاء عند ابن حيان إذ
قال: ذلك أن أهل طليطلة (بتنزيهم إلى الخلعان ، ومروقهم من
الطاعة ، وتسكعهم في الجهل والمعصية ، ودفعهم حق الإمامة ،
يُعينهم على ارتكاب ذلك كل وقت وارتكاسهم فيه كل حين ، ما
هم عليه من حصانة جسرهم ، ومنعة معقلهم وما أوتوه من كثرة
أطمعتهم ، وسعة ربوعهم ، وامتداد نفارهم على الأيام مُدخراً في
مطامرهم ، وأمانهم من فساده مع مرّ سنينهم ، يُماد المُعمر منهم
عُمره ، فيرجع منه إذا شاء إلى ذخيرته ، فهم لذلك واتصاله من
الأشر والبطر واستهانة الناس ، والجرأة على السلطان على ما لم
يكن على مثله أهلُ بلد من بلدان الشُّقاق بأرض أندلس^(١) ، فضلا
فضلا عن ذلك كثرة المولدين والنصارى المعاهدين في طليطلة ، ولم
ينسوا سالف عزمهم ومجدهم أيام كانت مدينتهم عاصمة المملكة
القوطية^(٢) ، وسنلاحظ من خلال البحث أن معظم الأحداث التي
شهدتها طليطلة كان لها انعكاساتها على الوضع في مدينة طلبيرة
حتى سقوطهما بيد النصارى.

أما العامل الآخر فهو أن المناطق الحاذية لها في الشمال الغربي
(جليقية) شهدت ميلاد أول مملكة نصرانية في أسبانيا بعد الفتح

(١) المقتبس (للقبلة ١٨٠ - ٢٣٢هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦م) ص ١٠٨.
(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق ١، ص ٢٣٩.

الإسلامي^(١) ، وذلك سبب انشغال المسلمين في عهد الولاة بالفتن والحروب الداخلية صرفتهم عما كان يجري هناك ، فضلاً عن ذلك ما نتج عنها من نزوح أعداد كبيرة من المسلمين عن تلك المناطق فصح المجال للمملكة النصرانية - كما مرّ بنا - أن تتوسع في المناطق الواقعة بين نهري أنه Rio Guadiana وتواجه وتحاذي حدود الدولة الإسلامية هناك وتحولت المنطقة إلى ساحة صراع مستمرة بسبب حالة العداء بين الجانبين ، وترتب على ذلك أيضاً أن تحولت طلبيرة مركزاً لتجمع الجيوش الإسلامية المتجه إلى جليقية أو المنسحبة منها.

ومن الأحداث المهمة التي شهدتها مدينة طلبيرة هي إسهامها في القضاء على ثورة قامت في طليطلة سنة ١٨١هـ / ٧٩٧م ، ذلك أن طليطلة كانت قد قامت فيها خمس ثورات في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل^(٢) ، وقد رأى الأمير هشام بن عبد الرحمن أوكل أمر طلبيرة أحد قادته المخلصين وهو عمرو بن يوسف^(٣) ، فلما

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٨٩؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر= الأول، ق ١، ص ٢١٢- ٢١٥؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٣٤- ١٣٥.

(٢) السلمي، مدينة طليطلة في العصر الإسلامي، ص ٤٩.

(٣) كان عمرو بن يوسف في أول أمره في خدمة مطروح بن سليمان الأعرابي، فلما ثار الأخير على السلطة أيام الأمير هشام بن عبد الرحمن سنة ١٧٤هـ / ٧٩٠م قام عمرو مع شرحبيل بن صلتان باغتياله، فكافأه الأمير هشام بأن ولاه طلبيرة، ينظر: العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٢٦؛ ابن حيان، المقتبس

كان في هذه السنة-إي ١٨١هـ/٧٩٧م-ثار أهل طليطلة بزعامة رجل منهم يدعى عبد الله بن خمير^(١)، فأوعز الأمير الحكم(١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) إلى عمروس بالقضاء على الثورة، وكان عمروس من المولدين^(٢)، فراسل قوم من وجوه أهل طليطلة يعرفون ببني مخشي، وأطمعهم بالولاية، فقتلوا ابن خمير ومضوا برأسه إلى عمروس، فرحب بهم وأكرمهم وأنزلهم عنده، إلا أن وجود بني مخشي في طليطلة لم يكن مرحب به إذ كانت بينهم وبين بربر طليطلة دماء، فهجموا عليهم وقتلوهم، ولعل ذلك حدث بتواطئ عمروس أيضاً، فأراد أن يتخلص منهم، وفي هذا الصدد يعلق ابن حيان على ذلك بقوله: (فاعتدَّ عمروس ذلك فتحاً إلى الفتح في ابن خمير، وبعث برؤوسهم مع رأس بن خمير قتيلاً إلى الأمير الحكم، فشكر له سعيه، وازداد في اصطناعه بصيرة، ووسطه في أمر أهل طليطلة)^(٣)، وعلى إثر ذلك عين عمروس بن يوسف والياً على طليطلة في وقعة الحفرة^(٤)، أما طليطلة فلم تشر المصادر التي

(للقبلة ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ٤٧٢.

- (١) ورد اسمه عند ابن الأثير وابن عذاري، عبيدة بن حميد، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٢٩؛ البيان المغرب، ٢/٦٩؛ وعند النويري، عبيدة بن حسير، نهاية الأرب، ٢٣/٢١١؛ وعند ابن خلدون عبيدة بن عمير، العبر، ٤/١٢٦.
- (٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٥.
- (٣) المقتبس (للقبلة ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ١٠٥؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٢٩ - ١٣٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٦٩؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٢١١؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٢٦.
- (٤) ينظر التفاصيل عن وقعة الحفرة ابن حيان، المقتبس (للقبلة ١٨٠ -

بين أيدينا إلى من تولى أمرها ، ولعلها أضيفت إلى عمرو بن يوسف إذ كانت الظهير الذي يمكن من خلالها مراقبة سلوك أهل طليطلة.

وعلى الرغم من الضربات الكبيرة التي وجهها الأمراء الأمويون في قرطبة لثوار طليطلة إلا أنها لم تستكن طويلاً ، ففي سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م عاود أهالي المدينة الثورة على الأمير الحكم ، فأعمل معهم الحيلة من أجل مباغتتهم ، فاتجه جنوباً مظهراً أنه يريد تدمير ، ولكنه سرعان ما زحف غرباً فما أحس أهالي طليطلة إلا وجيش الأمير تطوقهم فدخلها وعاقب أهلها بأن أخرجهم إلى الصحراء لمدة ثم أعادهم إليها^(١) ، ويبدو أن طريق الأمير الحكم في هذه المرة كان عبر طليطلة لأنه سلك الطريق الغربي الذي يربط طليطلة بطليطية عبر نهر تاجه.

وفي سنة ٢١٤هـ / ٨٢٩م ثار أهل طليطلة بزعامة أحد وجهائهم ويدعى هاشم الضراب وغلب على عدة مواقع من الثغر ، وكان أكثر نقمته على البربر ، واشتدت شوكته وذاع صيته ، ولم تتمكن قوات الإمارة الأموية من التصدي له ، واستمر في ذلك إلى سنة ٢١٦هـ / ٨٣١م إذ أرسل الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى عامل الثغر يؤنبه ويحثه على الجدي في محاربة أهالي طليطلة ، فحشد بربر تلك النواحي وانتهت الحرب بهزيمة هاشم الضراب ودخول قوات الإمارة إلى طليطلة^(٢) ، إلا أن ذلك لم يضع حداً لثورتهم ، فعادوا مرة

٧٢٣٢ / ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ١٠٨ - ١١٥.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٦/٢.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠ - ٧٢٣٢ / ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ٤٢٢ - ٤٢٣،

أخرى إلى الخروج وذلك سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م ثم في سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٦م ، مما اضطر الأمير عبد الرحمن إلى إرسال قوة بقيادة أخيه الوليد بن الحكم الذي ضرب عليهم الحصار ثم اقتحم المدينة عنوة ونكل بالثوار فنزلوا على حمكه^(١) ، وفي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م خالف أهل طليطلة أيضاً فسار إليهم الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) فأرسلوا إلى ملك جليقية وملك البشكنس Bascons يستمدونهما ، فأرسلوا إليهم العساكر ، فلما سمع الأمير محمد بذلك كمن لهم عند وادي سليط إلى الجنوب من طليطلة ، فلما تقدم ثوار طليطلة ومعهم النصارى خرج إليهم الأمير محمد بقواته فأوقع بهم وقتل أعداداً كبيرة منهم^(٢) ، ويبدو أن أهالي طليطلة قد اشتركوا في مناصرة قوات الإمارة ولاسيما البربر منهم وذلك بسبب العداوة القائمة بين أهل طليطلة وبربر طليطلة ، كما زاد اهتمام الأمير محمد بن عبد الرحمن بطليطلة فأمر في سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م بتحسينها ونقل الناس إليها^(٣) ، وذلك بسبب موقعها

٤٢٤؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٦٨- ١٦٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٣/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٧٩/٢٣؛ ابن خلدون، العبر، ١٦٤/٤ .

(١) ابن حيان، المقتبس، المقتبس (للقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ٤٢٧؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٥/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٠/٢٣ - ٣٨١ .

(٢) ابن حيان، المقتبس (للقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ٢٩٥ - ٢٩٧؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٨٧ - ١٨٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٤/٢ - ٩٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٢/٢؛ المقرئ، نوح الطيب، ٣٥٠/١؛ العلياوي، البشكنس، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦٩، ويبدو أن تصحيحاً أو سهواً وقع فيه ياقوت عندما ذكر أن إعادة بناء طليطلة كان من قبل عبد الرحمن الناصر الأموي،

المهم الذي يمكن من خلاله رصد تحركات أهل طليطلة من جانب ونصارى جليقية من جانب آخر.

وكرر فعل على موقف أهالي طليطلة من الأحداث أعلاه ، قام أهالي طليطلة سنة ٢٤٣هـ ٨٥٧م بمهاجمة طليطلة وكان الوالي عليها آنذاك مسعود بن عبد الله العريف ، فخرج إليهم فيمن معه من الجنود فقاتلهم فانهزم أهل طليطلة وقتل أكثرهم وحمل إلى قرطبة ٧٠٠ رأس منهم^(١).

ثم تجدد النزاع بين أهالي طليطلة وبربر طليطلة سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٢م ، ذلك أن موسى بن ذي النون الهواري كان قد أقره الأمير محمد بن عبد الرحمن على شنت برية ، وكان موسى طموحاً استغل انشغال الأمير محمد بأحداث الثغر الأعلى فحاول توسيع مناطق نفوذه باتجاه طليطلة فكان سبباً في احتدام النزاع بينهما ، وكانت طليطلة تحكم من قبل عاملين هما مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب وطريشة بن ماسويه ولم يكونا على وئام بينهما ، فلما قام النزاع مع موسى بن ذي النون من بربر هوارية ساند بربر طليطلة ابن ذي النون ، فخرج من حصن سكتان سبعمائة من البربر ، فنشبت الحرب بينهم وبين عاملي طليطلة وكان أهل طليطلة في عشرة آلاف ، فانهزم مطرف بن عبد الرحمن نكاية بشريكه طريشة

ينظر: الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١، والراجح رواية الحميري أعلاه.
(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٨٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٦/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٨/٢٣؛ ابن خلدون، العبر، ١١٦٧/٤.

مما أدى إلى مقتل الأخير على أيدي بربر طليبرة ، وقوى أمر موسى بن ذي النون^(١).

وفي عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م) الذي انشغل كثيراً بالثورات الداخلية وكان على رأسها ثورة ابن حفصون^(٢) ، وهو ما شجع بعض الشخصيات أن تدعو إلى الجهاد ضد النصارى الذين تمكنوا من الاستيلاء على مساحات واسعة من الثغر ، ومنهم شخص يدعى ابن القط القرشي^(٣) سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م وقاد حملة جهادية ضد مدينة سمورة Zamora ، بعد أن أخرج رسالاً إلى جميع المناطق يدعو الناس إلى جهاد الأعداء من أهل

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص٣٢٩ - ٣٣٠؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص١٩٦ - ١٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٢/٢.

(٢) نسبة إلى عمر بن حفصون أحد المولدين الثائرين في قلعة ببشتر منذ أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن واستمرت ثورته حتى عهد عبد الرحمن الناصر، ابن حيان، المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م) ص٧٢ - ١١٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣١ / ٢ - ١٣٣.

(٣) وهو أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام بن معاوية بن هشام بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك بن مروان خرج على الأمير عبد الله بن محمد سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م وقتل في حملته على مدينة سمورة في السنة نفسها، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٧؛ ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/٨٨٨ - ٩١٢م)، ص١٥٥.

جليقية^(١).

وكان ممن لحق به من المسلمين وهو في طريقه إلى مدينة سمورة نفير من أهل طليطلة وطلبييرة ووادي الحجاره Gudlajara وشتت برية Santebria واجتمعت عنده أعداد كبيرة من أهلها ، واستطاع ابن القط من دحر قوات ملك جليقية الفونسو الثالث (٢٥٢-٢٩٧هـ / ٨٦٦-٩٠٩م) على نهر دويره بالقرب من مدينة سمورة^(٢).

وقد علق ابن حيان على هذه الأحداث بقوله: (ولما أن تلاءمت عنده-يقصد به ابن القط- جموع الثغر من البلدان... ، نهض لحشوده حتى نزل بشاطيء دويره بالعدوة التي تلي بلد المسلمين على باب مدينة سمورة وكتب من هناك إلى الطاغية أذفونش بن أردون -الفونسو الثالث- ملك جليقية ، وجميع من كان اجتمع له من وجوه النصرانية كتاباً مغلظاً يدعوهم فيه إلى الإسلام وينذرهم بالصاعقة ، وأمر رسوله أن يستعجل منهم جوابه ولا يتوقف عندهم ، وإن هم أبوا من مجاوبته أن يعود بالخبر إليه ،... ، فأتى رسوله أذفونش ومن معه وقد اجتمعوا له بداخل مدينة سمورة ودفع إليهم الكتاب ، فلما قرى عليهم وترجم لهم نخرؤا وغضبوا ونهضوا من فورهم ذلك يريدون مكان محلته ، فتقدم الملك أذفونش

(١) ابن حيان، المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/٨٨١ - ٩١٢م)، ص١٥٦.

(٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/٨٨١ - ٩١٢م)، ص١٥٧ - ١٥٩؛

ابن الأبار، الحلة السراء، ٣٦٩/٢؛ الدرويش والعلياوي، مدينة سمورة الأندلسية، ص٦٨ - ٦٩.

في تعبئة من مدينة سمورة حتى الوادي الكبير فقام بإزائه على الضفة التي تلي سمورة وتعرضت خيله للحرب فطاش خيل من المسلمين ناشبتها الحرب بداخل الوادي فدارت بينهم مليا وتأججت نيرانها فما قاموا المسلمين إلا يسيراً ، ثم انكشفوا وولوا المسلمين أكتافهم فمروا خلفهم يقتلون ويأسرون حتى أتوا على واد يقال له أردوني بقرب سمورة ، وهو واد وعر لانخفاضه وضيق مسلكه ، أقحمهم المسلمون فيه فقتلوهم أقبح قتل وعبروا متبعين لهم وهم يقطعون إلى سمورة ، فلما حقق المسلمون عليهم النصر نكب أكثرهم عنها وجدوا في الهرب...^(١).

ويبدو أن النجاح الذي تحقق لم يدم طويلاً ، إذ سرعان ما أعادت قوات الفونسو الثالث الكرة مرة أخرى على ابن القط وأنصاره ، وتمكنت من قتل الأخير ودحر أتباعه ، وعلق رأسه فوق أحد أبواب مدينة سمورة ، وعرفت هذه الحادثة بيوم سمورة^(٢) ، وقد وصف ابن حيان ذلك بقوله: (... ووقعت عليهم الصيحة فصحت على جميعهم الهزيمة وظهر ذلك للمشركين فكروا عليهم وركبوا أكتافهم حتى أسلكوهم النهر فقتلوا منهم مقتلة عظيمة عند ازدحامهم فيه ثم عبروه في هزيمتهم والعدو يطلبهم ويرهقهم ، ... ،

(١) المقتبس، (للقبلة ٢٧٥ - ٨٨٨/هـ ٣٠٠ - ٨٨٨/هـ ٣٠٠)، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس، (للقبلة ٢٧٥ - ٨٨٨/هـ ٣٠٠ - ٨٨٨/هـ ٣٠٠)، ص ١٥٩؛ ابن الأثير، الحلة السيراء، ٣٦٩/٢ - ٣٧٠؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ١٨/٢ -

وعلى الداعي - يقصد به ابن القط - أميرهم أنه غير ناج فشده على نفسه وهمز فرسه واستعرض العدو مقبلاً عليهم بوجهه فقاتل حتى قتل هو ومن صابر معه وتغلب العدو على الحلة ، فانتسف ما كان فيها وجزوا رأس الداعي ابن القط ، فجيء به الملك أذفنش ، فأمر بنصبه على باب سمورة ، وعظمت المصيبة بكثرة من قتل من المسلمين ، وزاد العدو استكلاًباً عليهم وجرأة ، وهذه الواقعة تعرف عند أهل الثغر بيوم سمورة ، وكانت لعشر بقين من رجب سنة ثمان وثمانين ومائتين^(١).

وعلى الرغم من الخسارة التي لحقت بابن القط وأنصاره إلا أننا نلمس تجاوب الفئات الشعبية مع دعوته إلى الجهاد ، وهذا يدل من أن العمليات الجهادية لا تتوقف فقط على حكومة قرطبة ، أي الموقف الرسمي ، بل إن للشعب دوراً واضحاً في هذا المجال يمكن استنفاره في أي وقت تتطلب الحاجة إليه ، وكان أهالي طليبة في مقدمة من لبي ذلك.

وفي المدة الأخيرة من عهد الأمير عبد الله بن محمد لم تشر المصادر المتوفرة إلى الأوضاع في طليبة ، ولعل اضطراب الأوضاع في باقي مناطق الأندلس ولاسيما ثورة ابن حفصون التي شغلت السلطة آنذاك قد غطت على أخبار باقي المناطق ، ولكن الأحداث في طليبة القريبة منها بقيت هي الأخرى غير مستقرة ، فلم يستمر

(١) المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ١٥٩.

حكم بني ذي النون فيها إلا أعواماً يسيرة حتى غلب عليها محمد بن لب بن موسى بن قسي ثم أخاه المطرف ثم ابن عمه محمد بن إسماعيل بن موسى بن قسي فثار عليه أهلها وقتلوه سنة ٢٩٣هـ / ٩٠٥م وتولى أمرها زعيم من البربر من أهلها يدعى بن طريشة وكان حليف بني ذي النون حكام أقليش Ucles وشتت برية واستمر فيها حتى عهد الأمير عبد الرحمن الثالث^(١) ، والراجح أن أهالي طليطلة كانت في هذا الوقت أصبحوا تابعين لحكام طليطلة المواليين لبني ذي النون بسبب العلاقة الوثيقة التي كانت تربط بربر طليطلة بهم عندما قدموا لهم المساعدة في الاستيلاء على طليطلة.

وفي السنوات الأولى من حكم الأمير عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) انتهز النصارى فرصة انشغال الناصر بالقضاء على الفتن الداخلية فهاجم مناطق غرب الأندلس فبعد سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م نهر تاجه حتى وصل إلى ماردة ثم انسحب بعد أن عاث في المنطقة وانتهبها^(٢) ، فرد عليه الأمير عبد الرحمن بأن أرسل قائده أحمد بن محمد بن أبي عبدة وتوغل في أراضي مملكة ليون Leon وغنم وسبى ، وفي العام التالي أراد ملك ليون الانتقام فأرس جيشه

(١) ابن حيان، المقتبس، (للاحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)، ص١٦٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٢/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٣٤٠.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للاحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص١٢٠- ١٢٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص٣٩٤.

نحو مدينة طليبرة وعاث بها وانتسف ضياعها ، فسير عبد الرحمن قائدة أحمد بن أبي عبدة مرة أخرى وانضم إليه العليد من المتطوعة إلا أن الحملة فشلت وقتل أحمد بن أبي عبدة مع عدد من أصحابه وذلك سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م^(١).

كانت مملكة ليون قد شلغت بضعة أعوام بحرب أهلية انتهت بتولي راميرو الثاني (٣٢٠ - ٣٣٩هـ / ٩٣٢ - ٩٥٠م) عرش المملكة سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م فعمل على استئناف الصراع ضد المسلمين ، فعمل على إذكاء عوامل الفتنة بين المسلمين ، وكانت مدينة طليطلة مؤهلة لذلك معتمدين على مؤازرة ملك ليون ، فأسرع إليها الخليفة الناصر ، وتمكنت القوات الإسلامية من رد القوات النصرانية التي وصلت إلى مجريط لنجدة ثورة طليطلة ، فحال الناصر بينها ، واقتحم طليطلة وهدم حصونها^(٢) ، وكان قد بنى في مدينة طليطلة مدينة خصها لعماله وجيشه اسماها مدينة الفتح تكون عيناً على من تحدته نفسه الخروج على الدولة^(٣).

ويبدو أن مدينة طليبرة لم تسلم من دسائس راميرو الثاني ملك ليون فأخذ يجرّض بعض أهلها على الخروج ومآزره أهل طليطلة في

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ١٢٧ - ١٢٨،
١٣٥ - ١٣٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق ٢، ص ٣٩٤.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣١٧ - ٣٢٢؛
عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول، ق ٢، ص ٤٠١.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٢٨٣.

ثوراتهم ضد السلطة في قرطبة Cordoba ، فقاموا بثورة فيها ، ولم يحدد ابن حيان تاريخ ثورة أهل طليطلة ، ولكنه أشار إلى أن الخليفة الناصر نزل في سنة ٣٢٥هـ/ ٨٤٩م في مدينة الفتح التي بناها في طليطلة ، وفي مقره هناك وافاه الخبر في تمكن قواته هناك من القضاء على الثورة ، إذ قال: (ووافاه في مقامه في الفتح في فساق طليطلة من أعمالها ، وقد كانوا نكثوا العهد ، وجأهروا بالمعصية ، فأمكن الله منهم ، وأباد غضراءهم ، وفرق عصابتهم وفساقهم ...) ^(١) ، وأشار ابن حيان إلى أن عبد الرحمن الناصر بعمله هذا استطاع أن يضبط الثغر الأوسط كله فنظم ما بين مدينة الفرج إلى طليطلة ^(٢).

وخلال المدة بين (٣٠٠-٣٣٠هـ / ٩١٢-٩٤١م) سجل لنا ابن حيان أسماء عدد من العمال الذين تولوا في مدينة طليطلة فذكر أنه في سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م كان عاملها يدعى عبد الملك بن مروان القرشي ^(٣) ، ثم استبدل سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م بيزيد بن سعيد بن جودي ^(٤) ، الذي مكث فيها حتى سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م فخلفه فيها سواده بن عبد الملك ^(٥) ، وبعد سنة (٣٢١هـ / ٩٣٣م) عُزل سواده بيحيى بن أصبغ بن فهر ^(٦) ، الذي لم يمكث هو الآخر طويلاً فعُزل بأحمد بن عبد

-
- ١) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٩٥.
 - ٢) المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٢٢.
 - ٣) المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٢٥٥.
 - ٤) المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٢٨٥.
 - ٥) المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣١٥.
 - ٦) المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٣١.

الرحمن سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م^(١) الذي استمر بولايته لمدة سنتين ثم عُزل بيحيى بن شعيب سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م^(٢) ، ثم ذكر ابن حيان في أحداث سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م أن عميرة بن عقول كان على طلبيرة فعزل عنها بمحمد بن أحمد بن مسلمة^(٣) ، ولعل حالة عدم الاستقرار في مدينة طلبيرة ، هي التي دعت الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى إحداث تغييرات مستمرة في إدارة حكم هذه المدينة ، وفي ما عدا إشارات ابن حيان عن عمال طلبيرة في هذه الحقبة ، فإن المصادر الأخرى لم إلى تسجل لنا ذلك ، كما أن ضياع القسم الأكبر من تاريخ ابن حيان زاد من حالة الغموض حول إدارة مدينة طلبيرة وغيرها من مدن الأندلس الأخرى ، إذ دأب ابن حيان في نهاية أحداث كل سنة على ذكر ما أسماه (العمال) أو (العمال والوزراء) في معظم مدن الأندلس.

وفي سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٨م كانت غزوة الخندق Alhondiga نحو جليقية وقد كتب أهل وادي الحجارة إلى الخليفة الناصر يشكونه من نكاية العدو بهم وضيق معاشهم وسألوه أن يكون مروره إلى جليقية عبر أراضيهم مما يعود بالنفع عليهم ونكاية بعدوهم ، فلما غادر مدينة وادي الحجارة إلى حصن انتيشة كمن له النصارى في مسالك ضيقة وأرض وعرة فكانت الهزيمة على جيش المسلمين في معركة الخندق وقتل فيها أعداد كبيرة من المسلمين اضطر بعدها الناصر إلى الانسحاب^(٤) ،

(١) المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٥٥.

(٢) المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٩١.

(٣) المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٧٢.

(٤) ينظر التفاصيل عن موقعة الخندق: السعودي، مروج الذهب، ٩٢/١ - ٩٣.

وكانت الموقعة إلى الجنوب من مدينة طلمنكة Talamaca وشمال مدينة طلييرة^(١).

ويبدو أنه على الرغم من هزيمة المسلمين في موقعة الخندق Alhandige إلا أن ذلك لم يؤثر كثيراً على موقع المسلمين على الأرض في المنطقة ، واحتفظ المسلمون بثغر طلمنكة ، فبعد سنة من الخندق(أي ٣٢٨هـ/٩٣٩م) حاول نصارى جليقية التعرض لشغل طلمنكة ، فتصدى لهم والي الثغر آنذاك مطرف بن ذي النون وألحق بهم الهزيمة وبعث بكتاب الفتح إلى الخليفة الناصر ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: (ردف هذه الفتوح في هذا الشهر كتاب فتح ورد لمطرف بن ذي النون ، يذكر نفيته بنفسه وأصحابه ، إلى ثغر طلمنكة ، عند اتصال الخبر به بخروج العدو نحوها ، وأنه أوقع بهم ، فنصره الله عليهم ، ومر في آثارهم ، لما انهزموا عنه والسيف يأخذ مأخذهم منهم ، حتى حال الظلام بينه وبينهم ، فانصرف عنهم عزيزاً ظافراً ، وأصاب لهم خيلاً كثيرة ، كتب بعددها ، فتوالت هذه الفتوح من كل الجهات ، وعمت بها المسرات ، حتى ذهل المسلمون عن حطمة الخندق)^(٢) ، ويبدو أن أهالي طلييرة قد شاركوا ابن ذي النون في حملته هذه لأنها تقع ضمن ثغورهم فضلاً عن علاقة المودة والتناصر

مجهول؛ أخبار مجموعة، ص٥٦؛ ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص٤٢٥.

(١) ينظر الخارطة.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص٤٥٢.

التي كانت بين بني ذي النون وبربر طلبيرة.

وفي سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م كان على طلبيرة القائد رشيق وهو من قواد الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي أوكل إليه حماية ذلك الثغر ، وأشار ابن عذاري إلى أنه في هذه السنة كان للمسلمين غزوات على الروم نصرهم الله فيها كان منها فتح على يدي رشيق قائد الناصر على طلبيرة^(١).

وفي مدة حجابة ابن أبي عامر^(٢) (٣٦٦-٣٩٢هـ / ٩٧٦-١٠٠١م) ازداد نشاط الثغور الأندلسية بشكل عام وشُحنت بالمقاتلة وأسرههم حيث شهد عهده ست وخمسون غزوة^(٣) ، وكان لمناطق الشمال الغربي من الأندلس النصيب الوافر منها ، إذ أن تلك الحملات لا مناص لها من المرور بمنطقة طلبيرة لاسيما تلك التي كانت متوجه نحو مملكة ليون وهي على النحو التالي:

١- سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م دخل جليقية من الثغر الجوفي ووصل إلى

(١) البيان المغربي، ٢/٢١٧.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، دخل جده عبد الملك مع طارق بن زياد، ونزل بالجزيرة، وخدم منهم أبو عامر بن الوليد وابنه عامر في الدولة الأموية، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٧/٥٦؛ ابن الأبار، التكملة، ١/٢٨٧؛ الحلة السرياء، ١/٢٦٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٦٣؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٨٩؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢١٧؛ المقري، نضح الطيب، ١/٣٩٩.

(٣) مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٢٦.

حصن الحامة^(١).

٢- غزوة شلمنقة Salamanca الأولى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م ، إذ دخل على طليطلة ثم اتجه نحو شلمنقة ودوخ أرباضها^(٢) ، والطريق من طليطلة إلى شلمنقة يمر على طليطيرة ومنطقتها^(٣).

٣- غزوة سمورة الأولى سنة ٣٧١هـ/٩٨١م^(٤) ، وسمورة تقع إلى الشمال من طليطيرة^(٥).

٤- غزوة سمورة الثانية في نفس السنة أعلاه إذ غلب عليها وعلى أحوازها^(٦).

٥- غزوة ليون سنة ٣٧١هـ/٩٨١م^(٧).

٦- غزوة شلمنقة الثانية سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م^(٨).

٧- غزوة سمورة الثالثة ٣٧٣ هـ/٩٨٣م التي نزل عليها وصالحها

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/٢٦٤؛ ينظر أيضاً: العنزي، ترصيع الأخبار، ص٧٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٢٦، ويسمياها الحمة.

(٢) العنزي، ترصيع الأخبار، ص٧٤-٧٥؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/٢٦٧.

(٣) ينظر الخارطة.

(٤) العنزي، ترصيع الأخبار، ص٧٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٢٧.

(٥) ينظر الخارطة.

(٦) العنزي، ترصيع الأخبار، ص٧٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٢٨.

(٧) العنزي، ترصيع الأخبار، ص٧٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٢٨.

(٨) العنزي، ترصيع الأخبار، ص٧٩؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٢٨.

على أموال جلييلة^(١).

- ٨- غزوة سمورة الرابعة ٣٧٦هـ/٩٨٦م (أو غزوة المدائن) وهي التي فتح فيها شلمنقة وحصن ليون ثم دخل سمورة ونزلوا على حكمه^(٢).
- ٩- غزوة قندياجة (أو قندبخشة) في جماد الأول سنة ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م والتي دخلها عنوة ثم ارتحل إلى قلمرية وانتسف ارباضها^(٣)، وقلمرية تقع إلى الغرب من طلييرة وعلى إحدى روافد نهر تاجه^(٤).
- ١٠- غزوة قلمرية سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م في ذي القعدة منها^(٥).
- ١١- غزوة سمورة الخامسة، التي قال مؤلف مجهول عنها: إنه دخلها وأخذ من السبي منها أربعين ألف سبية ولم يحدد تاريخها ولكنه جعلها الغزوة الثلاثون من غزوات ابن أبي عامر^(٦).
ومما يرجح أن طلييرة تحولت أثناء غزوات ابن أبي عامر إلى نقطة تجمع للمقاتلين ولاسيما المطوعة منهم ما ورد في ترجمة أبو عبد الله محمد بن طاهر القيسي التدميري المعروف بالشهيد وهو معروف بالصلاح والخير والزهد والورع رحل إلى المشرق وأقام في مكة ثمانية

-
- (١) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٧٩؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٢٩.
 - (٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٢٩.
 - (٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٢٩.
 - (٤) ينظر الخارطة.
 - (٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٣٠.
 - (٦) تاريخ الأندلس، ص ٢٣٠.

أعوام ثم دخل العراق ومصر وكان يأكل من عمل يده بالنسخ ، ثم عاد إلى الأندلس (فاتخذ له بيتاً سقفه من حطب السدر يأوي إليه ، واعتمر جنيئة بيده يقتات منها ، وصار يغزو مع المنصور محمد بن أبي عامر ، ثم تحول من قريته بعد عامين إلى الثغر ، وواصل الرباط ، ونزل مدينة طليبة ، وكان يدخل منها في السرايا في بلد العدو فيغزو ويتقوت من سهمانه ، ويعول على فرس له ارتبطه لذلك ، وكان له بأس وشدة وشجاعة وثقافة ، يحدث عنه فيها بحكايات عجيبة ، إلى أن استشهد مقبلاً غير مدبر ، سنة ٣٧٩ هـ/٩٨٩م ، أو في التي قبلها ، عن اثنتين وأربعين سنة)^(١).

وفي مدة حجابة عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر(٣٩٢-٣٩٩هـ/١٠٠١-١٠٠٨م) كانت غزوته الثانية سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م إلى جليقية ، فارتحل من قرطبة إلى طليطة للتزود والتأهب ، وفي طليطة قسم جيشه إلى فرقتين ، أحدهما مع واضح الفتى الصقلي توجه بها غرباً نحو سمورة وانبسط في أحوازها وبساتنها وغنم ورجع ، فيما توجه هو إلى جليقية^(٢) ، ويلاحظ هنا أن طريق كلا الفرقتين كان يمر بمدينة طليبة ولا يستبعد أن المتطوعة هناك انضموا إلى الجيوش المارة بها. وبعد سقوط الخلافة الأموية^(٣) تمزقت الأندلس إلى طوائف

(١) المقري، نضح الطيب، ٢/٢٣٤- ٢٣٥؛ ينظر أيضاً: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٦٤- ٣٦٥؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٧/٢٠٣- ٢٠٤.

(٢) ابن عناري، البيان المغرب، ٣/١١- ١٢.

(٣) ينظر التفاصيل عند سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، عنان، دولة

ودويلات إذ (تناثرت أشلاؤها ، وتعددت الرياسات في أنحاءها ، لا تربطها رابطة ، ولا تجمع كلمتها مصلحة مشتركة ، لكن تفرق بينها منافسات وأطماع شخصية وضيعة ، وتصطدم بينها حروب أهلية صغيرة ، والأندلس خلال ذلك كله تفقد مواردها وقواعدها القديمة تباعاً ، ويحذر بها خطر الفناء من كل صوب)^(١) ، وكان نصيب الثغر الأندلسي أن استقل بنو هود في سرقسطة^(٢) ، وبنى ذي النون بطليطلة^(٣) وأصبحت طليطلة ومنطقتها من ضمن مناطق بني ذي النون ، وكانت مجموعة المدن والحصون الواقعة بين طليطلة وسرقسطة موضع الاحتكاك بين الجانبين ، فقد قام سليمان بن هود (٤٣١-٤٣٨هـ/١٠٣٩-١٠٤٦م) بإرسال قوة بقيادة ابنه أحمد لانتزاع مدينة وادي الحجارة سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م بدعوى مراسلة أهلها له وتمكن من دخولها عنوة ولم يستطع المأمون بن ذي النون (٤٣٥-٤٦٧هـ/١٠٤٣-١٠٧٤م) مواجهته فأرتد بقواته وابن هود يطارده حتى

الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص٦٤٢ وما بعدها. السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٠٩-٢١٧.

(١) عنان، دول الطوائف، ص١٤.

(٢) ترجع هذه الأسرة إلى سليمان بن هود الذي أسس دولة في سرقسطة عام ٤٣١هـ/١٠٣٩م واستمرت حتى سقوطها بيد المرابطين عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٠-١٧٦.

(٣) وهم من البربر وأول من أسس دولتهم في طليطلة إسماعيل بن ذي النون عام ٤٢٧هـ/١٠٣٥م واستمرت حتى سقوطها بيد الفونسو السادس عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٦-١٨٤.

حصره في مدينة طلبيرة ، ولم ينقذ المأمون بن ذي النون من محنته إلا طلب سلمان بن هود من ابنه رفع الحصار عن طلبيرة وأن يترك المأمون وشأنه^(١) ، وفي محاولة الانتقام من خصمه استعان بملك قشتالة فرناندو الأول (Kernando I) (٤٢٦- ٤٥٨هـ/١٠٣٥- ١٠٦٥) على أن يقر بسيادته ويدفع له الجزية ، فاستجاب فرناندو الأول لذلك واخذ جنده يغيرون على أراضي ابن هود المتاخمة لقشتالة وأمعت فيها تخريباً ، أما ابن هود فقد انحدر في نفس الطريق فأرسل إلى فرناندو يبعث إليه بالأموال ليعمل بأراضي خصمه نفس ما عمل بأراضيه ، ثم رد عليه المأمون بمخالفة غرسيه Garcia ملك نافارار (Navarra) (٤٢٦-٤٤٦هـ/١٠٣٤-١٠٥٤م) ، وهكذا استباح النصارى أراضي المسلمين وبمساعدتهم الزميمة ، وانهارت خطوط الدفاع الأمامية المهمة ، وخلال هجمات الكر والفر بين الجانبين دخل ابن هود مدينة سالم واستولى على حصونها وطرد المأمون منها ، وتعرضت أطراف طليطلة للدمار والخراب من قبل ابن هود في جانب وفرناندو ملك قشتالة Castilla من الجانب الآخر ، وفي الوقت نفسه كانت قوات غرسيه ملك نافار تعيث خراباً بأرض ابن هود ، وأشار ابن الخطيب إلى (أن الفتنة دارت بين هذين الأميرين المشؤمين على المسلمين من سنة ٤٣٥ إلى سنة ٤٣٨ ونورفت بموت

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٧٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٧٧.

سليمان بن هود عنها)^(١).

والواقع أن حالة المسلمين في الثغور بدأت بالتدهور منذ بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي عندما انقلبت موازين القوى السياسية والعسكرية ، فبعد أن كان المسلمون منذ أيام الناصر حتى نهاية عهد المنصور يتمتعون بالتفوق العسكري والسياسي على اسبانيا والنصرانية وفرضوا عليها الجزية والتبعية في اغلب الأحيان ، انقلبت الصورة بعد انهيار الخلافة وغدا أمراء الطوائف يتهالكون في خطب ود ملوك النصارى ويدفعون لهم الجزية ، وقد استغل ملوك النصارى الأسبان ذلك الظرف إلى درجة كبيرة إذ تبلورت لديهم سياسة حرب الاسترداد على يد فرناندو الأول الذي بعث إلى أهل طليطلة قائلاً: (إنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما في أول أمركم ، فقد سكنتموها ما قضى لكم ، ولقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم فارحلوا إلى عَدَوْتِكُمْ واتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم)^(٢) ، وقد عبرت رسالته هذه عن عمق الأهداف التوسعية وكشفت عن سياسة أسبانيا النصرانية تجاه الوجود الإسلامي في الأندلس.

وبناء على هذه السياسة فقد خرج بجيشه إلى مدينة سالم ووادي

(١) أعمال الأعلام، ص ١٧٨. ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨٢/٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨٢/٣. عنان، دول الطوائف، ٩٩.

الحجارة وعاث فيها تحريباً ولم يستطع المأمون صاحب طليطلة رده إلا بعد أن سار بنفسه وقدم إليه المال واعترف بطاعته^(١).

توفي المأمون بن ذي النون سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م فخلفه حفيده يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر (٤٦٧ - ٤٧٨ هـ / ١٠٧٤-١٠٨٥م) الذي وصفه ابن الخطيب بالقول: (كان هذا الحفيد يحيى مضعفاً ، كثير الحيلة خبيث الفكرة)^(٢) ، ولتهالكه في أحضان ملك قشتالة الفونسو السادس Alfonso VI (٤٥٨-٥٠٢هـ / ١٠٦٥-١١٠٨م) فقد اسخط أهالي طليطلة عليه الذين قاموا بطرده منها واستدعوا أمير بطليوس المتوكل بن الأفضس^(٣) سنة ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م الذي بقى في طليطلة عشرة أشهر ثم اضطر للخروج منها تحت ضغط قوات الفونسو السادس Alfonso VI (٤٥٨-٥٠٢هـ / ١٠٦٥-١١٠٨م) الذي أعاد القادر إليها شبه أسير ، وقد أخذ يعد العدة لاجتياحها بشن الغارات على أطرافها من سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م ثم ضرب عليها الحصار في خريف سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م وبعد تسعة أشهر تمكن من اجتياحها واتخاذها عاصمة له بعد أن حكمها المسلمون مدة ٣٧٠ عاماً^(٤).

(١) عنان، دول الطوائف، ص ٣٦٩. دوزي، ملوك الطوائف، ص ٢٦٦ - ٢٦٨.

(٢) أعمال الأعلام، ص ١٧٩.

(٣) حكم إمارة بطليوس من ٤٦٠ - ٤٨٧ هـ / ١٠٦٧ - ١٠٩٤م. ينظر: ابن

الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٨٥ - ١٨٦

(٤) ينظر عن سقوط طليطلة، ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس، ص ٨٧، عنان،

دول الطوائف ١٠٧٠ - ١١٣. الحجوي، التاريخ الأندلسي، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

كانت مدينة طليطلة تابعة إلى أملاك بني ذي النون حكام طليطلة ولهذا واصل الفونسو السادس استيلائه على جميع أملاك مدينة طليطلة إذ أشار ابن الكردبوس إلى أنه (لما حصل الطاغية الفنش لعنه الله بطليطلة شمش بأنفه ، ورأى أن زمان الأندلس قد حصل في كفه ، فشن غاراته على جميع أعمالها ، حتى فاز باستنزاف جميع أقطار ابن ذي النون واستأصلها وذلك ثمانون منبراً ، سوا البنيات والقرى المعمارات وحاز من وادي الحجارة إلى طليطلة وفتح اللج وأعمال شنتمرية كلها)^(١).

والراجح أن سقوط طليطلة بيد الفونسو السادس كان قبيل سقوط مدينة طليطلة ، إذ ليس من المعقول أن يقوم الملك النصراني بمحاصرة طليطلة ويترك خلفه مدينة طليطلة بيد المسلمين وهو ما يشكل خطراً عسكرياً عليه ، وقد أشار ابن بسام إلى ذلك بقوله: (فغر الطاغية أفونش بن فرذلند فمه على ثغوره المتغورة ، فجعل لوقته يطوبها طي السجل للكتاب ، وينهض فيها نهضة الشيب في الشباب. وابن ذي النون يلقيه أفلاذ كبده ، ويرجمه بسبده ولبده ، وأذونش لعنه الله لا يقنع منه بصيد العنقاء ، ولا ببيض الأنوق ، بل يكلفه إحضار الأبلق العقوق ، ويسومه درك الشمس ، ويطلبه برد أمس. فلما أكل الإنفاق ثبح ماله ، وأخذ الخناق بكظم احتياله ،

العمامرة ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ١٢٨ - ١٣٢.

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٧. ينظر أيضاً: اشباخ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ٦٥/١.

وأحس العدو المشاق بذلك من حاله ، سما إلى معاقله المنيعة ، وذرى أملاكه الرفيعة...^(١) ، وهذا يعني أن الفونسو أخذ بالاستيلاء على أعمال طليطلة وتوابعها وأطرافها حتى أحكم الحصار عليها وقطع الميرة عنها ، وعليه فالراجح أن سقوط طليطلة كان في المدة بين سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م وهي السنة التي تنازل فيها القادر بن ذي النون للفونسو عن عدد من حصون طليطلة أهمها حصن سرية^(٢) وحصن وحصن قورية Coria وحصن قنالش Caniles وكان ذلك سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م^(٣) ، وسنة ٤٧٧هـ/١٠٨١م وهي السنة التي أحكم فيها الفونسو الحصار التام على طليطلة^(٤).

وعندما دخل النصارى المدينة كان أهم عمل قاموا به هو أنهم عملوا على تحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة^(٥) ، وكان ذلك سنة متبعة من قبل النصارى بتحويل المساجد في المناطق التي يسيطرون عليها إلى كنائس^(٦).

(١) الذخيرة، ١٥٦/٧.

(٢) عند ابن بسام حصن سرته، الذخيرة، ٢٤٩/٣.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٣.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ١٦٣/٧ - ١٦٩.

(٥) ابن عذارى، البيان المغرب، ٥٢/٤.

(٦) ينظر عن تحويل المساجد إلى كنائس من قبل النصارى بعد طرد المسلمين منها على سبيل المثال مسجد قرطبة ومسجد تطيلة ومسجد سرقسطة ومسجد طليطلة ومسجد إشبيلية: سالم، المساجد في الأندلس، ص ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٣.

جرت فيما بعد بعض المحاولات من قبل المسلمين لاستعادة مدينة طليبة إلا أنها لم تفلح في الاحتفاظ بها ، ففي سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م عبر الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٦-١١٤٢م) إلى الأندلس برسم الجهاد ، فوصل إلى قرطبة ومنها اتجه إلى طليطة وتجول في أحوازها وفتح من ثغور طليطة مدن طليبة ومجريط ووادي الحجارة ثم ضرب حصاراً على طليطة لمدة ثلاثة أيام ثم رجع إلى قرطبة^(١) ، وبخصوص دخول المرابطين إلى طليبة أشار بن عذاري إلى ذلك قائلاً: (...) ، وتحرك منها إلى طليبة فنزل عليها ثم دخلها ووقع النهب والسلب فيها ، واعتصم الروم في قصبتها ، وأجارهم الليل فالقوا بأنفسهم في النهر وتسربوا بين المحلات فأفلتوا ، وامتألت أيدي المسلمين بالسقط والثياب والماشية والأسلحة ، وطصّر الجامع ورد على الهيئة المسلمة ورجع به حرامه وإقامة الصلوات ومحا الله منه الكفر ، وندب لها أمير المسلمين الخيل والرجال والرماة وقود عليهم أحد المرابطين ، ورحل الأمير علي عن طليبة ، فاستقبل طليطة...^(٢) ، وعلى الرغم من محاولة المرابطين الاحتفاظ بها ومحولتهم ترك حامية فيها ، إلا أنه ويبدو أنها مجرد استعراض للقوة أثارت الرعب في نفوس الأعداء ، وقد علق ابن الكردبوس على ذلك بقوله: (وداخل أهل قشتالة

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٢/٤؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٦١.

(٢) البيان المغرب، ٥٢/٤.

الخوف والجزع وخامر قلوبهم الفزع ، ولم يشكوا أنه يغشاهم ويخرب مشواهم^(١).

أما ابن القطان فقد أشار إلى تفاصيل أخرى عن عملية اقتحام الجيش المرابطي لمدينة طلبيرة ، فذكر بأن علي بن يوسف تحرك (غازياً في حفل عظيم من الجند والملثمين وجماعة المطوعين نحو طلبيرة ، فوصل إليها ضحوة يوم الخميس الثالث عشر من محرم من السنة المذكورة ، فقاتلها ذلك اليوم ، واحترس الناس المدينة ليلة الجمعة ، ثم أصبحوا فقاتلها أشد قتال ، واجتهد الكفار في الدفاع وكان الوصول إلى سور المدينة يعسر بسبب الوادي المتصل بسورها ، إلى أن خرق المسلمون السد ، فسرب الماء عن السور ، وتداعى الناس على القتال ، وكان ابن حمدين^(٢) حرض الناس على الجد والاجتهاد ، ولما ثلم السد ، وقلّ ماء النهر بإزاء الباب - وذلك يوم السبت - اقتحم المسلمون عليهم ، ودخلوها عنوة ، وقتلوا جميع من بها من النصارى ، واستنقذ من كان فيها من أسارى المسلمين ، ولجأ بعض النصارى إلى قصبتهما ، وتحصنوا فيها إلى أن جنّ عليهم الليل ، فتلثموا وخرجوا على خيولهم فارين على

(١) تاريخ الأندلس، ص ١١٧.

(٢) هو محمد بن علي بن عبد العزيز التغلبي قاضي الجماعة في قرطبة، وتولى قضاء قرطبة سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م، وتوفي سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م، ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٣٩.

وجوهم ، فتبعهم المسلمون وتطرفوهم...»^(١).

وفي سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م أغزى القائد المرابطي عمر بن سير طلبيرة بجيش من إشبيلية فلما وصلها وظفر ببعض الغنائم تبعه تبعه خمسين فارساً منهم فتهاون بهم حتى تكاملوا إلى ثلاثمائة فهزموا جيش المسلمين وأسروا عدد منهم^(٢) ، وكانت هذه آخر محاولات المرابطين التعرض لمدينة طلبيرة ، وعلى الرغم من هذه الجهود الكبيرة التي بذلها المرابطون ، إلا أنه لم يستطع الاحتفاظ بمعظم الأراضي التي تم لهم فتحها ومنها طلبيرة التي رجع إليها النصاري بعد انسحاب المرابطين منها ، بل أن الجيش المرابطي على الرغم من الروح الجهادية العالية التي تمتع بها إلا أنه لم يستطع استرجاع أية مدينة مهمة ابتداءً من طليطلة ومروراً بغربي الأندلس^(٣).

وفي عهد الخليفة الموحي يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨هـ - ٥٨٠هـ / ١١٦٢-١١٨٤م) أرسل ابنه أبو الحسين علي بن يعقوب بعسكر إشبيلية في أربع آلاف فارس ومثلهم راجل سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م وسار شمالاً صوب طلبيرة وذلك بسبب نقض الفونسو الثامن Alfonso VIII ملك قشتالة (٥٥٣-٦١١م / ١١٥٨-١٢١٤م) صلحاً كان قد عقد بينهما وتمكن من فتح أحد حصونها على نهر تاجه وسبى من بها

(١) نظم الجمان، ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) ابن عناري، البيان المغرب، ٨٠/٤.

(٣) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٦٠.

ثم رجع إلى إشبيلية^(١) ، وفي سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م كانت للموحدين حملة أخرى توغلت في غرب الأندلس ووصلت مدينة طلبيرة وكانت لهم معركة مع أهلها فتمكنوا من هزيمتهم والحصول على الغائم والأسلاب ثم انسحبوا إلى إشبيلية^(٢).

وفي سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م خرج الخليفة الموحي المنصور يعقوب بن يوسف (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٨م) في غزوة له نحو أراضي قشتالة فأرسل إليه ملكها الفونسو الثامن في طلب الهدنة فلم يلتفت إليه وسار بقواته نحو طلبيرة ، ولما علم أن قوات ملك قشتالة وملك برشلونة Barcelona يرابطان في قلعة مجريط سارع نحوهما إلا أنهما انسحبا وتركا في مجريط قوة للدفاع عنها ، وفعلاً نجحت القوة النصرانية في صد هجوم المنصور الموحي عن مجريط فتوجه نحو وادي الحجارة واستعرض قواته هناك ثم ارتد جنوباً صوب قرطبة^(٣) ، وواضح ، هذه الغزوات التي قام بها الموحدون كانت هي الأخرى مجرد استعراض للقوة ولم تتمكن أن تحقق أي نجاح يذكر على الأرض بالنسبة للمناطق التي وصلت إليها.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٣٨؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٤/٤٥؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، ق ٢، ص ٩٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٤٩- ١٥٠.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٢٧؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٢٩؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٢٢٩.

ثالثاً: الحركة الفكرية في مدينة طليطيرة:

كانت المنطقة التي أقيمت عليها مدينة طليطيرة قد فتحت من قبل القائد طارق بن زياد سنة ٩٣هـ/٧١١م ، ومنذ أن قام المسلمون بفتحها ، فقد حكموها حوالي أربعة قرون ، وبنوا فيها المسجد الجامع^(١) الذي أشار ابن عذاري أنه حوّل إلى كنيسة بعد دخول النصارى إليها سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م^(٢) ، كما قاموا بعملية استصلاح للأراضي في المنطقة -كما مر بنا- وزراعتها بما يناسب ظروفها المناخية ، إلا أن التحول المهم الذي شهدته الحياة في المدينة هو تحولها إلى ثغر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، والثغر لغة هو(ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان)^(٣) ، ولذلك تطلب أن يحشد بالمقاتلين المرابطين فيه ، وغالباً ما كان المرابطون من الجند ينزلون الثغور مع عوائلهم^(٤) ، وقد ترتب على ذلك أن يحاط المكان بالسور للمحافظة على السكان ولتقوية وسائل الدفاع ضد العدو^(٥) ، إضافة إلى الحصون المتقدمة

(١) ابن بشكوال، الصلة، ص ١٦٣ .

(٢) (ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٢/٤ .

(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٣٩٧/٢ (مادة ثغر).

(٤) ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص ٣٩ .

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٧ .

التي تعد نقاط إنذار مبكر للمدينة^(١) ، وهو ما جعلها تأخذ شكلها
التمدني وخصوصيتها السكانية ، فنجد في المصادر إشارات كثير
إلى أهل طليبة والنسبة إليها طلييري^(٢) ، وهو ما يعكس
خصوصيتها عن غيرها.

وإذا انتقلنا إلى إسهامات أهالي طليبة في الآداب والعلوم ، نجد
أن أهلها على طول الحقبة الإسلامية كانوا على اتصال دائم مع
رواد الفكر العربي الإسلامي في الأندلس وبقية العالم الإسلامي
أيام كانت الرحلة في طلب العلم أحد أهم مظاهر الحركة العلمية ،
لذلك نبغ منهم محدثون وقراء ولغويون وشعراء وأطباء وزهاد ، ولعل
الصفة التي تكاد تجمع أغلب أولئك هي أنهم كانوا مجاهدين في
سبيل الله دافعوا عن بلدتهم ومدينتهم وبذلوا أرواحهم رخيصة في
سبيل ذلك ، فكان يرتادها العديد من العلماء بقصد المراقبة فيها
للجهاد فنسبوا إليها ، نذكر منهم:

- إبراهيم بن عبد ربه بن جهور القيسي من أهل طليبة له
رواية في الحديث^(٣) ، توفي ابنه عيسى سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م^(٤) ، فهو من
أبناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

(١) الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ٣٠٥.

(٢) القفطي، أنباه الرواة، ٣/٣٤٠؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٢/٨٧٨؛ الذهبي،
تاريخ الإسلام، ١٠/٥١٨.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ١/١٢٢.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ص ٤١٧.

- أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوقشي ، يكنى أبا جعفر ، من أهل وقشة قرية بنواحي طلبيرة ، عمل مع إبراهيم بن همشك^(١) وزيراً وضابطاً لأعماله ، ولما هُزم ابن مردنيش^(٢) وابن همشك في معركة مرج الرقاد سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م عزم الوقشي على استئصال ابن همشك وسلم جيان Jaen للموحدين وضبطها لهم ،

(١) هو إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك أسلم جده على يد أحد ملوك يني هود، وعندما اضطربت الأحوال في أواخر عهد المرابطين اتصل بأمير شرق الأندلس محمد بن مردنيش وصاهره على ابنته، وقاد الجيوش معه وكان شجاعاً شديداً حاد البأس، وفي سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م دخل غرناطة وهزم الموحديين في معركة مرج الرقاد ومثل بهم، ثم إن علاقته ساءت بابن مردنيش بعد أن طلق ابنته انضم ابن همشك إلى الموحديين تكاية بصهره واستمر في ولائه لهم حتى وفاته بعد سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٢٣٦- ٢٣٧؛ الإحاطة، ١/ ١٥١- ١٥٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ١، ص٣٦٨.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش، وذكر ابن الأبار أن ابن مردنيش جذامي، وأشار ابن حزم إلى أن بعض بطون جذام سكنت الأندلس، وينفي فرانسيسكو كوديرا نسبه العربي ويرجح أنه يعود إلى الجالية البيزنطية التي كانت في الأندلس قبل الفتح، وقد تمكن من بسط نفوذه على شرق الأندلس وحاول الوصول إلى غرناطة إلا إنه اصطدم بالموحديين الذين هزموه عدة مرات، فلما أحس في نفسه الضعف صالح خليفة الموحديين أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وزوج ابنته صفية إلى يعقوب بن يوسف الموحدي، وزوج ابنته الثانية زائدة إلى يوسف بن عبد المؤمن، وتوفي سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢١؛ ابن الأبار، الحلة السبيرة، ٢/ ٢٣٢ وهامش (١) ص٢٣٣؛ وعن الحروب بين ابن مردنيش والموحديين ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة تاريخ المن بالإمامة، ص١٨٧- ١٩٦؛ المراكشي، المعجب، ص١٧٧؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٤٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/ ٧٠ - ٧٤.

ثم انضم إليه ابن همشك مناصراً للموحدين وأرسله ابن همشك في سفارة إلى مراکش ، ثم توفي سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م^(١).

- أحمد بن عمر المعافري الطلبي ، يكنى أبا العباس ، والمعروف بابن أفرند ، من أهل مرسية Murcia وأصله من طلبيرة ، اشتغل برواية الحديث ، كانت له رحلة إلى الحج ، كان صالحاً زاهداً متصوفاً ، وتوفي في حدود ٥٧٠هـ/١١٧٤م^(٢).

- أحمد بن يحيى بن أحمد بن سميح بن محمد بن عمر بن واصل بن حرب بن اليسر بن محمد بن علي ، ذكر أن أصلهم من دمشق ، يكنى: أبا عمر ، سكن طليطلة ، روى الحديث عن العديد من محدثي بقرطبة وبطليطلة ، وخرج عن قرطبة في الفتنة وقصد طليطلة فسكنها ثم تولى أحكام القضاء بطلبيرة فسار فيهم بأحسن سيرة ، وأقوم طريقة ، وعدل في القضية ، وعني بالحديث وكتبه وسماعه وروايته وجمعه ، وكان أيضاً أديباً حليماً وقوراً ، ونظر في الطب وطالع منه كثيراً وعنى به ، وكان من المجتهدين بالقرآن كان له منه حزب بالليل وحزب بالنهار ، وكان كثير الالتزام لداره لا يخرج منه إلا لصلاة أو لحاجة ، وكان يتناول شراء حوائجه بنفسه حتى البقل ، ولا يخالط الناس ، ولا يداخلهم ، وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه متمثلاً:

(١) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٥٧ - ٢٦٦.

(٢) ابن الأبار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، ص ٤٨؛ المقرئ، نفع الطيب، ٢/٦٠٠.

لله أيام الشباب وعصره لو استعار جديده فيعار
ما كان أقصر ليله ونهاره وكذاك أيام السرور قصار
وكان يختلف إلى غلة كانت له بحومة المترب يعمرها بالعمل
ليعيش منها ، وكان في أداب عيادة المرضى:

حكم العيادة يوماً بين يومين

واقعد قليلاً كمثل اللحظ بالعين

لا تبر من عليلاً في مساءلة

يكفيك من ذاك تسأل به حرفين

يعني قول العائد للعليل كيف أنت ، شفاك الله.

ومن شعرة:

إذا لقيت عليلاً فاقعد لديه قليلاً

ولا تطول عليه وقل مقالاً جميلاً

وقم بفضلك عنه تكن حكيماً نبياً

وكان مليح الخبر ، طريف الحكاية ، توفي في حدود سنة

١١٤٥هـ/١١٤٥م^(١).

- خلف المقرئ ، مولى جعفر الفتى ، من ساكني طلبيرة ،
يكنى: أبا القاسم ، له رحلة إلى المشرق وأقام هناك سبعة عشرة
عاماً ، وحج ثلاث حجج ، ودخل بغداد ، والبصرة ، والكوفة ، ثم

(١) ابن بشكوال، الصلاة، ص ٦٠ - ٦١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٩٩/٣٠.

عاد إلى بلده ، كان رجلاً صالحاً ، متبتلاً دائم الصيام دهره عابداً ، وكان يسكن المسجد ويقرأ عليه ، ويحاول عجن خبزه وقوته بيده ، وكان قصيراً مفرط القصر ، وكان فقيهاً يقظاً ، وذكر أنه كان حياً سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م^(١).

- خلف بن يوسف بن نصر المغيلي ، من أهل طليبة ، يكنى: أبا بكر ، محدث وفقه توفى في شعبان سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م^(٢).

- عبد ربه بن جمهور القيسي ، من أهل طليبة ، يكنى: أبا الوليد ، محدث روى عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد السلام الحافظ وغيره ، روى عنه ابنه إبراهيم بن عبد ربه^(٣).

- عبد الرحمن بن سعيد بن شماخ ، من أهل طليبة ، يكنى: أبا الحسن ، اشتهر بالحديث ، وكانت عنده معرفة وذكاء ونباهة ، وتوفى في شوال سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م^(٤).

- عثمان بن عيسى بن يوسف التجيبي من أهل طليطة ، يكنى: أبا بكر ، ويعرف بابن ارفع رأسه ، محدث روى عن محمد بن إبراهيم الخشني^(٥) وغيره ، وكان من أهل العلم البار والذهن

(١) ابن بشكوال، الصلاة، ص ١٦٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ٢٨/٢٢٢.

(٢) ابن بشكوال، الصلاة، ص ١٥٨.

(٣) ابن بشكوال، الصلاة، ص ٣٦٩؛ وينظر عن ابنه إبراهيم بن عبد ربه أعلاه.

(٤) ابن بشكوال، الصلاة، ص ٣٤.

(٥) هو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الخشني من أهل طليطة، محدث له رحلة إلى المشرق، توفى سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م، ينظر: ابن بشكوال، الصلاة، ص ٤٦٢.

الثاقب ، حافظاً لرأي مالك رأساً فيه ، موثقاً وتولى قضاء طلبيرة^(١) ،
ولما كانت وفاة الخشني سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م فالراجح أنه من أبناء
النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

- علي بن موسى بن إبراهيم بن حزب الله من أهل طلبيرة ،
سكن سرقسطة ، يكنى: أبا الحسن ، محدث رحل إلى المشرق وحج ،
وكان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة كثير الرواية بالمشرق والأندلس ،
وأدرك أن العبادة والزهد في الدنيا غلب عليه فامتنع من الرواية غير
النزر اليسير لما كان بسبيله من العبادة والاجتهاد ، واعتزل الناس ،
وكان يهتم القرآن في ثلاث ليال ، قال ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م):
(ولم ألق مثله في الزهد والتبتل رحمه الله)^(٢) ، وهذا يعني أنه من أبناء
القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

- عيسى بن إبراهيم بن عبد ربه بن جهور القيسي من أهل
طلبيرة ، سكن شريش ، يكنى: أبا القاسم ، محدث له رحلة إلى
المشرق بعد الخمسمائة ، ولقي جماعة من العلماء ودخل بغداد
ونظر هنالك الفقهاء ، وكان من أهل النبل ، والذكاء ، والفهم ،
والمعرفة بالأدب واللغة والشعر وهو كان الغالب عليه ، وله مشاركة
في الفقه والحديث وأصول الديانات ، وكان فاضلاً ، طاهراً ، حليماً
ثقة فيما رواه وعني به ، قال ابن بشكوال: (وقدم علينا قرطبة

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٠٤/٢٩.

(٢) الصلة، ص ٣٩٢.

فأخذنا عنه وتوفي بإشبيلية وسط سنة سبع وعشرين وخمسمائة^(١).

- فتوح بن عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ، من أهل طليبة ، يكنى: أبا نصر ، روى عنه أبو الوليد مرزوق بن فتح^(٢).

- محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام الأنصاري ، المعروف: بابن شق الليل ، من أهل طليطة ، سكن طليبة ، يكنى: أبا عبد الله ، محدث سمع بطليطة ، ورحل إلى المشرق فحج وحدث في انصرافه من المشرق عن جماعة كثيرة من المحدثين في طريقه ، كان فقيهاً عالماً ، وإماماً متكلماً حافظاً للحديث والفقهاء ، قائماً بهما ، متقناً لهما إلا أن المعرفة بالحديث وأسماء رجاله ، والبصر بمعانيه وعلله كانت أغلب عليه ، وكان مليح الخط ، جيد الضبط من أهل الرواية والدرابة ، والمشاركة في العلوم ، والافتنان بها وبمذاكرتها ، وكان أديباً شاعراً مجيداً لغوياً ديناً فاضلاً حلو الكلام ، وكانت له عناية بأصول الديانات وإظهار الكرامات وتوفي بطليبة يوم الأربعاء منصف شعبان سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م^(٣).

- محمد بن أحمد بن حزم الأنصاري ، من أهل طليطة ، يكنى: أبا عبد الله ، محدث له رحلة إلى المشرق ، وولي قضاء طليبة وتوفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م^(٤).

(١) الصلاة، ص ٤١٦- ٤١٧.

(٢) ابن بشكوال، الصلاة، ص ٤٤١.

(٣) ابن بشكوال، الصلاة، ص ٥١١.

(٤) ابن بشكوال، الصلاة، ص ٥٢٥.

- محمد بن أحمد القرشي ، يكنى: أبا عبد الله ، محدث سمع بقرطبة ، وله رحلة إلى المشرق روى فيها عن لقاءه ، قال أبو عبد الله بن شق الليل (ت سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م): كتب إلي بإجازة ما رواه من طلبيرة إلى طليطلة^(١) ، فهو من أبناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

- محمد بن فتوح بن علي بن وليد بن محمد بن علي الأنصاري ، من أهل طلبيرة ، يكنى: أبا عبد الله ، روى الحديث وكان عالماً بالرأي والوثائق ، متقدماً في علم الأحكام ، وتولى أحكام القضاء بقرطبة Granada ، وتوفي بمالقة Malaga أول يوم من صفر سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م^(٢).

- مرزوق بن فتح بن صالح القيسي ، من أهل طلبيرة ، يكنى: أبا الوليد ، روى الحديث ، ورحل إلى المشرق وحج ولقي بمكة محدثيها وأخذ عنهم ، وكان من أهل المعرفة والتيقظ والنباهة ، والمحافظة على الرواية ، توفي في جمادى الآخرة سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م^(٣).

- نصر بن علي بن أنس الأنصاري ، من أهل طلبيرة ، يكنى: أبا الفتح ، كان من أهل العلم والرواية الواسعة ، ثقة ثبتاً مشهوراً بالعناية والسماع ، كان حياً سنة ٤١٦ هـ/١٠٢٥م^(٤).

(١) ابن بشكوال، الصلة، ص ٤٨١.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٣٥.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٩٦.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ص ٦٠١.

- هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد الوقشي ، من أهل وقش إحدى قرى مدينة طليبة ، أحد رجال الكمال في وقته ، باحتوائه على فنون المعارف ، وجمعه لكليات العلوم ، هو من أعلم الناس بالنحو ، واللغة ، ومعاني الشعر ، وعلم العروض ، وصناعة البلاغة ، بليغ ، شاعر ، حافظ للسُنن وأسماء الرجال ، بصير بالاعتقادات وأصول الفقه ، واقف على كثير من فتاوى فقهاء الأمصار ، نافذ في علوم الشُّروط والفرائض ، متحقّق بعلم الحساب والهندسة ، مشرف على جميع آراء الحكماء ، ثاقب الدّهن ، يجمع إلى ذلك آداب الأخلاق ، مع حُسن المعاشرة ، وصدّق اللهجة ، توفي سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م^(١).

- وليد بن محمد بن فتوح الأنصاري ، من أهل طليبة ، يكنى: أبا العباس ، له رحلة إلى المشرق ، وحدث عنه أبو الوليد مرزوق بن فتح(ت٤٨٢هـ/١٠٨٩م) وقال: لم يكن حسن الضبط لما رواه ، وكان الأغلب عليه معرفة الرأي ودراسة الفتوى^(٢) ، فهو من أبناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

(١) ياقوت، معجم الأدياء، ٦/٢٧٧٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣/٣٢٧-٣٢٨.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ص٦٠٨.

الغائمة

تبين من البحث أهمية دراسة المدن الأندلسية لأنها توضح الكثير من المعلومات عن التاريخ الأندلسي التي قد لا نعثر عليها عند دراسة الحوادث العامة ، وبخصوص طليبة تبين أن لقاء طارق بن زياد مع موسى بن نصير كان في طليبة وليس في طليطة. كما وضح البحث أهمية هذه المدينة في التاريخ الأندلسي كونها أحد أهم الثغور في منطقة الثغر الأوسط المؤدية إلى جليقية ، وعبرها مرّت معظم الغزوات التي قادها المسلمون إلى هناك ، فضلاً عن أنها كان المفتاح الأمني لمدينة طليطة ، ولهذا حرص النصارى في حروبهم على استرجاعها قبل الدخول إلى طليطة فكان لهم ذلك في حدود سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م أو قبلها بقليل.

مدینة ویدة Huete الأندلسیة

٩٣ - ٥٦٨ / ٧١١ - ١١٧٢ م

أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة وبذة Huete

ورد اسم المدينة في المصادر العربية بألفاظ مختلفة بعض الشيء ، فجاءت بلفظ (وبذة أو وبذى)^(١) ، وذكرها مؤلف مجهول بلفظ وبرة^(٢) ، والراجح أن ذلك فيه تصحيف ، ويبدو أن الاختلاف في رسم اللفظ قد اختلط على ياقوت أيضاً فذكرها مرتين في مكانين مختلفين مرة بلفظ وبذة وأخرى بلفظ وبذى^(٣).

تقع مدينة وبذة في الثغر الأوسط الأندلسي ، وتعد من أعمال كورة شنتبرية Santebria^{(٤)(٥)} ، كما أن الأخيرة تعد من مدن طليطلة Toledo^(٦) المهمة^(٧) ، إذ أن المسافة بين مدينتي شنتبرية

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢، ٥٦٠؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان،

ص٢٩٣؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٠٧.

(٢) تاريخ الأندلس (تحقيق مولينا) ص٥٨.

(٣) الأندلس من معجم البلدان، ص٢٩٣

(٤) وهي مدينة أندلسية تعد من أعمال مدينة طليطلة، وتقع شرقي قرطبة، وتتصل بأحواز مدينة سائم، ولها حصون عدة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٩؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٧١.

(٥) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٩٣.

(٦) مدينة أندلسية قديمة، تقع على نهر تاجة، ولها عدة أسوار وحصون، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٩-٢٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣-٣٩٥.

(٧) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) ص٣٦.

وطليطلة سبعون ميلاً^(١)، وهي من مدن الثغر الأوسط الأندلسي، وقد أشار إلى ذلك المراكشي بقوله: (وفي الحد المتوسط ما بين الجنوب والمغرب من المدن: مدينة طليطلة، وكُونكة^(٢)، وأقليج^(٣)، وطلّبيّرة^(٤)، ومكّادة^(٥)، وشّريط^(٦)، وويّدة، وأبلّة^(٧)، وشّقوبية^(٨)...)

-
- (١) مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٠٨؛ والميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٨.
- (٢) تعرف باسم كونكة وقونكة وكونكا، وتعد من أعمال شنتبرية، وتقع بالقرب من طليطلة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٨- ٢٣٩.
- (٣) مدينة أندلسية، وتعرف أيضاً باسم أقليش، من مدن الثغر الأوسط، وهي شرق قرطبة، وتعد من أعمال طليطلة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١.
- (٤) مدينة أندلسية تقع في الثغر الأعلى على نهر تاجة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.
- (٥) مدينة أندلسية، تعد من أعمال وادي الحجارة، ينظر: مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٠٩.
- (٦) شريط وردت في المصادر من أعمال الجزيرة الخضراء، العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٢٠؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٥٩- ١٦٠، والجزيرة الخضراء بعيدة عن الثغر الأوسط، لذلك نرجح أن في الكلمة تصحيف لم نستطع التوصل إليه.
- (٧) ذكر الإدريسي أبلّة أنها من بلاد برتقال، وقال: هي قرى مجتمعة وأهلها يركبون الخيول، نزهة المشتاق، ٧٣٢/٢- ٧٣٣.
- (٨) مدينة تقع شمال الأندلس تبعد عن طليطلة مائة ميل، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٥٠.

وتسمى هذه الجهة قَشَّال-الثغر الأوسط-^(١).

وجعل الإدريسي مدينة وبذة ضمن إقليم الشارات Morena بقوله: (إقليم الشارات وفيه طلبيرة وطليلة ومجريط^(٢) والفهمين^(٣) ووادي الحجارة^(٤) وأقليش ووبذة...)^(٥) ، وهي تبعد عن مدينة أقليش Ucles مسافة ثمانية عشر ميلاً^(٦) ، وقد أشار الحميري إلى قرب المسافة بين المدينتين بقوله: (وبذة مدينة بالأندلس ، وهي حصن على وادٍ بقرب أقليش ،...)^(٧) ، كما تبعد مدينة وبذة عن قونكة Cuenca ثلاث مراحل^(٨).

(١) المعجب، ص ٢٦٦

(٢) مدينة تقع بالقرب من طليطلة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني، الثاني، وفيها قلعة منيعة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٢/٢؛ الدرويش والعلياوي، مدينة مجريط الأندلسية، ص ١٥٣ - ١٨٢.

(٣) مدينة أندلسية تقع بالقرب من طليطلة، وهي حسنة الأسواق والمباني، ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٧١٦/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٤٣.

(٤) مدينة أندلسية وتعرف بمدينة الفرج أيضاً، تبعد عن طليطلة خمسة وستون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٨٢/١.

(٥) نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢؛ أرسلان، الحلل السندسية، ١١٦/١.

(٧) الروض المعطار، ص ٦٠٧.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢؛ والمرحلة تساوي أربعة وعشرون يوماً أي ما يعادل ٣٧ كم ونصف، وفي حالة السير السريع ٤٦ كم، ينظر: كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ٩٧٢/٢

اشتهرت مدينة وبذة بحصنها ، وقد أشار إلى ذلك مؤلف مجهول عند ذكره لمدينة شنتبرية بقوله: (... ، ولها حصون كثيرة منها حصن أقليش وحصن وبذة وحصن القُليعة^(١)،...)^(٢) ، كما اشتهرت أيضاً بمزارعها ، إذ تحدث الإدريسي عن ذلك بقوله: (... ، ووبذى واقليش مدينتان متوسطان ولهما أقاليم ومزارع عامرة...)^(٣) ، كما ذكر الحميري بعض القرى على وادي وبذة ومنها قرية بنتيج بقوله: (... ، وعلى وادي وبذة عدة كثيرة من الأرحاء ، ويجري هذا النهر على عدة كثيرة من القرى فيسقيها ، ويقرب وبذة قرية يقال لها بنتيج أهلها نصارى ينعقد ماؤها في الإناء فيصير حجراً أصفر ، وكذلك أين ما جرى ، وينعقد على أسنان أهلها ، وتشملهم علة الحصى)^(٤).

(١) يقع هذا الحصن على ضفة النهر الكبير، وهو يتوسط مدينتي قطنياته ولوزة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦١/٢.

(٢) تاريخ الأندلس، ص ١٠٧.

(٣) نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢.

(٤) الروض المعطار، ص ٦٠٧؛ جدير بالذكر هنا أن بروفنسال محقق كتاب صفة جزيرة الأندلس من الروض المعطار قد اختصر وصف مدينة وبذة، وجاء في الصفة، ص ١٩٤: (مدينة بالأندلس وهي حصن على وادٍ بقرب أقليش، وعلى وادي وبذة قرية يقال لها بنتيج أهلها، ويسمى علة الحصى)، ولعل النسخة الأصلية التي كانت لديه لم توجد فيها الإضافات أعلاه.

ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة وبذة

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة عن كيفية فتحها ودخول المسلمين إليها أثناء عمليات الفتح ، إلا أن الراجح أنها فتحت خلال فتح المسلمين لمدينة طليطلة ، وذلك لأنها من توابعها وتقع إلى الشمال الشرقي منها ، فعندما سار طارق بن زياد إلى مدينة طليطلة تمكن من فتحها سنة ٩٣هـ/٧١١م ، ثم استمر في الفتوح شمال طليطلة لتأمين المناطق القريبة منها وللتعرف عليها ، ثم توجه إلى مدينة وادي الحجارة Guadalajara حتى وصل إلى مدينة المائة^(١) ، وقيل إنه واصل واصل تقدمه إلى مناطق شمال شبه الجزيرة الأيبيرية Iberia ثم عاد إلى طليطلة قبل حلول فصل الشتاء في السنة أعلاه^(٢).

وقد أشار مؤلف مجهول إلى هذه الأحداث بقوله: (وسار طارق حتى بلغ طليطلة وخلقى بها رجالاً من أصحابه فسلك إلى وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج طارق وبلغ مدينة خلف الجبل تسمى المائة ،... ، ثم مضى إلى مدينة أمايه^(٣))

(١) مدينة أندلسية تقع في أحواز طليطلة، وسميت بذلك لأنها وجدت فيها المائة المنسوية إلى النبي سليمان عليه السلام، وكان طارق قد فتحها سنة ٩٣هـ/٧١١م، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٠.

(٢) الحججي، التاريخ الأندلسي، ص ٦٦.

(٣) وردت عند ابن الأثير باسم مائة، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤٤؛ وهي مدينة تقع في غرب الأندلس فيها حصن يسمى باسمها على وادي =

فأصاب بها حلياً ومالاً ، ثم رجع إلى طليطلة سنة ثلث وتسعين^(١) .
وعليه فالراجح أن المنطقة التي تضم مدينة وبذة فُتحت خلال
سنة ٩٣هـ/ ٧١١م ، إذ أن طارق بن زياد مكث سنة كاملة في مدينة
طليطلة حتى التقى بموسى بن نصير سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م^(٢) ، لذلك لا
يُستبعد فتحها وفتح المناطق المحيطة خلال تلك المدة لاسيما وأن
وبذة تقع على الطريق الواصل بين طليطلة ووادي الحجارة^(٣) .

يبدو أن مدينة وبذة عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة
التي شهدتها الأندلس في عصر الولاة (٩٥-١٣٨هـ/ ٧٣١-٧٥٥م) وبداية
عصر الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٨م) ، وليس لدينا معلومات
كافية عن القبائل التي سكنتها سواء العربية أم البربرية ، ولكن
بشكل عام فإن بعض المصادر أشارت إلى أن بعض القبائل البربرية
سكنت في الشمال الشرقي من طليطلة ، إذ كانت المراكز المأهولة
بالبربر هناك تشمل وادي الحجارة ومدينة سالم Medinaceli^(٤)
وقلعة أيوب Calatayud^(٥) وشنترية ووبذة ، وتعد مغيلة من أوائل

=سبير، وموقعها الآن على الحدود الإسبانية البرتغالية، ابن حيان، المقتبس
(للحقبية ٢٣٢- ٢٦٧هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م) ص ٣٨٠، وهامش ٦٠٨ ص ٦٥١ .
(١) أخبار مجموعة، ص ١٤- ١٥ .
(٢) المقرئ، نصح الطيب، ١/ ٢٦٥؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ٨٣ .
(٣) ينظر الخارطة آخر البحث .
(٤) وهي من مدن ثغور الأندلس تبعد عن وادي الحجارة خمسين ميلاً، ويوجد
فيها قبر المنصور بن أبي عامر، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٦ .
(٥) وهي من مدن الثغر الأعلى، وتعد من أعمال مدينة سرقسطة إذ تبعد عنها
خمسين ميلاً، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩؛ ياقوت، الأندلس من =

القبائل البربرية التي سكنت منطقة الثغر الأوسط ، وقد أصبح أحد زعمائها وهو محمد بن إلياس المغيلي الذي دخل مع طارق بن زياد قائداً للحامية الإسلامية التي أقيمت هناك^(١) ، كما عاش بعض أفراد هذه الأسرة في منطقة شنتبرية التي تبعد ستين كيلو متراً إلى الجنوب من وادي الحجارة ، ومن ضمن هؤلاء بنو برزال ، وبعض أفراد بنو إلياس الذين جاءوا إلى المنطقة من مدينة شذونة^(٢) Media Sidonoa^(٣).

كما سكنت أسر أخرى من قبائل مصمودة البربرية في منطقة الثغر الأوسط ، ولاسيما في منطقتي شنتبرية ووادي الحجارة ، ومنهم بنو أران وبنو مضي وبنو رسين^(٤) ، واستقرت أيضاً في المنطقة قبائل بربر برانس هواره^(٥) ، إذ أشارت المصادر إلى مجموعتين من هؤلاء سكنتا فيها ، كانت المجموعة الأولى بقيادة السمح بن ورد الهواري الذي دخل الأندلس في مرحلة الفتح واستقر هو وأتباعه في شنتبرية في قرية تسمى أقالقة^(٦) ، ويعد هذا القائد الجد الأعلى لأسرة بني

=معجم البلدان، ص ٢٣١.

- (١) مجهول، مفاخر البربر، ص ١٨٨؛ وينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨٤ - ٢٨٥؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٧٩.
- (٢) مدينة أندلسية متصلة بمدينة مورور، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٣٩.
- (٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩.
- (٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩.
- (٥) مجهول، مفاخر البربر، ص ١٨٨؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ١٢٣، ١٢٥.
- (٦) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ٣٦، العنزي، =

ذي النون الذين لعبوا دوراً مهماً في تاريخ المنطقة ، فشيّدوا الحصون المنيعة مثل حصن وبذة وأقلش وولبة Huelva^(١) ، وتمكنوا أخيراً من السيطرة على مدينة طليطلة وجعلوها عاصمة لهم ، كما أنهم أسسوا سلالة مستقلة حكمت طليطلة والمنطقة المحيطة بها في عهد دويلات الطوائف Taifas Los (٤٢٧-٤٧٨هـ/١٠٣٦-١٠٨٥م)^(٢).

كما استقرت بعض أفراد قبيلة ملزوزة البربرية في مدينة شنتبرية^(٣) ، وكان من هؤلاء عوسجة أو أبو عوسجة الذي ينسب إليه بلاط عوسجة في شنتبرية^(٤) ، ومنهم العامر بن وهب الذي ينتمي إلى فرع آخر من هذه القبيلة والذي حكم ومدينة وبذة وما يجاورها على بعد خمسين كيلو متراً إلى الغرب من قونقة^(٥).

برز الدور السياسي لمدينة وبذة في عهد الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) ، من خلال ظهور أسرة بني ذي النون على المسرح السياسي في المنطقة ، وعلى الرغم من أن نفوذهم في منطقة شنتبرية كان قبل هذا الوقت ، إلا أنهم في المدة أعلاه

=ترصيع الأخبار، ص١٤- ١٥؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٨٦.

(١) مدينة أندلسية يطلق عليها اسم ولبة أو ولبة وهي تعد من أعمال شنتبرية، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٩٦- ٢٩٧.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩- ٥٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٧٦/٣- ٢٧٧.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٨.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٨- ٤٩٩؛ مجهول، مفاخر البربر، ص٧٩.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٠؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٨٧.

عملوا على بناء العديد من الحصون في المنطقة مثل حصن ويذة وحصن أقليش واتخذوا منها داراً وسلطاناً لحكمهم ، وقد أشار إلى ذلك ابن حيان عندما تحدث عن أسرة بني ذي النون ودورها في بناء المدينتين بقوله: (بنون موسى بن ذي النون: الفتح ومطرف كانا مشتركين في سلطانهما وانتزوا بكورة شنت برية بلدهم فاقعدوها دار منعه دان لهم أهلها فحموا السلطان ، دخلوها وشادوا بها الحصون والمعقل ، وأحدثوا بها القرى والمنازل ،... ، وكان المستأثر دونهم بحصن والدهم ، موسى ، المسمى وله ، كان أكبر حصونهم وأكثرها عدة لنفسه ، والفتح ، الذي ابنتى حصن أقليش ومدنه وجعل عدة لنفسه ، وكذلك فعل أخوهما مطرف بحصن ويذة ، واتخذها واقتعهه ،...^(١) ، ولعل اضطراب أحوال الأندلس في نهاية عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني(٢٣٨- ٢٧٣هـ/٨٥٢- ٨٨٦م) وكثرة التمردات^(٢) ، دفعتهم إلى الظهور على المسرح السياسي في المنطقة ، وكان حصولهم على اعتراف رسمي بحكم المنطقة في أواخر عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني^(٣) ، ويُفهم من هذه الرواية أن موسى بن ذي النون أقطع أولاده الحصون المحيطة بشنتبرية ، فكانت أقليش من حصة الفتح بن موسى وويذة

(١) المقتبس (للحقبية ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)، ص ٣٦.

(٢) ينظر التفاصيل عن الأوضاع في أواخر عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص ٢٨٩- ٣١٦.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٢٣٢- ٢٦٧هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م)، ص ٣٤١- ٣٤٢.

من حصّة المطرف بن موسى.

أما عن تاريخ بناء حصن وبذة ، فالذي يمكن أن نستشفه من رواية ابن حيان أعلاه أن مطرف بن موسى قام ببناء حصن وبذة في حياة أبيه الذي أقطعه إياه ، ولما كانت وفاة موسى بن ذي النون على رواية ابن حيان في سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م^(١) ، فالراجح أن بناء وبذة كان قبل هذا التاريخ ، وقد تحدث ابن حيان عن ذلك بقوله: (أقطعه أبوه موسى ، حصن وبذة فبناه وحصّنه وكان فيه مسكنه ، ظهر في أيام الأمير عبد الله أيضاً ، فكان أجمل أهل بيته مذهباً ، وأقومهم طريقة ...)^(٢).

وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) شارك حاكم مدينة وبذة مطرف بن موسى بن ذي النون في العمليات العسكرية التي خاضتها حكومة قرطبة Cordoba^(٣) ضد النصارى حتى وقع أسيراً سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م في يد ملك نافار Navarra^(٤) شانجة غرسيه الأول Sach Garcia I (٢٩٣-٣١٤هـ/ ٩٠٥-

(١) المقتبس (للحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٧.

(٢) المقتبس (للحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٨.

(٣) وهي قاعدة بلاد الأندلس وعاصمتها لمدة طويلة وأحوازها تنتهي في الغرب بأحواز إشبيلية وفي الشرق بأحواز جيان، ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٩٠٠/٢ - ٩٠٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٤/٢ - ٥٨٠.

(٤) تقع بلاد نافار في القسم الشمالي الغربي من منطقة الثغر الأعلى الأندلسي وجنوب شرق خليج بسكاي، ويحدها من الغرب مملكة أشتوريس، كما أنها تفصل بين إمارة برشلونة ومملكة ليون، ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧١/٥؛ أرسلان، الحلل السندسية، ٢٠٦/١، ١١٤/٢.

٩٢٦م) ، ولكنه تمكن من الفرار ، كما ساهم في غزوة الخندق Alhandiga سنة ٣٢٧هـ/٩٤٩م^(١) ، وعلى إثر ذلك فقد ازدادت مكانته عند الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وهو ما دعاه أن يسجل له أيضاً على مدينة الفرج (وادي الحجارة) سنة ٣٢٨هـ/٩٤٩م^(٢) .

ويبدو أن علو مكانة المطرف بن موسى بن ذي النون لدى الخلافة أثار حسد بعض منافسيه من أقاربه من بني ذي النون ، فقد أشار ابن حيان إلى أن ابن أخيه الفتح بن يحيى بن ذي النون صاحب حصن أقليش استعدى على عمّه مطرف ، فاستغاث الأخير بالخليفة الناصر الذي عمل على التحقق من الأمر ولما تبين له حقيقة ذلك عزل الفتح بن يحيى عن أقليش وعين مكانه عاملاً من قبله ، إذ قال في حوادث سنة ٣٢٨هـ/٩٤٩م (وفي هذه السنة استنزل الوزير أحمد بن محمد بن إلياس الفتح بن يحيى بن ذي النون من حصن أقليج ، والحصون التي كانت بيده ، عندما مرق من الطاعة ، وأدخل فيها ابن عمّ نفسه ، موسى بن محمد بن إلياس ، وكان السبب في عزل الفتح هذا عن شنت برية للاختلاف

(١) لمزيد من التفاصيل حول غزوة الخندق ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ١٩٢/٤ - ١٩٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٥٦؛ ابن حيان، المقتبس ((للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م))، ص ٤٣٦ - ٤٣٧، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٣٦ - ٣٧؛ المقري، نصح الطيب، ١/٣٦٣.

(٢) ابن حيان، المقتبس ((للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م))، ص ٣٨ - ٣٩؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٥٦.

الجاري بينه وبين ابن عمه ، مطرف بن موسى بن ذي النون ، واستعداد مطرف الناصر لدين الله عليه ، ووصفه بتحامله وأذاه ، فكتب الناصر لدين الله إلى الوزير القائد أحمد بن محمد بن إلياس بالنظر بينهما ، فاستبان له من عوج الفتح بن يحيى ونكوبه ما أوجب عزله وإنزاله عن معقله ، والبعثة به بجميع أهله إلى الحضرة ، وتصيير ما كان في يده إلى عامل السلطان^(١) ، وبقي مطرف بن ذي النون في عمله حتى وفاته سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م^(٢).

لم توضح المصادر المتوفرة من حكم مدينة وبذة بعد وفاة مطرف بن موسى بن ذي النون حتى تولى الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) ، ولعلها حُكمت من قبل أسرة بني ذي النون خلال تلك المدة ، وقد أشار ابن حيان إلى أنه في سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م تولى مطرف بن إسماعيل بن عامر بن ذي النون حصن وبذة وأضيف إليه أكثر حصون شنتبرية وقراها ، إذ جاء في ذلك بالقول: (وفيه سجل لمطرف بن إسماعيل بن عامر بن ذي النون على وبذه ، حصنه ، وأضيف إليه أكثر حصون شنت برية وقراها)^(٣)

وعندما برز المنصور بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ / ٩٧٦-١٠٠١م) في عهد الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ / ٩٧٦-١٠٠٨م) دخلت أسرة بني

(١) المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٥٧.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ٣٨ - ٣٩؛ سالم،

تاريخ المسلمين، ص ٢٥٦.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م)، ص ١٥٠.

ذي النون في خدمته ، وظلوا يحكمون منطقة شنتبرية كلها بما فيها ويزة ، إذ ظهر خلال هذه المدة أحد أفرادها يدعى عبد الرحمن ، ويبدو أنه ابن مطرف بن إسماعيل بن ذي النون^(١) ، وقد أشار ابن الخطيب إلى دور هذه الأسرة في عهد المنصور بن أبي عامر بقوله: (لم يكن لهم رياسة ولا نباهه إلا في دولة المنصور محمد بن أبي عامر ، ففيها تقدموا واشتهروا ، وقادوا الجيوش ، واستقروا بكورة شنتبرية)^(٢) ، ونحن لا نتفق مع معظم ما جاء في هذا النص ، فإن بني ذي النون دخلوا الأندلس منذ الفتح ، وكان لهم ظهور مهم أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني ثم الأمير عبد الله بن محمد وحتى أيام الخليفة الناصر فهو على الرغم من انتزاعه مدينة أقليش منهم إلا أنه وسع من نفوذ المطرف بن موسى بن ذي النون ، ثم عادوا مرة أخرى إلى الظهور أيام الخليفة الحكم المستنصر ثم أيام المنصور بن أبي عامر ، كانت لهم حصون شنتبرية جميعها ، حتى أصبحت في عصر دويلات الطوائف دولة خضعت لها معظم مناطق الثغر الأوسط الأندلسي ، إلا أننا نتفق مع بعض مارد في نص ابن الخطيب أعلاه من أن ابن أبي عامر مكّن لهم في منطقة شنتبرية ومهّد لهم السبيل لتكون لهم دولة فيما بعد سقوط الدولة العامية . وفي بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، خدمت الأوضاع السياسية في الأندلس أسرة بني ذي النون ، فبعد

(١) عنان، دول الطوائف، ص٩٦.

(٢) أعمال الأعلام، ق٢، ص١٧٧.

سقوط الدولة العامرية حافظوا على أملاكهم في منطقة شنتبرية ، إذ انحاز عبد الرحمن بن ذي النون إلى الخليفة سليمان المستعين ، بعد أن قَرَّب إليه البربر وخطب له في مدينة أفلش فولاه إياها ، ومنها أخذ يتوسع حتى ضمَّ إلى نفوذه معظم حصون منطقة شنتبرية بما فيها مدينة وبذة ، وكان ذلك بدعم وتأييد من الخليفة المستعين الذي منج يحيى بن إسماعيل بن ذي النون الملقب بالمأمون^(١) رتبة الوزارة^(٢) ، ويعد ذلك أخذ طموح يحيى بن إسماعيل بن ذي النون يزداد ويتوسع حتى ضم إليه مدينة طليطلة^(٣) وأصبحت مقراً لحكمه^(٤).

توفي المأمون بن ذي النون سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م فخلفه في الحكم حفيده يحيى الملقب بالقادر ، وكان شخصاً جاهلاً بشؤون الحكم ، وعديم الخبرة والكفاءة ، وضعيف الإرادة ، وصفه ابن بسام بقوله: (كان أجبن من قبره ، إن حزم لم يعزم ، وإن سدى لم يلحم...)^(٥) ،

-
- (١) حكم يحيى بن ذي النون الملقب بالمأمون مدينة طليطلة للمدة (٤٣٥) - ٤٦٧هـ / ١٠٤٣ - ١٠٧٤م) ودخل في نزاع مع سليمان بن هود حاكم سرقسطة حول بعض المناطق الحدودية ولاسيما وادي الحجارة، واستعان الأول بملك قشتالة والثاني بملك نافار، فاستغل ملكا النصراني ذلك أحسن استغلال ما أسهم في إضعافهما وإتھاك قواهما، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨١/٣ - ٢٨٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ١٧٧ - ١٧٨.
- (٢) ابن بسام، الذخيرة، ٧ / ١٤٢ - ١٤٣؛ عنان، دول الطوائف، ص ٩٦.
- (٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ١٧٧.
- (٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ١٧٣.
- (٥) الذخيرة، ٧/ ١٠٥.

وقد تدهورت الأوضاع في عهده كثيراً ، بسبب سياسته الخاطئة ، ما أدى إلى كثرة الحركات والفتن^(١).

ويبدو أن مدينة وبذة تولى حكمها في أيام القادر بن ذي النون بنو لبون^(٢) ، فقد أشار ابن الأبار إلى أن أبا شجاع أرقم بن لبون كان والياً على مدينة وبذة للقادر بن ذي النون^(٣) ، إلا أن بني لبون عارضوا القادر بن ذي النون في سياسته المهينة مع النصاري ، فتردى الأوضاع في مدينة طليطلة فسح المجال أمام النصاري الأسباب بالتدخل في شؤونها ، فكتب القادر إلى ملك قشتالة Castilla^(٤) الفونسو السادس Alfonso IV (٤٥٨-٥٠٢هـ / ١٠٦٥-١١٠٨م) ، يطلب منه المساعدة من أجل السيطرة على الأمور في طليطلة ، إلا أن الأخير اشترط مساعدته مقابل تقديم المال اللازم له ، وبالتالي يؤدي ذلك إلى إرهاب الرعية ، وهذا ما أشار إليه ابن الكردبوس بقوله: (... ، فكتب القادر إلى الفنش-يقصد به الفونسو السادس- يعلمه بما جرى ، ويرغب أن يوجه إليه عسكرياً ، فراجعه أن وجهه إليّ مالاً إن كنت تريد الدفاع عن أئمتك ، وإلا سلمتك لأعدائك ، وكان أسرّ

(١) عنان، دول الطوائف، ص ١٠٨.

(٢) يرجع نسب بني لبون إلى المولدين، ولبنون تعني الذئب الأندلسي، ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٢.

(٣) الحلة السيرة، ١٦٩/٢.

(٤) ذكرها الحميري بقوله: (عمل من الأعمال الأندلسية قاعدته قشتالة، سمي العمل بها، وقالوا: ما خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الجنوب يسمى اشبانيا، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة)، الروض المعطار، ص ٤٨٢.

شيء عند الفنش فتنة تقع بين الولاة المسلمين ، فيعين هذا على هذا ، وهذا على هذا ، فيستجلب بذلك أموالهم ، طمعاً منه أن يعجزوا ، فيظفر هو بملك الجزيرة كلها ، فلما لم يقدّم القادر بما رسم عليه من المال ، جمع الرعية وأهل الحضر وجميع العمال ، وقال لهم: أقسم لأن لم تحضروني هذا المال الذي طلب في الحين ، لأجعلنّ عنده رهناً جميع من عندكم من العيال والبنين^(١).

إن هذا الإجراء الذي اتخذته القادر بن ذي النون لم يكن موضع رضا من قبل بعض القادة ، ومنهم القائد أبي شجاع أرقم بن لبون^(٢) أخو حاكم مدينة وبذة أبو وهب عامر بن لبون ، وقد أشار ابن الكردبوس إلى ذلك بقوله: (فلم يجبه أحد بحرف غير القائد أبي شجاع ابن لبون ، فإنه قال له: لقد خلعت نفسك بما قلت ، وربما أزمعت عليه وعولت ، ففسدت نفوس الجماعة ، ورأوا أنه لا تجب عليهم له طاعة ، فأنفذوا في السرّ إلى ابن الأفتس^(٣) ، فلما شعر بذلك القادر ، فرّ ليلاً بعماله وجملته ماله ، فقصد وبذة فناوأه صاحبها ابن وهب ، ودخل ابن الأفتس طليطلة ولم يكن للقادر ناصر ولا ملجأ غير الفنش ، فكتب إليه واستنصر به ، فجاء بنفسه

(١) تاريخ الأندلس، ص ٨١ - ٨٢.

(٢) يرجع نسب القائد أبي شجاع أرقم بن لبون إلى المولدين، ولبنون تعني اللثب الأندلسي، وتوفي سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م، ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٢.

(٣) هو عمر المتوكل بن الأفتس، حكم بطليوس وغرب الأندلس سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م، وقتل على أيدي المرابطين سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م إذ اتهموه بمراصلة الأعداء، ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٣.

في أسرع وقت ، فتلقاه القادر واتفقا على محاصرة طليطلة حتى يخرج عنها ابن الأفتس ويصرفها إليه ، على أن يجعل جميع أموالها في يديه ، فقال له الفنش: اعطني حصن سرية^(١) وحصن قورية^(٢) رهناً ، فأعطاهما له ، فأدخل فيهما اللعين ثقاته في الحين وحصنها أشدّ تحصين^(٣) ، وعليه فإن بني لبون من حكام وبذة وقفوا ضد سياسة القادر بن ذي ورفضوا استقباله عندما أخرجهم أهل طليطلة. وبعدها تمكن القادر بمساعدة ملك قشتالة الفونسو السادس من الدخول إلى مدينة طليطلة وذلك سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م واستعادة الحكم فيها^(٤).

ولم تشر المصادر المتوفرة بعد ذلك إلى مصير أبي عامر بن لبون ، والراجح أنه استمر في حكم وبذة حتى وفاته التي لم تشر مصادرنا المتوفرة إلى تاريخها ، ولكن ابن الأبار أشار إلى أن القائد أبي شجاع بن لبون كان والياً على وبذة وأنه توفي قبل وفاة أخيه

-
- ١) ذكرها ياقوت بلفظ سرقة، وهي مدينة بالأندلس من أعمال شنتبرية، بينها وبين طليطلة عشرون فرسخاً، الأندلس من معجم البلدان، ص١٤٢.
 - ٢) وهي من مدن غرب الأندلس شمال نهر تاجة، وتعد من أحصن المعاقل، وأحسن المنازل كثيرة الخيرات، وتشتهر بإنتاج الفواكه ومنها الكروم والتين، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢١.
 - ٣) تاريخ الأندلس، ص٨٢ - ٨٣؛ ولزيد من التفاصيل ينظر: العميرة، مراحل سقوط الغور الأندلسية، ص١١٠.
 - ٤) ابن بسام، الذخيرة، ١٥٠/٧ - ١٦٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٨ - ٨٣؛ ابن سعيد، المغرب، ١٣/٢.

أبي محمد عبد الله بن بون والي لورقة Lorca الذي توفي بعد معركة الزلاقة Sagrajas- التي حدثت سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م- بقليل^(١) ، بقليل^(١) ، وهذا يعني أن أبا شجاع بن لبون تولى وبذة بعد وفاة أخيه أبي عامر ، وأن حكم مدينة وبذة استمر في أيديهم حتى وفاة الأخير.

ولعل مدينة وبذة استمرت تحت حكم بني لبون ، حتى سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م^(٢) ، فقد أشار ابن الكردبوس إلى ذلك بقوله: (ولما حصل الطاغية الفنش لعنه الله بطليطلة ، شمخ بأنفه ، ورأى أن زمام الأندلس قد حصل في كفه ، فشن غاراته على جميع أعمالها ، حتى فاز باسخلاص جميع أقطار ابن ذي النون واستئصالها ، وذلك ثمانين منبراً ، سوى البنيات ، والقري المعمورات ، وحاز من وادي الحجارة إلى طلبيرة ، وفحص اللج^(٣) وأعمال شتمية كلها ،...) ^(٤) ، والراجح أن الفونسو السادس سارع بالاستيلاء على مدينة وبذة مباشرة بعد طليطلة وذلك لأن واليها

(١) الحلة السيرة، ٢/١٦٩.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن سقوط طليطلة ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ لاندس، ص ٨٤- ٨٥؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢؛ الذهبي، دول الإسلام، ٥/٢ - ٦؛ المقري، نضح الطيب، ٤/٣٥٢.

(٣) فحص اللج هو موضع بنواحي سرقسطة، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م) ص ٣٦٢.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٧.

القائد أبي شجاع بن لبون كان من المعارضين لسياسة القادر بن ذي النون ، ولعل ابن لبون عمل على مقاومة النصارى ما دفعهم بالتعجيل باحتلال وبذة ، ونرجح أيضاً أن أبا شجاع بن لبون سقط شهيداً وهو يدافع عن مدينة وبذة إذ رثاه الشاعر أبو عيسى لبون بن عبد العزيز بن لبون^(١) بقصيدة قال فيها:

قل لصرف الحمام لم ذا التناهي

في تلقيك لي بهذى الدواهي

إن في عامر وأرقم ما يكفي

فَهَلَّا أَبْقَيْتَ عَبْدَ الْإِلَهِ^(٢)

فيه بعد كنت أستدفع الخطب

وأسطو على العدا وأباهي

أي شمس وا في عليهما أفول

فلّ غربي عزائمي ونواهي^(٣)

جرت فيما بعد بعض المحاولات من قبل المسلمين لاستعادة مدينة وبذة إلا أنها لم تفلح ، فبعد عبور المرابطين Almoravides

(١) كان من أصحاب القادر بن ذي النون كان تولى القضاء في بلنسية أيام أبي بكر بن عبد العزيز، ثم غادر أبو عيسى بن لبون بلنسية بعد وفاة ابن عبد العزيز سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م إلى مريبطر، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٦٧/٢ - ١٧١؛ ابن سعيد، المغرب، ٣٧٦/٢ - ٣٧٧.

(٢) عبد الإله وهو أخو كل من أبي عامر بن لبون وأبي شجاع بن لبون،

(٣) ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٦٩/٢.

Los^(١) إلى الأندلس ، حاولوا استرجاع بعض المدن التي سيطر عليها النصارى ومنها مدينة وبذة ، فبعد انتصارهم الكبير على القوات النصرانية في معركة أقليش سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م^(٢) تمكن المرابطون من استرجاعها في السنة نفسها ، واسترجاع مدن أخرى مثل قونكة (قونقة) وغيرها^(٣) ، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً ، إذ سرعان ما تم استرجاعها من قبل النصارى ، وما يوضح يؤكد ذلك ما ذكرته الرواية النصرانية من أن الأمير تاشفين بن علي بن يوسف قام في سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م باجتياح أراضي بلدي وبذة وأراغون Aragon وهما من أعمال مقاطعة قونقة ، ثم دخل قونقة وأخضعها ، وكان أهلها قد أعلنوا الخروج والثورة^(٤).

(١) يرجع تأسيس الدولة المرابطية إلى قبيلة لمتونة، إحدى بطون صنهاجة من البرانس، وقد قامت الدعوة المرابطية سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م على أساس العقيدة الدينية الإسلامية على يد عبد الله بن ياسين الجزولي، وقد تزعمت قبيلة لمتونة الجهاد لهذه الدعوة في بلاد المغرب أولاً ثم الأندلس بعد ذلك، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٩١ - ٣١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧/٤ - ١١١؛ ابن أبي زرع، الأندلس المطرب، ص ١٢٢ - ١٢٧.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن موقعة أقليش ينظر: ابن القطان، نظم الجمان، ص ٦٤ - ٦٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٤٩ - ٥٠؛ ابن أبي زرع، الأندلس المطرب، ص ١٦٠؛ أشباح، تاريخ الأندلس، ١/١٢٢ - ١٢٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق، ١، ص ٥٣٦ - ٥٣٧.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق، ١، ص ٦٦.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق، ١، ص ١٤٣.

وفي العهد الموحدى Almohades Los^(١) ، حاول الأخيرين استرجاع مدينة وبذة من النصارى ، وما شجعهم على ذلك هو قدوم بعض زعماء وقادة منطقة الشرق الأندلسى وإنجاده إلى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحدى (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) في مدينة إشبيلية Sevilla^(٢) في مستهل رمضان سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م أثناء عبوره من المغرب إلى الأندلس لغرض الغزو والجهاد ، وأيدوا رغبتهم عند الخليفة بضرورة أن يقوم بمهاجمة من جاورهم من النصارى الأسبان ، وأشاروا إلى مدينة وبذة بالذات هدفاً لهذه الحملة ، وذلك لضعف تحصيناتها وأسوارها ، ويبدو أن طلبهم هذا بسبب ما تشكله القوات النصرانية فيها من خطر عليهم ، وهو ما شجع الخليفة الموحدى بتحقيق هذه الرغبة وإعداد حملة كبيرة باتجاهها ، وقد أشار إلى ذلك ابن أبي صاحب الصلاة بقوله: (ولما كانت صبيحة أول يوم من شهر رمضان المؤرخ المذكور بكر أشياخ الموحدى أعزهم الله وجميع الناس وطلبه الحضور بيعة أهل الشرق

(١) الموحدون حركة دينية ظهرت في بلاد المغرب تزعمها محمد بن عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي الذي ينتمي إلى قبيلة مصمودة البربرية، سعى الموحدون إلى إنهاء حكم المرابطين في المغرب والأندلس، وفعلاً تمكنوا من ذلك إذ دخلوا عاصمتهم مراكش سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وأحكموا سيطرتهم عليها، وبعدها تم عبورهم إلى الأندلس، لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكمال في التاريخ، ص ٣٢٠ وما بعدها؛ المراكشي، المعجب، ص ١٤٣- ١٤٩؛ ابن أبي زرع، الأندلس المطرب، ص ١٧٢ وما بعدها

(٢) مدينة أندلسية تبعد عن قرطبة ثمانون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨.

المذكورين ، فحين جلس الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه في مجلسه العالي الكريم خرج الوزير أبو العلاء إدريس بن جامع^(١) ، وأمرهم بالدخول عليه ، والمثول بين يديه ، فدخلوا وسلموا سلام جماعة ، ثم بايعوا واحداً بعد آخر وتقدمهم شيخهم أبو عثمان سعيد بن عيسى كبير الأجناد المذكورين وصاحب الثغر ، والتزموا الطاعة ، وواصلوا الجماعة ، فلما أكملوا بيعتهم واطمأنوا مجلسهم ، رغبوا إلى الخليفة في غزو من جاورهم من بلاد النصرارى وبينوا أن مدينة وبذة أيسر البلاد للفتح ، إذ هي حديثة البنيان قريبة الإسكان ، وقالوا: إن سورها غير ممتنع ، وأنها دون باب ولا حجاب ، فعزم رضي الله عنه في نفسه على قبول رأيهم ورغبتهم ، ووعدهم في هذا المجلس العالي عند انقضاء شهر رمضان المعظم بالصوم بانجاز عدتهم ورأيهم...^(٢).

وعلى إثر ذلك جهز الخليفة حملة عسكرية كبيرة خرجت من مدينة إشبيلية يوم الاثنين الحادي عشر من شوال سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م ، فوصلت إلى قرطبة في السابع عشر منه ، بعدها غادر قرطبة وأخذ ينتقل من مكان إلى آخر داخل الأندلس ، وخلالها تمكن من السيطرة على عدة حصون كانت تابعة إلى النصرارى ، بعدها سار

(١) ذكره ابن الخطيب أنه من وزراء الخليفة الموحيدي يوسف بن عبد المؤمن، الإحاطة، ٣٠٧/٤.

(٢) تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٠٨- ٥٠٩.

بقواته إلى الموضع المعروف ببلاط الصوف^(١) وهو المتصل بفحص مدينة جنجاله Chinichilla ، وكانت هذه المدينة آنذاك على الحدود بين المسلمين والنصارى ، وقد نزل الخليفة في سهل بلاط الصوف لغرض الاستراحة وتزويد قواته بالماء ، ثم غادرها إلى مرج البسيط^(٢) ، وأقام فيه يوماً واحداً ، وسار منه إلى مقربة من وادي شقر Rio Jucar^(٣) ، حيث شرب المقاتلين والدواب من ماء النهر ، فأخذوا قسطاً من الراحة ، وفي يوم الخميس الثاني عشر من ذي القعدة ، أمر الخليفة أخاه أبا سعيد أن يسير من مدينة وادي شقر في قوة عسكرية كبيرة من القوات الموحدية والعرب ، يبلغ عددها نحو اثنا عشر ألف فارس ، ومعهم قوة من الرجالة والرماة إلى أراضي قشتالة والتوجه إلى مدينة وبذة^(٤) .

سار السيد أبو سعيد بقواته ، وكان معه أبو العلاء بن عزون^(٥)

(١) وهو موضع يقع غربي شاطبة، ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٢٧ هامش (٣).

(٢) البسيط هو فسحة من الأرض، وتعرف بمدينة البسيطة، وهي من المدن التي تقع إلى الشرق من طليطلة، ينظر: أرسلان، الحلل السنديّة، ٤٨/٢.

(٣) مدينة أندلسية تقع بالقرب من شاطبة وتبعد عن بلنسية ثمانية عشر ميلاً، وهي كثيرة الأشجار والأنهار، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٩.

(٤) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٢٣- ٥٢٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٧٤- ٧٥.

(٥) شيخ الرؤساء بالأندلس والمستشار الناصح لعبد المؤمن بن علي ولابنه من بعده، وكان يُنعت بناصر الدولة المهديّة، وحضر غزوة وبذة مع الخليفة أبي يعقوب، ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٦٩ هامش (١).

قاضي الدولة المهديّة في جنده ، وإبراهيم بن همشك^(١) في جنده ، فوصلوا إلى أطراف بلاد قشتالة بمكان يسمى مرج حمل وفيه حصن يسيطر عليه النصارى ، فتمكنوا من اقتحامه والسيطرة عليه بعد أن قضوا على حاميته ، وقاموا بتهديمه بعد ذلك وصلوا إلى مدينة وبذة ، ولعل النصارى كانوا على علم بتحركات المسلمين ، فما كاد الموحدون يصلون إلى ظاهر المدينة حتى خرج إليهم القشتاليون لمواجهةهم ، ونشبت بين الطرفين معركة انتهت بمقتل عدد من المسلمين ، مما اضطر أبو سعيد إلى النزول بقواته فوق التل المطل على المدينة^(٢).

وفي تلك الأثناء وصل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بقواته إلى مدينة وبذة في السابع عشر من ذي القعدة ، وقد أشار المراكشي إلى ذلك بقوله: (وخرج أمير المؤمنين أبو يعقوب من إشبيلية قاصداً بلاد الأندلس لعنه الله- فنزل على مدينة له عظيمة تسمى وبذة...)^(٣). في حين علق ابن الأثير على هذه الغزوة بقوله: (في هذه السنة

(١) هو إبراهيم بن محمد بن مضر بن همشك أسلم جده على يد أحد ملوك بني هود، وعندما اضطرت الأحوال في أواخر عهد المرابطين اتصل بأمير شرق الأندلس محمد بن مردنيش وصاهره على ابنته، وقاد الجيوش معه وكان شجاعاً شديداً حاد البأس، وفي سنة ١١٦٠هـ/١١٦٠م دخل غرناطة وهزم الموحديين في معركة مرج الرقاد ومثل بهم، ثم إن علاقته ساءت بابن مردنيش بعد أن طلق ابنته انضم ابن همشك إلى الموحديين نكايّة بصهره = واستمر في ولائه لهم حتى وفاته بعد سنة ١١٧٥هـ/١١٧٥م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٢٣٦- ٢٣٧؛ الإحاطة، ١٥١/١- ١٥٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٣٦٨.

(٢) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٢٨- ٥٢٩.

(٣) المعجب، ص ١٧٧.

جمع أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عساكره وسار من إشبيلية إلى الغزو، فقصده بلاد الفرنج، ونزل على مدينة وبذة، وهي بالقرب من طليطلة شرقاً منها، وحصرها،...^(١).

بعد ذلك أمر الخليفة الموحدين والعرب من مختلف القبائل بالاستعداد والتأهب للحرب، فأنحاز كل عسكر إلى قبيلته، واجتمع تحت رايته، وأمر الجميع بالمسير والصعود إلى التل الذي نزل به السيد أبو سعيد بجنده، وذلك ليتم اجتماع القوات المتحاربة، فصعد الجند على الترتيب المذكور، وصعد بعدهم الخليفة في كتيبته، ومعه أبناء الجماعة، وأبناء أهل خمسين وأهل الدار والعبيد، والتحق به أيضاً السيد أبو حفص^(٢) وباقي الإخوة، ومن ورائهم الرايات والطبول وعددها مائة، وبعد ذلك بدأ الهجوم تحت قرع الطبول وصيحات التكبير، بين الموحدين والقشتاليين، وتمكن الموحدون من الاستيلاء على مكان لصق السور من مداخل أرياض المدينة، كما أحرقت وهدمت الدور، وانسحب القشتاليون إلى الداخل، ونزل الموحدون بجيولهم في البساتين والكروم المتصلة بالمدينة^(٣).

(١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٨٧؛ ينظر أيضاً: ابن خلدون، العبر، ٢٤١/٦.

(٢) هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي أحد أصحاب محمد بن تومرت العشرة واليه ينسب الحفصيون في تونس كانت وفاته سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م، ينظر: ابن خلدون، العبر، ٢٤١/٦.

(٣) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٢٩ - ٥٣٠؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق، ١، ص ٧٦ - ٧٧.

ومن أجل اقتحام المدينة ، وتوزيع المهام العسكرية على القوات الموحدية ، فقد طاف السيد أبو حفص ومعه الإخوة والأشياخ والزعماء ، وكذلك قوة كبيرة من قواته بجوانب المدينة الأربعة ، وقام بتقسيم جهاتها على الجند المحاصرين لها ، إذ يختص كل عسكر بجهة ويقودها سيد من الإخوة ، ويختص العرب بجمعهم بجهة منها ، وكان النصرارى في أثناء ذلك قد حضروا خندقاً خارج المدينة ، وذلك للحيولة دون وصول الموحدين إلى داخل المدينة ، ويعرقلوا تقدمهم ، لذلك لما وصل الخليفة على مقربة من الخندق ، نزل فوق ربوة تشرف عليه ، واستدعى إلى قبته الفقهاء والقضاة المرافقين للحملة ، كذلك أقبل عليه الأخوة والأشياخ وبايعه الجميع على الثبات على الجهاد ، وكانت جميع القوات العسكرية قد أخذت مواقعها ، إذ احتل كل فريق مكانه المعين ، وقسمت السهام على الرماة ، ثم قرعت الطبول إيذاناً ببدء القتال بين الطرفين ، إذ هاجم الجيش الموحدى نصرارى قشتالة ، وحدثت معركة شديدة بينهما ، وعلى إثرها ارتد القشتاليون حتى لصق السور وإلى داخل البيوت ، وامتنع معظمهم بالقصبة ، ولم يثبتوا إلا في الجهة الغربية ، حيث أن أبا العلاء بن عزون وقواته عجزوا عن ردهم ، فحاول أن يستنجد بالخليفة ليمده ، فأعرض عنه لاشتغاله في قبته بالمناقشة مع الطلبة ، إلا أن الموحدين تمكنوا من هدم كنيسة المدينة ، وانتزعوا نواقيسها ، وقتل من تصدى من النصرارى لاستردادها ، ويبدو أن الموحدين لم يستطيعوا السيطرة على مدينة وبذة بشكل كامل ، وفشلوا في تحقيق

أهدافهم^(١) ، وقد علق ابن أبي صاحب الصلاة على ذلك بقوله: (... ، ودام القتال على انحلال وضعف وملال إلى بعد أذان الظهر وارتفع ، وما نفع الجيش الكثير عديده ، ولا نجح ، إذ كان في نحو مائة ألف بين فارس وراجل ، وانصرف أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ، وانصرف الناس إلى أخبيتهم ، وقد فهم الحال من فهمها ، وسرّ بالتعجيز فيها من دبرها وعملها ،...)^(٢).

وقد عُرف هذا الهجوم بالأول على مدينة وبذة إذ لم تستطع القوات الموحدية من اقتحام المدينة ، لذلك اتجه الخليفة إلى خطة أخرى ، تتمحور في حصار المدينة من أجل إضعافها عسكرياً واقتصادياً ، فاجتمع الأشياخ والقواد بحضور الخليفة ، وأمرهم الأخير أن يخرج ربع الناس من جميع العساكر المحيطة بالمدينة لزرع الغلات والعلوفات وتحصيل الأوقات ، استعداداً لحصار المدينة ، وتم ذلك فعلاً ، ومنعوا مياه الوادي من الوصول إليها ، كما أمر الخليفة بصنع السلالم والأبراج الخشبية لمقاتلة نصارى قشتالة في جوانب المدينة المتعددة ، وقد أشار إلى ذلك ابن أبي صاحب الصلاة بقوله: (... ، فكان رأي أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين رضي الله عنه أن يخرج ربع الناس من جميع العساكر والقبائل لعمل الزرع وسوقه واختزان العلف والقوت لحصار المدينة ، فخرج الناس لذلك ورتبت العساكر على جهات المدينة لحصارهم ومنعهم من شرب الماء من

(١) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٣٠ - ٥٣٤.

(٢) تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٣٤ - ٥٣٥.

الوادي ، وفيه أمر أمير المؤمنين بعمل آلات من الخشب عن سلالم وأبراج لقتال الكفرة في جوانب مدينتهم ،...^(١).

ويدو أن سوء الأحوال الجوية وهبوب الرياح ، قد أثرت على الجيش الموحدى المحاصر لمدينة وبذة ، ففي صبيحة يوم الجمعة الموافق العشرين من ذي القعدة هبت ربح صيفية شديدة ، فأوقعت الاضطراب بالمعسكر الموحدى ، واقتلعت الأخبية ، وقضى الموحدون ليلتهم في التحوط ضد عصف الريح ، وبعد يوم واحد من ذلك ، قدم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى من مرسية Murcia^(٢) في جند أهل الشرق الأندلسى ، ومعه أبو الحجاج يوسف بن مردنيش^(٣) وأهل بلنسية Valencia والثغر ، فاستقبلهم الخليفة الإخوة والأشياخ والزعماء والطلبة استقبالا حافلاً ، بعدها نزل جند الشرق بالجبل المجاور لمدينة وبذة لكي يشددوا الحصار عليها ، وعندما علم القشتاليون بذلك توجهوا وفرزوا وأصابهم الرعب ، إلا أن

(١) تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٣٥.

(٢) مدينة أندلسية تقع شرق الأندلس، وهي من كورة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن الثاني، واتخذت دار العمال وقرار للقواد، ينظر: الحميري، الروض المطار، ص ٥٣٩.

(٣) هو أبو الحجاج يوسف بن سعد بن محمد بن مردنيش، الرجل الثاني في أسرة بني مردنيش بعد أخيه محمد بن سعد تولى حكم بلنسية وبقي والياً عليها حتى وفاته سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٤١؛ جابر، بنو مردنيش ودورهم السياسى والعسكرى في الأندلس، ص ٥٩ وما بعدها.

الرياح سرعان ما عادت مرة أخرى على العسكر الموحدى المحاصر للمدينة ، إذ هبت رياح أخرى أشد من السابقة ، فاقتلعت خيام الجيش الموحدى ، ومزقتها ، ثم تلاها مطر كثير ورعد قاصف وبرق شديد ، وكانت هذه الأحوال قد خدمت النصارى المتواجدين داخل المدينة ، إذ ارتووا من مياه الأمطار بعد قطع الموحدى مياه الأنهار عن المدينة أثناء حصارهم لها^(١) ، وقد تحدث عن ذلك المراكشى بقوله: (... ، أن أهل هذه المدينة لما برَّح بهم العطش أرسلوا إلى أمير المؤمنين يطلبون الأمان على أنفسهم ، على أن يخرجوا له عن المدينة ، فأبى ذلك عليهم ، وأطمعه فيهم ما نقل إليه من شدة عطشهم وكثرة من يموت منهم فلما يئسوا مما عنده سُمع لهم في بعض الليالي لَغَط عظيم وجَلْبَة أصوات ، وذلك أنهم أخرجوا أناجيلهم ، واجتمع قسّيسوهم ورهبانهم يدعون ويؤمن باقيهم ، فجاء مطر عظيم كأفواه القرب ، ملأ ما كان عندهم من الصهاريج ، وشربوا وارتووا وتقووا على المسلمين...)^(٢).

بعد ذلك هاجم الجيش الموحدى القشتاليين على الأسوار في يوم الاثنين الموافق الثالث والعشرين من ذي القعدة ، ولكنهم ما كانوا يبدؤون القتال ، حتى عاد الرعد والبرق ، وهطل المطر بشكل

(١) ابن أبى صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٣٦-٥٣٧؛ عنان، دولة

الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٧٨.

(٢) المعجب، ص١٧٨؛ ينظر أيضا: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٥/٧؛ الذهبي،

سير أعلام النبلاء، ٣١٨/١٥.

كثيف ، ثم اظلمت السماء ، فعجز الموحدون عن القتال ، وفزع الناس من تكرار هذه الظاهرة ، وعدوها سخطاً من الله ، ورجبوا في التوبة إليه ، وارتد الخليفة والناس ، وقد اكتسحت سيول الإمطار الهضبة ، وعند الظهر أشرقت السماء ، فعاد الجيش الموحي للقتال ، ودام القتال حتى المساء بدون إحراز أي تقدم يذكر^(١).

وفي ليلة الأربعاء الموافق الخامس والعشرين قام نصارى قشتالة بشن هجوم مفاجيء على الجهة التي يتمركز بها جند هسكورة^(٢) ، وكانت نتيجتها أن فرّ الأخيرين منهزمين ، وعندما علم الخليفة بذلك ، أمر بضربهم بالسياط عقاباً لهم ، وبعد يوم من ذلك ، أمر الفرق المختلفة أن يخرج من كل فرقة ثلثها للبحث عن الأقوات والعلوفات ، وتجمع أولئك تحت قيادة الحافظ أبي محمد عبد الله بن أبي تفرنجين^(٣) ، وإبراهيم بن همشك ، ولكن هذه الجموع فشلت في مهمتها ، إذ لم تستطع جمع شيئاً من المؤن والعلف ، وهذا أدى بدوره إلى الارتفاع الأسعار في المعسكر الموحي ، وكان أن ينعدم فيه القوت^(٤).

(١) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٣٧.

(٢) هي من القبائل البربرية التي كانت تسكن السوس الأدنى جنوب تارودانت القديمة، وقد ظلت على التشريعات الموحدية تحت المرتبة الأولى، ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٣٨ هامش (١).

(٣) ويكنى أيضاً أبو حفص وهو من أهل الخمسين من أهل تينملل ويلفظ أيضاً تفرانكين أو تافراجين، ينظر: البيدق، المقتبس من كتاب الأنساب، ص ٣٣؛ ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٣٠٧ هامش (١).

(٤) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٣٨.

وقد أشار ابن الأثير إلى انعدام الأقوات في المعسكر الإسلامي بقوله: (... ، فاتفق أن الغلاء اشتدّ على المسلمين ، وعمدت الأقوات عندهم ، وهم في جمع كبير ، فاضطروا إلى مفارقة بلاد الفرنج ، فعادوا إلى إشبيلية)^(١).

وعلى إثر ذلك فقد قام الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن عمر^(٢) عمر^(٢) بمخاطبة الناس ، ويستنهض همهم للجهاد وقتال النصارى ، إذ أشار إلى ذلك ابن أبي صاحب الصلاة بقوله: (قد كنتم بمراكش تقولون لو كنا غزونا النصارى لجاهدنا لله عز وجل واجتهدنا ، فلما حضرتم معهم ، قصرتم وجبنتم ، وحنثتم الله عز وجل ، ونكلتم وما نصحتهم ، ما أنتم بمؤمنين ولا بموحدين ، أن تسمعوا النواقيس تُضرب ، وتعاينوا الكفر ، ولا تدفعوا المنكر ، أن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ليس يقدر أن يراكم لتفريطكم في حق الله تعالى من الجهاد على كثرتم من الأعداء)^(٣).

كما قام الموحدون بمحاولة أخرى من أجل خداع القشتاليين والسيطرة على المدينة ، والظهور بمظهر القوي لا مظهر الضعيف

(١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٧٨.

(٢) وهو أبو محمد عبد الواحد بن عمر، واسمه الأول يريزيجن بن عمر فسماه المهدي بن تومرت عبد الواحد، وأشموه بالشرقي لمجيئه مع المهدي من بجاية في الشرق، ينظر: البيهقي، المقتبس من كتاب الأنساب، ص ٢٥ هامش (٢٧).

(٣) تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٣٨ - ٥٣٩.

العاجز ، فقد وجه عبد الرحمن بن سعيد الغرناطي^(١) رسالة إلى قائد مدينة وبذة وهو ولد الكونت مانريكي دي لارا ، يقول له: إن الموحدين على استعداد لتحقيق رغبته في تسليم المدينة مقابل منحه وقواته الأمان ، وكرر هذا المسعى مرتين في اليوم نفسه ، إلا أن القائد القشتالي رفض هذا العرض ، وذلك لما أدرك من اختلال أحوال الموحدين ، ومما قوى موقفه أيضاً علمه باستعداد ملك قشتالة الفونسو الثامن Alfonso VIII (٥٥٣-٦١١هـ/١١٥٨-١٢١٤م) لإنجاده ومساعدته بقواته ، ولما علم الخليفة الموحدى بهذه التطورات استدعى سائر الأشياخ من الموحدين والعرب إلى خيمته للبحث فيما يجب عمله ، ويبدو أن الاجتماع لم يتمخض عن أي نتيجة ، وبدا من ذلك أن الموحدين عاجزين عن تحقيق الانتصار على القشتاليين والسيطرة على مدينة وبذة ، ومما يدل على ذلك هو ما قام به الخليفة الموحدى في نفس ليلة الاجتماع بأمر حرق البرج المصنوع لقتال النصارى وسائر الآلات التي صنعت معه ، كما أمر بأن يقوم مقدم الدواب بشحن النواقيس التي أخذت من الكنيسة من مدينة وبذة^(٢).

وفي الصباح ضرب الطبل الكبير إيذاناً للناس بالرحيل ، فساد

-
- (١) وهو من أهل قلعة يحصب في الأندلس وكان من أصحاب ابن مردنيش ثم انضم إلى الموحدين توفي سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م، ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٤١/٣؛ ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٣٧٩ هامش (١).
- (٢) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٣٩ - ٥٤٠.

الاضطراب والاختلال في الجيش الموحيدي ، فلما رأى القشتاليون ذلك ، وعرفوا بأن الجيش الموحيدي بدأ بالانسحاب ، فاستغلوا هذه الفرصة ، وخرجوا في قواتهم من الفرسان والرجالة ونزلوا إلى الوادي ، وقاموا بالهجوم على الموحيدين ، وأشعلوا النار في البيوت والخيام ، وقتلوا العديد من المسلمين ، ومن ثم نشب القتال بين الجيش الإسلامي المنسحب وبين نصارى قشتالة ، وفي أثناء ذلك أمر الخليفة أن يتوقف سائر الجند حتى ترفع الأخبية ، فلما رفعت وقفت قوة ترد المهاجمين حتى يتم الانسحاب ، وتحرك الجيش المنسحب يتقدمه الخليفة ، والسيد أبو حفص في أهل تينملل ، وأشياخ الموحيدين مع قبائلهم ، وزعماء الأندلس مع أصحابهم ، والعرب مع قبائلهم ، والنصارى خلال ذلك يهاجمون الجيش المنسحب ، وقد احتشدت في المؤخرة قوة كبيرة لردهم بقيادة السادة الإخوة ، ومعهم يوسف بن مردنيش وإبراهيم بن همشك وأبو العلاء بن عزون في عسكر الأندلس ، واستمر الجيش المنسحب متجهاً نحو مدينة قونقة ، ونزل في فحص به الماء على بضعة أميال من مدينة وبذة ، ولحقت به قوة المؤخرة في المساء ، بعد أن تمكنت من رد النصارى وقتلت منهم نحو ستين ، وأسر عشرة^(١).

واستمر الجيش الإسلامي بالانسحاب حتى وصل إلى مدينة قونقة ، بعد يومين ، أي في يوم الثلاثاء الموافق أول ذي الحجة ، إذ

(١) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٤٠- ٥٤١؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحيدين، ق، ١، ص ٧٩- ٨٠.

دخلها الخليفة ومعه أخوته السادة ، ووزيره ابن جامع والفقهاء والقضاة ، وسائر الأشياخ من الموحدين العرب ، كما كان يرافق هذا الموكب المؤرخ عبد الملك بن أبي صاحب الصلاة راوي هذه الحوادث ، وقد استقبل أهل مدينة قونقة الخليفة وموكبه استقبالاً كبيراً ، وكانوا في حالة يرثى لها من الضعف بسبب حصار النصارى لها بين الحين والآخر ، وقام الخليفة بمساعدتهم بالمال والأطعمة^(١).

بعد ذلك سار الخليفة بقواته من مدينة قونقة ، وفي تلك المنطقة التقوا بعدد كبير من النصارى على مقربة من قونقة ، وظهرت إشاعة بأن طلائع الفونسو الثامن ملك قشتالة والكونت نونيو دي لارا تلاحق المسلمين ، فلما علم الخليفة بذلك أمر بالتحرك حالاً والسير إلى مدينة وادي شقر ، بعدها تنقل في عدة مناطق بالأندلس ، حتى وصل أخيراً إشبيلية في الثامن عشر من ربيع الأول سنة ٥٦٨هـ/١١٨٢م ومعه أخوته وخاصته من أشياخ الموحدين وأكابر الدولة^(٢).

لم تحقق حملة الموحدين على مدينة وبذة أهدافها ، ولم تتمكن من السيطرة عليها ، وقد أرجع عنان أسباب فشل هذه الحملة لعدة أمور بقوله: وأول ما تكشف عنه حوادث هذه الغزوة التي لم يطل أمدها أكثر من شهرين ما تجلّى تحت أسوار مدينة وبذة من عجز الجيوش الموحدية وتفككها ، فكيف يعجز هذا الجيش الكبير عن

(١) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٤٢ - ٥٤٣.

(٢) (ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٤٣ - ٥٤٤؛ عنان، دولة

الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق، ١، ص ٨١ - ٨٢.

اقتحام مدينة صغيرة غير ممتنعة مثل وبذة ، خصوصاً وقد كانت تضطلع بالدفاع عنها حامية محلية صغيرة من القشتاليين ، إن مثل هذا العجز المطبق يكشف أولاً وقبل كل شيء عن عجز القيادة الموحدية ، ذلك أنه لم تكن بين أولئك الإخوة والأشياخ الذين يلتفون حول الخليفة الموحيدي ، ويديرون دفة الغزوة هيئة قيادية مقتدرة ، بل لم يكن بينهم قادة أكفاء بالمعنى الصحيح ، وكان مجلس القيادة يتخذ في معظم الأحيان صورة اجتماع عائلي ، تغلب فيه القرارات المرتجلة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد كشفت غزوة وبذة ، عمّا كان يسود الجيوش الموحدية من التفكك ، وانعدام التناسق بين مختلف العناصر التي تتكون منها^(١) ، فكانت هذه الحملة آخر محاولات المسلمين استرداد المدينة ، فضلاً عن أنها حسمت الصراع الإسلامي النصراني على مناطق الثغر الأوسط الأندلسي لصالح النصارى ، وفتحة لسلسلة من الهزائم التي مني بها الموحدون في الأندلس.

(١) عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٨٤-٨٥.

الغائمة

تبين من البحث أهمية دراسة المدن الأندلسية كونها تمثل نماذج مصغرة لجوانب الحياة المختلفة في التاريخ الأندلسي ، فقد وضع البحث أن مدينة وبذة تعاقب على حكمها اثنتين من الأسر الأندلسية وهما أسرة بني ذي النون وأسرة بني لبون ، وتأتي أهميتها كونها الظهير الجغرافي لمدينة طليطلة عاصمة الثغر الأوسط كما أظهر البحث أهمية هذه المدينة وبعد سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ، إذ تحولت إلى ساحة للصراع الإسلامي النصراني ، وعلى الرغم من سقوطها بيد النصارى في ذلك التاريخ إلا أن المواجهات فيها استمرت حتى منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، عندما حُسم الصراع نهائياً لصالح النصارى بحيث تعد هزيمة الموحدين فيها بداية الانحدار التدريجي للدولة الموحدية ، وسيطرة النصارى على معظم مناطق الثغر الأوسط الأندلسي.

مصادر ومراجع الكتاب

أولاً: المصادر

– القرآن الكريم

- ١ – ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م)
- ٢ – التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥م
- ٣ – الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط١، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ٤ – معجم أصحاب القاضي أبو علي الصديقي، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٠م.
- ٥ – ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
- ٥ – أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.
- ٦ – الأندلس من الكامل في التاريخ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش، ط١، دمشق، ٢٠١٥م
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
- ٧ – نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
- الإشبيلي، محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م)
- ٨ – طبقات النحويين واللفويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، بدون تاريخ.
- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)

- ٩ - المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غريال، القاهرة، ١٩٦١م.
- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)
- ١٠ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)
- ١١ - الصلة في تاريخ علماء الأندلس، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري، ط٢، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.
- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)
- ١٢ - المسالك والممالك، منشورات دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابن بلقين، عبد الله (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
- ١٣ - مذكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب التبيان، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٥٥م.
- اليبينق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
- ١٤ - المقتبس من كتاب الأنساب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرياط، ١٩٧١م
- ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)
- ١٥ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م)
- ١٦ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
- ١٧ - الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.
- ١٨ - جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م

- ١٩- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٢٠- رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.
- الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)
- ٢١- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: حوالي ٧١٠هـ/ ١٣١٠م)
- ٢٢- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)
٢٣- صورة الأرض، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٨م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)
- ٢٤- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، (للقبلة ١٨٠- ٢٣٢هـ/ ٧٩٦- ٨٤٦م)
تحقيق محمود علي مكي، ط ١، الرياض، ٢٠٠٣م.
- ٢٥- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م)
تحقيق محمود علي مكي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.
- ٢٦- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)،
تحقيق إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الأفق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م.
- ٢٧- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)،
تحقيق ب. شاميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
- ٢٨- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٣٦٠- ٣٦٤هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م)،
تحقيق عبد الرحمن علي الحججي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.
ابن الخراط، أبو محمد (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)
- ٢٩- اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق ايميليو مولينا و خافينتو

- بوسيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون العربي،
مدريد ١٩٩٠م.
- ٣٠ - الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث (ت ٣٦١هـ/١٩٧١م)
- قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، عني بنشره السيد عوت عطار
الحسيني، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت
٧٧٦هـ/١٣٧٤م).
- ٣١ - الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط١،
الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ج ١، ١٩٧٣م، ج ٢، ١٩٧٤م.
- ٣٢ - أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى
بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق إ - ليفي بروفنسال، دار
المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
٣٣ - تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب
والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق
تركي فرحان المصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/
١٢٨٢م).
- ٣٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، لبنان، دار
الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م.
- الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس (ت ٣٨٣هـ/٩٩٣م)
٣٥ - مفيد العلوم ومبيد الهموم، بيروت، ١٤١٨هـ.
- الدميري، أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
٣٦ - حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
٣٧ - سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ٣٨ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.

- ٣٩- تذكرة الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٤٠- دول الإسلام، اعتنى بتصحيحه محمد طه البدوي وآخرون، ط٢، الهند، ١٩٤٥م.
- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (ت ٣١٣هـ/ ٩٢٥م)
- ٤١- الحاوي في الطب، اعتنى به هيثم خليفة طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت بعد ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م)
- ٤٢- مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥م.
- الرشاطي، أبو محمد (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)
- ٤٣- الأندلس من اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق ايميليو مولينا وخايننتو بوتيك بيللا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٨٠م.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)
- ٤٤- تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار الهداية، بدون مكان وسنة الطبع.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)
- ٤٥- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد ٥٤١هـ/ ١١٤٦م)
- ٤٦- كتاب الجغرافية، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- ابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)
- ٤٧- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج ١، ١٩٥٣م، ج ٢، ١٩٥٥م.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)
- ٤٨- غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الدكن، ١٩٦٤م.

- شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري
(ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)
- ٤٩ - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت،
الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
- ابن أبي صاحب الصلاة، عبد الملك محمد بن أحمد بن محمد بن
إبراهيم (ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م).
- ٥٠ - تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم
الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.
-الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (ت
٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
- ٥١ - الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار
إحياء التراث - بيروت، ٢٠٠٠م.
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)
- ٥٢ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي،
القاهرة، ١٩٦٧م
- ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت
٧٣٩هـ/١٣٣٨م)
- ٥٣ - مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، ط١، بيروت،
١٤١٢هـ.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م)
- ٥٤ - فتوح مصر والمغرب، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة ١٩٩٥م.
- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك
الأنصاري (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)
- ٥٥ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس
ومحمد شريفة وبيشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢م.
- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)
- ٥٦ - بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سيهل زكار، دار الفكر، بيروت،
بدون تاريخ.

ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) ٥٧ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة جس كولان وإ - ليبي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١ م؛ ج ٢، ج ٣ تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإليبي بروفنسال، ط ٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م؛ ج ٤، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٧ م، والجزء الخاص بالموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥ م.

- العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) ٦٨ - نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د. ت. - ابن عساكر، أبو القاسم بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) ٥٩ - تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م. ابن العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد الكاتب (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)

٦٠ - خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق أذرتاش أذرنوش، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١ م

- ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البلبني (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) ٦١ - قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، القاهرة، ١٩٥٦ م.

- الفارابي، أبو إبراهيم اسحاق بن إبراهيم (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) ٦٢ - معجم ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، القاهرة، ٢٠٠٣ م. - الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) ٦٣ - كتاب العين، تحقيق مهدي الخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت.

- ابن فرحون، إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٦٩ م) ٦٤ - اللديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمد، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
 ٦٥ - تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.
- ابن الضري، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)
 ٦٦ - تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، ط١،
 دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥م)
 ٦٧ - مختصر كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت،
 ١٩٩٦م.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)
 ٦٨ - القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨،
 بيروت، ٢٠٠٥م.
- القاضي عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت
 ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)
 ٦٩ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج١ تحقيق ابن تاويت الطنجي، ج ٢،
 ٤، ٣، تحقيق عبد القادر الصحراوي، ج٥ تحقيق محمد شريفة، ج ٦، ٧، ٨،
 تحقيق سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب.
 القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
 ٧٠ - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.
- ابن القطان، حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي
 (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م)
 ٧١ - نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي
 مكي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠م.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)
 ٧٢ - أنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)
 ٧٣ - صبح الأعشى في صناعة الأنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
 ٧٤ - تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م.

- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
- ٧٥ - البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.
- الكجراتي، جمال الدين محمد بن طاهر بن علي الهندي (ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)
- ٧٦ - مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٩٦٧م.
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
- ٧٧ - تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نسان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، مطبعة الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)
- ٧٨ - الحاوي الكبير في فقه مناهج الإمام الشافعي، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).
- ٧٩ - أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧م.
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/١٤٨٩م).
- ٨٠ - تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، والنسخة الأخرى بتحقيق لويس مولينا، بعنوان ذكر بلاد الأندلس، مدريد، ١٩٨٣م.
- مجهول، مؤلف (ت بعد ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م)
- ٨١ - حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمه عن الفارسية يوسف الهادي، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
- مجهول، مؤلف (كان حياً ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)
- ٨٢ - مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، ط١، الرباط، ٢٠٠٥م.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)
- ٨٣ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران

- المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٨٤ - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)
- ٨٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف البقاعي، ط٢، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م.
- المطرزي، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد الخوارزمي (ت ٦١٠هـ / ١٢١٣م)
- ٨٥ - المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- ابن معصوم المدني الحسيني، علي بن أحمد (ت ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م)
- ٨٦ - الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، تحقيق مؤسسة آل البيت، وتقديم علي الشهرستاني، بدون مكان وسنة الطبع.
- المقدسي، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشافعي البشاري (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)
- ٨٧ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وحواشيه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م.
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ / ١٦٣١م).
- ٨٨ - نضح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)
- ٨٩ - لسان العرب المحيط، بيروت، د. ت.
- النعماني، إبراهيم بن سعيد (ت ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م)
- ٩٠ - وفيات المصريين، تحقيق محمد محمود الحداد، ط١، الرياض، ١٤٠٨هـ.
- النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الجذامي (ت ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م)
- ٩١ - تاريخ قضاة الأندلس، المعروف بالمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والقتيا، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م)
- ٩٢ - نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، ط١، دار الكتب، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

- ابن الوردی، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد الکندی (٥٧٤٩ / ١٣٤٨م)
 ٩٣ - تاریخ ابن الوردی، ط١، دار الکتب العلمیة، بیروت، ١٩٩٦م.
 - الیافعی، أبو عبد الله محمد بن أسعد (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)
 ٩٤ - مرآة الجنان وعبرة الیقظان فی معرفة حوادث الزمان، دار الکتب
 الإسلامیة، القاهرة، ١٩٩٤م.
 - یاقوت الحموی، شهاب الدین أبو عبد الله بن عبد الله الرومی البغدادی
 (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
 ٩٥ - الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق علیه جاسم یاسین
 الدرویث، ط١، البصرة ٢٠١٢م.
 - معجم الأدباء، تحقیق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامی، بیروت، ١٩٩٣م.
 - الیعقوبی، أحمد ابن أبي یعقوب بن جعفر بن واضح (ت بعد سنة
 ٢٩٢هـ/٩٠٤م)
 ٩٦ - البلدان - تحقیق محمد أمین ضناوی، ط١، دار الکتب العلمیة،
 بیروت، ٢٠٠٢م.
 - ابن یونس، أبو سعید عبد الرحمن بن أحمد (ت ٣٤٧هـ/٩٥٨م)
 ٩٧ - تاریخ ابن یونس المصری، دار الکتب العلمیة، بیروت، ١٤٢١هـ.
ثانیاً: مراجع البحث
 - أدهم، علی
 ١ - المعتمد بن عباد، بیروت، د.ت.
 - أرسلان، شکیب
 ٢ - الحلل السندسیة فی الأخبار والآثار الأندلسیة، ط١، المطبعة
 الرحمانیة، مصر، ١٩٣٦م.
 - أشباخ، یوسف
 ٣ - تاریخ الأندلس فی عهد المرابطین والموحدین، ترجمة محمد عبد الله
 عنان، مطبعة لجنة التألیف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.
 - البستانی، فؤاد إفرام (ت ١٩٠٦م)
 ٤ - المنجد الأبجدی، قاموس عربی - فارسی، ترجمة رضا مهیار، طهران،
 ١٣٧٠هـ.

- البشناوي، عادل سعيد
 ٥ - الأمة الأندلسية الشهيدة، بيروت، ٢٠٠٠م.
- التميمي، فؤاد حسين
 ٦ - التجيبيون في الأندلس ودورهم السياسي والفكري من الفتح حتى منتصف القرن السادس الهجري، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٠م.
- جابر، جابر خليفة
 ٧ - بنو مردنيش ودورهم السياسي والسكري في الأندلس (٥٢٨ - ٦٣٦هـ / ١١٣٤ - ١٢٣٨م) ط١، دمشق ٢٠١٧م.
- الحجي، عبد الرحمن علي.
 ٨ - التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢ - ٨٩٧هـ / ٧١٠ - ١٤٩١م) ط١، بغداد، ١٩٧٦م.
- الدرويش والعلياوي، جاسم ياسين وحسين جبار، مدينة مجريط الأندلسية، مجلة أبحاث البصرة، المجلد ٤٢ العدد الأول لسنة ٢٠١٧م.
 - حاملة، محمد عبده
- ٩ - ايبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، عمان، ١٩٩٦م.
 - الدرويش، جاسم ياسين ؛ والعلياوي، حسين جبار
- ١٠ - دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (لاردة بياسة أستورقة)، ط١، دار تموز للطباعة، دمشق، ٢٠١٧م.
- ١١ - مدينة سمورة الأندلسية، (٩٥ - ٣٩٥هـ / ٧١٣ - ١٠٠٤م) مجلة آداب ذي قار، العدد (١٦) القسم الأول، ٢٠١٦م.
- دندش، عصمت عبد اللطيف
 ١٢ - الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحيدين، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- دوزي، رينهرت
 ١٣ - تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، من ١٩٧٩م - ٢٠٠٠م.

- المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م
- ١٤ -ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٣٣م.
- الدويدار، حسين يوسف
- ١٥ -المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨ - ٤٢٢هـ/ ٧٥٥ - ١٠٣٠م)، ط١، مصر، ١٩٩٤م.
- رويحة، أمين
- ١٦ - التداوي بالأعشاب، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.
- الساعدي، نسرین جوي
- ١٧ -بنو قسي ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٧م.
- سالم، السيد عبد العزيز
- ١٨ -تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، لبنان، ١٩٦٢م.
- السامرائي، خليل إبراهيم.
- ١٩ -الثغر الأعلى الأندلسي، دراسة في أحواله السياسية ٩٥ -٣١٦هـ/ ٧١٣ - ٩٢٨م، مطبعة أسد بغداد، ١٩٧٦م.
- ٢٠ -علاقات المرابطين بالممالك الأسيانية بالأندلس وبالذول الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦م
- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون
- ٢١ -تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦م.
- السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥هـ)
- ٢٢ -الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون تاريخ.
- السلمي، إبراهيم عطية الله بن هلال
- ٢٣ -تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي، دراسة تاريخية حضارية

- ٩٢ - ٤٧٨هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.
- شرف، عبد العزيز طريح
- ٢٤ - الجغرافية المناخية والنباتية، دار المعرفة الجامعية، ط١١، بدون مكان وسنة الطبع.
- ٢٥ - المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، مركز الإسكندرية للكتاب، بدون تاريخ.
- طه، عبد الواحد ذنون.
- ٢٦ - الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٢م.
- عبد الحميد، أحمد مختار
- ٢٧ - معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، منشورات عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٨م.
- العلياوي، حسين جبار
- ٢٨ - البشكنس، دراسة تاريخية في أحوالهم العامة في الأندلس حتى نهاية سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١١م.
- ٢٩ - الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٥م.
- ٣٠ - بنو وانسوس ودورهم السياسي والإداري والفكري في الأندلس حتى نهاية عهد الإمارة (١٣٦ - ٣٠٧هـ / ٧٥٣ - ٩١٩م)، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف، العدد (٣٠) السنة التاسعة، ٢٠١٤م.
- العمائرة، محمد نايف جريوان
- ٣١ - مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأاسبان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، ١٩٨٩م.
- عنان، محمد عبد الله
- ٣٢ - دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ٣٣ - دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط١، مطبعة التأليف

- والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م
- ٣٤ - عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط١، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.
- غريال، محمد شفيق (إشراف)
- ٣٥ - الموسوعة العربية الميسرة، ط٢، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م.
- فايد، يوسف عبد المجيد
- ٣٦ - جغرافية المناخ والنبات، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.
- كراتشوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش
- ٣٧ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ماجد، عبد المنعم
- ٣٨ - التاريخ السياسي للدولة العربية، عصر الخلفاء الأمويين، مكتبة الانجلو مصرية، ط٧، القاهرة، ١٩٨٢م.
- ٣٩ - الموسوعة الحرة على البريد الإلكتروني: ar.m.wikipedia.org
- مؤنس، حسين
- ٤٠ - أطلس التاريخ الإسلامي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.
- ٤١ - الثغر الأعلى الأندلسي وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٩م مع أربعة وثائق جديدة، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١١م، ج٢، ١٩٤٩م.
- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ٩٢ - ١٣٨هـ/ ٧١٠ - ٧٥٥م، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م.
- هنتس، فالتر
- ٤٢ - المكابيل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، عمان ١٩٧٠م.
- نصر الله، سعدون
- ٤٣ - تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.

